حسن موسوي

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

مؤسسة الفكر الإسلامي

شبكة الفكر
alfeker.net

حُقُوق الطَّبع محفُوظة

مؤسسة الفكر الاسلامي

حارة حريك ـ بئر العبد ـ خلف البنك الفرنسي ـ ص. ب ٥٩٥٣/١٣ شوران

للثقافة والاعلام

حسن الموسوي

ذلكم رسول الله صلى الله عليه وآله

مؤسسة الفكر الإسلامي
للثقافة والإعلام
بيروت - لبنان

الكتاب:	ذلكم رسول الله (ص)
المؤلف:	السيد حسن الموسوي القزويني
الناشر:	مؤسسة الفكر الاسلامي
المطبعة:	١ مهر
الطبعة:	الأولى ـ ١٤١١ هـ
الكمية:	٣٠٠٠ نسخه
السعر:	

بسم الله الرحمن الرحيم

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

صدق الله العلي العظيم

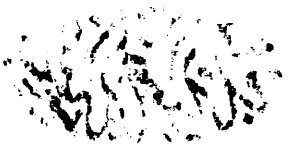

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لعل اقصر الطرق للدخول في قلوب الأخرين واقوى الاساليب لفتح القلوب المستعصية هو تحلي المـرء بأخلاق آسرة وسجايا كريمة، ورب موقف اخـلاقي بسيط يستطيع ان يصنع ما يعجز عنه موقف آخر غير منبعث عن المشاعر الاخلاقية الانسانية، وإن كان قوياً وذا شأن.

ولا غروان نجد ان قادة الحضارات ورجالاتها البارزين، وكل من كانت له دعوة انسانية او متسترة بستار الانسانية ـ عبر التأريخ ـ كان يجد في النوازع والملكات الاخـلاقيـة سـاعـداً اميناً ودواءً ناجعاً لنشر دعوته وبث افكاره، مهما كانت اتجاهاتها واختلفت مشاربها.

وليس الخضوع لسيطرة ذي الصفات النفسية الخلابة ببدع في السلوك الانسـاني او يعـد شاذاً عنـه. فالنفس الانسانية جبلت على مودة الملكات الانسانية والاخلاقية الفاضلة بصرف النظر عمّن يكون حاملها، واتجاهاته ومعتقداته.

وهـذا الكتـاب خصص ـ اساساً ـ للحديث عن الجوانب الاخلاقية

والملكات النفسية التي كان يتمتع بها اعظم رجل انجبته البشرية وعرفه التاريخ، رسول الرحمة والانسانية، محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلم).

والحق ـ ايها القارئ ـ فالحديث عن رسول الانسانية ليس بالسهل اليسير ووجدتني ابحث في موضوع لا أؤمن معه من الفشل والعجز عن اداء حقه. إذ ليس في سعة القلم ان يغوص في هذا البحر دون تحمل عناءٍ وعناء، ودون المشارفة على الغرق ولما اكون قد استوفيت نصيبي من استجماع بعض لئاليه، وليس الحديث عنه الا كما قال الشاعر:

وإنّ قميصاً خيط من نسج تسعة وعشرين حرفاً عن معاليك قاصر

فما عسى ليميني ان تخط فيما تخط من سجايا رجل كان ربيب رب العالمين وتلميذ بارئ الخلائق اجمعين، حيث قال صلّى الله عليه وآله: انا ربيب الله[1].

بيد اني يمكنني الادعاء بأني وفقت ان اجمع ـ فيما جمعت ـ بعض درر هذا البحر ولئاليه، وليس كلها، لان ذلك ما انوء واعجز عنه كما يعجز عنه غيري ايضاً.

فالمتطلع للسيرة النبويه العطرة كثيراً ما تستوقفه، مواقف اخلاقية عديدة تمر في حياة صاحب الرسالة (صلّى الله عليه وآله) لا يملك الا ان يطأطيء الهام، اجلالاً وإكباراً لها، وتحدثه نفسه عن مدى عظمة شخصية الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) ولا تليق تلك المواقف لا حد سوى لمن تفتخر البشرية بانتماءه اليها.

فقد كان الحديث عن عظمة الاخلاق النبوية عند العدو قبل الصديق وعند غير المسلمين قبل المسلمين، مبدين اعجابهم بأخلاقه العظيمة التي اسرت لبابهم واخذت بمجامع قلوبهم حتى ان احدهم (وهو الدكتور مايكل هارت) الف

---

(١) سفينة البحار مادة خلق.

كتاباً للحديث عن اعظم مائة رجل في العالم ووضع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) في المرتبة الاولى يليه السيد المسيح (عليه السلام).

ولا مبالغة في القول بأن ليس هناك احد من عظماء التاريخ وشخصياته المرموقة بمن فيهم الانبياء عليهم السلام يضارع النبي (صلّى الله عليه وآله) في عظيم خلقه.

صحيح ان السيد المسيح (عليه السلام) كان مشهوراً بين الانبياء بخلق عظيم ونفس انسانية لا تضاهىٰ، حتى ان بعض رجال الفكر وعلماء الاديان يرون في المسيحية انها لا تزيد على مجموعة من التعاليم والمناهج الاخلاقية فحسب، الا انه هو الاخر يعجز عن ان يكون عليه السلام نداً في خلقه لخاتم الانبياء محمد (صلّى الله عليه وآله). ذلك ان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) امتاز على السيد المسيح بمسكه لزمام السلطة الزمنية فضلاً عن السلطة الدينية، هذه السلطة التي تمخضت بسببها حياة النبي (صلّى الله عليه وآله) عن جوانب اخلاقية عظيمة لم تكن تبدو في حياة السيد المسيح وهو بعيد عن السلطة الزمنية.

وبعبارة اوضح: فان الرسول الاعظم بسبب رئاسته للحكومة الزمنية السياسية فان صفات اخلاقية كثيرة ظهرت في حياته الشريفه بسبب ما املته تلك السلطة من ملكات.

فمثلاً انك لا تجد في سيرة السيد المسيح من نماذج وقصص العفو عن الخصوم والحلم عن جهل الرعية والكرم في تسيير الحالة الاقتصادية للرعايا والشجاعة في الذود عن حياض الدولة والدين وسعة الصدر في مواجهة المشاكل العويصة بما تفرضه من امتلاك اعصاب حديدية، بقدر ما تجده في سيرة النبي الاكرم (صلّى الله عليه وآله). وانك ايها القارئ، ستدهش حقاً، حين تقرأ في الصفحات المقبلة قصص النماذج الاخلاقية للنبي (صلّى الله عليه وآله)، كم كان النبي (صلّى الله عليه وآله) على غاية التعقل والذكاء والفطنة حين كفى نفسه مؤنة

كثير من الاساليب التي لا بد من استعمالها للوصول الى الاهداف المحددة والتي ما كانت لتتم لو لا اعتصامه بالاخلاق الرفيعة الجميلة الخلابة التي عادت عليه بالنفع في جميع خططه ونجاح اهدافه بكل يسر وسهولة.

ولعلك تستشعر ذلك واضحاً جلياً من قوله (صلّى الله عليه وآله): «**انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**». هذا هو منطق صاحب الرسالة (صلّى الله عليه وآله) الذي يرى الاخلاق الانسانية اشد وقعاً واعمق تأثيراً من مال ينفقه المرء للحصول على نفس ذلك الهدف وقد لا يصل اليه.

الحاجة الى الاخلاق

لقد اكد الاسلام كثيراً على التحلي بالاخلاق الفاضلة والتمسك بأهدابها، واخذت باهتمامه البالغ، وستشاهد ـ ايها القارئ ـ في الفصل الاخير من الكتاب بعض الوصايا للرسول (صلّى الله عليه وآله) بشأن الاخلاق الفاضلة وضرورة التحلي بها وثمة شواهد كثيرة على اهتمام الاسلام العظيم بالاخلاق الفاضلة السامية و وردت بذلك احاديث كثيرة عن النبي (صلّى الله عليه وآله) واهل بيته الكرام تشدد على ضرورة تحلي المؤمن بالاخلاق الكريمة.

فقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «**انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق**»[1] وكلنا يعرف ان الاداة (إنما) تفيد الحصر، بمعنى ان اهم ما بعث من اجله الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) هو الاهتمام بمكارم الاخلاق واكمالها عن طريق السيرة النبوية العظيمة وهي بحد ذاتها تشكل اعظم سيرة اخلاقية شهدها التاريخ ومن ثم لتكون مثلاً يحتذي به المسلمون.

قال ابو ذر (رضي الله عنه) لما بلغه مبعث النبي، لأخيه: اركب الى هذا

---

(١) سفينة البحار ج١ ص ٤١٠.

الوادي فاسمع من قوله (اي النبي). فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الاخلاق[١].

وتتبين اهمية الاخلاق الكبرى في حياة الانسان المؤمن من خلال الاحاديث الكثيرة التي وردت بهذا الشأن.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «**ان اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائه**»[٢].

وقال(صلّى الله عليه وآله): «**ان العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[٣].

وعن الحسن (عليه السلام): «**ان احسن الحسن الخلق الحسن**»[٤].

وقال علي (عليه السلام): «**عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه**»[٥].

وعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «**انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**»[٦].

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اقربكم مني غداً احسنكم خلقاً واقربكم من الناس**»[٧].

وقال علي (عليه السلام): «**رب عزيز اذله خلقه وذليل اعزه خلقه**»[٨].

وعن مسروق قال: دخلت على عبد الله بن عمر وهو يقول: ان نبيكم (صلّى الله عليه وآله) لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وانه كان يقول: «**ان خيركم**

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص ١٦.

(٢) سفينة البحار ج١ ص ٤١٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق ص ٤١١.

(٨) المصدر السابق.

احسنكم اخلاقاً»[١].

وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «**ما شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن**»[٢].

وسئل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن اكثر ما يدخل الجنة؟ فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»[٣].

وبلغ من اهتمام الاسلام بالاخلاق الفاضلة ان رجلاً مشركاً استحق العقاب عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) انقذه حسن خلقه وسخائه ونجى بذلك من الاعدام.

فقد روي عن الامام الصادق (عليه السلام) أن وفداً من اليمن اتى رسول الله وفيهم رجل كان اعظمهم كلاماً وجرأة على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتطاولاً، واشدهم استقصاءً في محاجّة النبي، فغضب النبي (صلّى الله عليه وآله) حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربّد وجهه واطرق الى الارض فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال: ربك يقرؤك السلام و يقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام فسكن عن النبي (صلّى الله عليه وآله) الغضب ورفع رأسه وقال له: لو لا ان جبرئيل اخبرني عن الله عز وجل انك سخي تطعم الطعام لشددت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك، فقال له الرجل: وان ربك ليحب السخاء؟! فقال: نعم. قال: اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله والذي بعثك بالحق لا رددت عن مالي احداً[٤].

وروي ان سفانة بنت حاتم الطائي لما أُتي بها الى رسول الله (صلّى الله عليه

---

(١) الطبقات ج١ ص ٣٧٧.

(٢) تفسير القرطبي ج١٨ ص ٢٢٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البحار ج٢٢ ص ٨٤.

وآله)قالت: يامحمد هلك الوالد وغاب الرافد فأن رأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فان ابي سيد قومه كان يفك العاني ويحمي الذمار ويفرّج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يطلب اليه طالب قط حاجة فرده. انا إبنة حاتم طي. فقال النبي (صلّى الله عليه وآله):«ياجارية هذه صفة المؤمن، لو كان ابوك اسلامياً لترحمنا عليه، خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق»[١].

بينما نجد ان رجلاً عظيمًا من الصحابة وهو سعد بن معاذ رضوان الله عليه والذي كانت له مواقف مشهودة مع النبي واصيب بجرح بليغ في معركة الخندق واستشهد فيما بعد متأثراً بجراحه، وقد حكّمه النبي في الحكم على يهود بني قريظة، ولما حكم فيهم نزل جبرئيل على النبي يخبره بان سعداً حكم بحكم الله من فوق سماواته، وقد ابنّه النبي (صلّى الله عليه وآله) بكلمات بليغة وقال: ان العرش اهتز لموت سعد[٢]، واشترك في تشييعه تسعون الف ملك فيهم جبرئيل[٣]، وخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يمشي خلف جنازته حافياً بغير رداء يأخذ على يمين السريرة وعلى يساره اخرى[٤]، ثم انزله القبر وسوى لبناته بنفسه، سعد مع منزلته العظيمة هذه قال رسول الله لما انزله القبر: لقد اصابت سعداً ضمة وذلك لسوء في اخلاقه مع اهله[٥] من هنا تتبين اهمية الاخلاق في الاسلام، وانها الفيصل في ميزان الانسان، والمعيار الرئيسي في تحديد مصيره.

---

(١) بلوغ الارب ج١ ص ٧٣.

(٢) سفينة البحار ج١ ص ٦٢١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) بحار الانوار ج٢٢ ص ١٠٨.

الفصل الأول :

المنزلة الأخلاقية للرسول ﷺ وعظمه في العهد الجاهلي

نظرة في الواقع الاخلاقي للعهد الجاهلي

لابد قبل الحديث عن منزلة الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) الاخلاقية في عهد الجاهلية، من القاء نظرة سريعة على الوضع الاخلاقي الذي كان يسود المجتمع الجاهليواستشراف الحالة السياسية والاجتماعية فيه، لكي تتجلى عظمة الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) حين الحديث عن منزلته الاخلاقية اكثر من ذي قبل.

الوضع السياسي في العهد الجاهلي:

لقد كان العرب قبل الاسلام في حالة من اشد حالات التمزق والتفرق والانقسام وكانت تقوم لهم في شمال الجزيرة العربية دولتان، كما يلي:

١ـ دولة المناذرة، وهم من العرب النصارى وكانوا ملوك الحيرة ويسمون ايضاً بالملوك اللخميين نسبة الى لخم بن عدي وهم من عرب اليمن نزحوا بعد سيل العرم الذي دمّر مدينة سبأ وهو سد كان بجوار مدينة مأرب وقد تهدم في القرن الثاني الميلادي وطغى على كل المناطق المجاورة، وقد ورد ذكر هذا السيل في القرآن الكريم.

وقد اسس هذه الامارة الملك الفارسي سابور الاول (سنة ٢٤٠ م) وامّر عليها عمرو بن عدي، وكان النظام المتبع ان عرب الحيرة يقدمّون الطاعة لملك فارس وهو يولّي عليهم اميراً من انفسهم، وعليهم ان يحموا فارس من كل مغير من نواحيهم، والفرس مقابل ذلك يعفونهم من دفع الاتاوة[1].

٢ـ دولة الغساسنة، وهم ايضاً عرب كانوا يعتنقون الديانة المسيحية، وقد

---

(١) فجر الاسلام ص ١٦.

نشأوا في اليمن ونزحوا منها كما نزح المناذرة بعد السيل ونزلوا بضواحي الشام واول من عرف من ملوكهم (جفنة) الذي كان يعيش في القرن الثاني الميلادي وظل الملك قائمًا في نسله فحكم منهم سبعة وعشرون ملكاً اخرهم جبلة بن الايهم.

وكان بنو غسان يتبعون الحاكم الروماني المقيم بدمشق من قبل قيصر الامبراطورية الرومانية الشرقية المقيم بالقسطنطينية ترد الاوامر الامبراطورية من الامبراطور الى حاكم دمشق وهو يبلغها الى بني غسان.

وكانت كلتا الدولتين (الغساسنة والمناذرة) عميلتان للاجنبي وتدوران في فلكه، فالمناذرة كانوا عملاء كسرى ملك الفرس والغساسنة عملاء لقيصر الروم وكانا لا يملكان من امرهما شيئاً دون الرجوع الى السلطات الحاكمة في كل من الدولتين الفارسية والرومية . على ان الدولتين العظميين الفرس والروم لم تتورعا عن استخدام هاتين الدولتين كجيش مساعد في حرب كل منهما للاخر. فكان العرب يقتلون في حروب لم تكن لهم فيها اي مصلحة، فالفرس يستعينون بالمناذرة ضد الروم والروم يستعينون بالغساسنة ضد الفرس.

هذا في الشمال، اما في الجنوب فلم يكن الوضع فيه افضل منه في الشمال، فكانت تقوم دولة اليمن وهي الاخرى كانت مرتبطة تارة بإمبراطور الحبشة وتارة بكسرى الفرس. كان حال حاكمها مع امبراطور الحبشة او كسرى الفرس كحال مسئول احدى المقاطعات في دولة مستقلة تصله الاوامر العليا من الحكومة المركزية في العاصمة لا يملك الا تنفيذها، بل لم يكن حاكم اليمن اكثر من موظف لدى الدولة المستعمرة يعين حتى راتبه الشهري الذي يتقاضاه.

الوضع الاجتماعي في العهد الجاهلي.

افضل مرجع للتعرف على الوضع الاجتماعي للعهد الجاهلي هو الروايات

التي رويت عن المعصومين من آل البيت(عليهم السلام)، والتي تمنحنا صورة واضحة وجلية، نستطيع من خلالها لمس الواقع الاخلاقي الذي كان يسود الجاهلية.

وقبل ذلك لا بد من توضيح معنى الجاهلية، «فالجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم ولكن من الجهل الذي هو السفه والغضب والانفة»[١].

يقول الامام امير المؤمنين (عليه السلام) يصف الوضع في العهد الجاهلي:

«ان الله بعث محمداً نذيراً للعالمين وامیناً على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار متنِّخون بين حجارة خشن وحيّات صم تشربون الكدر وتأكلون الجشب[٢] وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم، الاصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة»[٣] نهج البلاغة ـ الخطبة ٢٦.

وتقول السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها التي القتها في مسجد النبي (صلّى الله عليه وآله) امام ابي بكر والمهاجرين والانصار، مخاطبة اياهم:

«وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطيء الاقدام، تشربون الطرق وتقتاتون القدّو الورق،اذلّة خاسئين تخافون ان يتخطّفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تعالى بمحمد (صلّى الله عليه وآله) بعد اللتيا والتي»[٤].

وقال جعفر بن ابي طالب ـ رضوان الله عليه ـ يصف الوضع في الجاهلية، لما دخل على النجاشي وقد سألهم عن حالهم:

«كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش

---

(١) فجر الاسلام ص ٦٩.

(٢) اي الطعام الغليظ.

(٣) اي مشدودة.

(٤) الاحتجاج ص ١٠٠.

ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف»[١].

لم تكن القيم الجاهلية لتجد لها مكاناً في المجتمع الجاهلي الذي اوغل في الابتعاد عن تلك القيم، وهي حتى وان وجدت فلقد كانت تختلف اختلافاً كبيراً عما صوره الاسلام لتلك القيم وحدّد مفاهيمها، وكثيراً ما يتناقضان. فالشجاعة الشخصية والشهامة التي لا حدلها والكر م الى حد الاسراف، والاخلاص الاعمى للقبيلة والقسوة في الانتقام، والاخذ بالثار ممن اعتدى عليه او على قريب له، كلها نماذج من اصول الفضائل عند عرب الجاهلية.

كان الوفاء عندهم يتمثل في شعارهم: انصر اخاك ظالماً ومظلوماً. فكان افراد القبيلة اشد ما يكون من التضامن حتى قال شاعرهم

لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

وكانوا يرون في وأد البنات ذروة الغيرة والحفاظ على الشرف ويرون الشجاعة في كثرة القتل وسفك الدماء في سوح المعارك. كان الظلم يخيم على كل بقعة من تلك الربوع ويضرب في جذورها حتى قال شاعرهم في معلقته:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فالظلم عند هذا الشاعر ضرورة تفرضها الحياة والظروف المحيطة.

ولأتفه الاسباب كانت تنشب بينهم حروب يذهب ضحيتها الوف الناس، وتستمر لسنين طويلة، وابرز الامثلة على ذلك حرب داحس والغبراء وهما فرسان لقيس بن زهير وحذيفة بن فزارة استبقا فاختلفا حول السابق منهما، ادى الى التنازع بينهما ونشوب حرب استمرت اربعين سنة (منذ سنة ٥٦٨ م وحتى سنة ٦٠٨ م)[٢] وكان الزنا والفاحشة منتشرين في الجزيرة العربية وخاصة في مكة. وكانت البغايا يسمين بذوات الرايات لانهن كن ينصبن على بيوتهن رايات تكون

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) راجع الكامل لابن الاثير ج١ ص ٢٠٤.

علمًا لمن يريد الزنا، فاذا حملت احداهن ووضعت حملها دعوا لها بالقافة ثم الحقوا ولدها بالذي تعينه القافة وقد ذكر هشام بن الكلبي في كتابه (المثالب) اسامي صواحبات الرايات في الجاهلية فسمى منهن اكثر من عشر نسوة مشهورات[١] وذكر الالوسي: وكان يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها وذلك انما يكون عن رضاً منها وتواطؤ بينهم فاذا حملت ووضعت ومر ليال بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من احبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع به الرجل[٢].

وكانت ظاهرة انعدام الغيرة مشهودة في مثل هذا المجتمع المنحل. فقد ذكروا:

كان النساء يظهرن ما يقبح اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخّلها فينفرد خلّها بما فوق الازار وينفرد زوجها بما دون الازار الى اسفل وربما سأل احدهم صاحبه البدل[٣].

وكان الرجل يقول لزوجته اذا طهرت من حيضها: ارسلي الى فلان فاستبضعي منه: اي اطلبي منه ان يجامعك ثم يعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب، وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد (!!) لأنهم كانوا يطلبون ذلك من رؤسائهم وكبرائهم وهذا نكاح الاستبضاع[٤].

وهنا لا بدان نشير الى بعض العادات والتقاليد اللااخلاقية التي كانت سائدة في العهد الجاهلي وقد نزل القرآن ـ في بعضها ـ مفنداً ومحرماً له، وهو

---

(١) بلوغ الارب ج٢ ص ٤ ـ ٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بلوغ الارب ج١ ص ١٨.

(٤) بلوغ الارب ج٢ ص ٤.

ماذكره المؤرخون[٣].

١ـ الزواج بالام والبنت والاخت، واول من فعله حاجب بن زرارة وهو سيد بني تميم تزوج ابنته واولدها، وكان قد سماها (دختنوس) باسم بنت كسرى.

وذكر استرابون في احوال عرب اليمن: والزواج عندهم مشترك، يتزوج الاخوة امرأة واحدة فمن دخل منهم اليهاترك عصاه بالباب والليل خاص بأكبرهم وهو شيخهم، وقد يأتون امهاتهم، ومن تزوج من غير عائلته عوقب بالموت. وكان لاحد ملوك العرب إبنة بارعة الجمال لها (١٥) اخاً كل واحد منهم يهواها حتى ملتهم واحتالت على منعهم بعصى اصطنعتها تشبه عصيهم وكان لكل منهم عصا عليها علامته فكانت اذا خرج احدهم من عندها حمل عصاه ومضى فتضع هي مكانها العصا التي اصطنعتها على مثالها فيتوهم سائر الاخوة انه لا يزال عندها وقد يجيء احدهم يتفقد الباب ولما يرى العصا بجانبه يرجع فتبدل العصا الاولى بعصا مثل عصاه وهكذا، فاتفق مرة ان الاخوة كانوا جميعاً في ساحة ورأى احدهم بباب اخته عصاً وليس من اخوته احد غائب فظن فيها السوء وشكاها الى ابيها ولما اطلع على عذرها برأها.[١].

٢ـ الجمع بين الاختين، واول من جمع بينهما ابو جنحة سعيدبن عاصم جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فنزلت الاية الكريمة ﴿**حرمت عليكم امهاتكم**﴾ الى قوله تعالى ﴿**وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيماً**﴾[٢].

٣ـ نكاح الرجل لامرأة ابيه، وكانوا يسمون من فعل ذلك (الضيزن) فنزلت الاية الكريمة ﴿**ولا تنكحوا مانكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف**

---

(١) راجع بلوغ الارب ج٢ ص ٥٢ ـ ٥٦.

(٢) العرب قبل الاسلام ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٣) النساء ـ ٢٣.

انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾ وكان يسمى نكاح المقت ويسمى الولد منه (مقتي) وكان من هذا النكاح الاشعث بن قيس ومعيط جد الوليد بن عقبة.

٤ـ ومنها انهم كانوا يطلقون النساء حتى اذا قرب انقضاء عدتهن راجعوهن لا عن حاجة ولا لمحبة ولكن لقصد تطويل العدة وتوسيع مدة الانتظار ضراراً فنزلت الاية ﴿**واذا طلقتم النساء فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه**﴾.

٥ـ وكانوا يمنعون النساء ان يتزوجن من اردن من الازواج بعد انقضاء عدتهن حمية جاهلية فنزلت الاية ﴿**واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر**﴾.

٦ـ اكراه الجواري على البغاء سعياً وراء المادة والمال. فنزلت الاية ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدينا**﴾ جاء في تفسير الاية: كانت العرب وقريش يشترون الاماء ويضعون عليهن الضريبة الثقيلة ويقولون: اذهبن وازنين واكتسبن فنهاهم الله عن ذلك . وكان لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا اتين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فشكون اليه فنزلت الاية[1].

٧ـ وكانوا اذا مات الرجل منهم كان اولياؤه احق بأمرأته إنْ شاء ان يتزوجها بعضهم وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها فهم احق بها من اهلها فنهى الله عن ذلك بقوله ﴿**يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن**﴾ قال ابن عباس: كان الرجل يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت او ترد اليه صداقها. وفي رواية: ان كانت جميلة تزوجها وان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها.

---

(١) راجع تفسير الميزان ج١٥ ص ١١٨.

٨ـ ومن عاداتهم الطواف حول الكعبة عراة سواء الرجال والنساء وانشأت احداهن وكانت تطوف عارية حول الكعبة:

اليوم يبدو بعضه او كله فما بدا منه فلا احله

هذا عدا عن الخرافات التي انتشرت بينهم وقد ذكر الالوسي منها ما يقرب من الخمسين[١].

٩ـ وكانت دية الملك اذا قتل اكثر بكثير من دية الرجل العادي، فقد كانت دية الملك الف بعير بينما دية سائر الناس لا تتجاوز مئة بعير.

١٠ـ ومن عاداتهم السيئة قتل الاولادخشية الاملاق والفقر فنزل قوله ﴿**ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم**﴾. جاء في تفسير الاية: الاملاق هو الافلاس من المال والزاد ومنه التملق، وقد كان هذا كالسنة الجارية بين العرب في الجاهلية لتسرع الجدب والقحط الى بلادهم فكان الرجل اذا هدده الافلاس بادر الى قتل اولاده تأنفاً من ان يراهم على ذلة العدم والجوع[٢].

١١ـ ومن تلك العادات المقيتة والبشعة: وأد البنات حتى نزل القرآن الكريم يصف تلك الجريمة بأسلوب بلاغي رائع ـ ويعنف العرب على ذلك ويندد بذلك العمل الوحشي. ﴿**واذا بُشِّر اَحدهُم بالانثىٰ ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّر به أيمسكه على هوُن ام يدّسه في التراب ألا ساء ما يحكمون**﴾.

قال الميداني في مجمع الامثال: كان السبب في ذلك ان بني تميم منعوا الملك ضريبة الاتاوة التي كانت عليهم فجرد اليهم النعمان اخاه الريّان مع دوسر وكان اكثر رجالها من بكر بن وائل فاستاق نعمهم وسبى ذراريهم، فوفدت وفود بني

---

(١) بلوغ الارب ج٢ ص ٢٩١.

(٢) الميزان ج٨ ص ٣٧٤.

تميم على النعمان بن المنذر وكلموه في الذراري فحكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك الى النساء فأية امرأة اختارت زوجها ردت عليه فاختلفن في الخيار، وكان فيهن بنت لقيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها فنذر قيس بن عاصم ان يدّس كل بنت تولد له في التراب فوأد بضع عشرة بنتاً.

وقال الالوسي في بلوغ الارب:

وكيفية الوأد ان الرجل منهم اذا ولدت له بنت واراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية[١] فيقول لامها: طيبيها وزينيها حتى اذهب بها إلى احمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض. وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) انه قال: كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة فاذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة واذا ولدت ولداً حبسته.

ومنهم من كان يئد البنات من كانت زرقاء او شيماء[٢] او برشاء[٣] او كسحاء[٤][٥].

والغريب انهم كانوا يفتخرون بتلك الجريمة البشعة حتى قالوا: دفن البنات من المكرمات[٦].

١٢ـ ومن تلك العادات القبيحة عندهم، الميسر وهو القمار، وكان من مفاخر العرب، لانهم يفعلونه في ايام الشدة وعدم اللبن وايام الشتاء، وكانت

---

(١) اي بلغت السادسة.

(٢) اي سوداء.

(٣) يشبه البرص.

(٤) العرجاء.

(٥) بلوغ الارب ج٣ ص ٤٣.

(٦) راجع البهجة المرضية في شرح الالفية للجلال السيوطي ـ باب الوقف.

العرب تمدح من يأخذ القداح وتعيب من لا ييسر، وتسميه (البرم). قال متمم بن نويرة يرثى اخاه مالكاً:

ولا برمـــاً تهدي النســاء لعـرسـه اذا القشـع من برد الشتـاء تقعقعا

النبي (صلّى الله عليه وآله) في المجتمع الجاهلي.

بعد ان استعرضنا الوضع الاخلاقي السائد في الجزيرة العربية بما فيه الـوضع السياسي والاجتماعي الممزق، نوجه دفة الكلام للحديث عن المنزلة الاخلاقية للرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) في العهد الجاهلي، ولنخلص الى ان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) وقبل ان يتحدث القرآن عن عظمة اخلاقه وسمو شمائله، فهناك الكفار والمشركون قد نطقوا بهذه الحقيقة، والنبي (صلّى الله عليه وآله) لم يبعث بعد ولم ينل مقام النبوة.

فلقد كان للتنشئة الكريمة التي نشأ عليها الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) الاثر الاكبر فيما تحلى به النبي (صلّى الله عليه وآله)من اخلاق فاضلة وملكات نفسية لا يضارعه فيها احد. فاتصاف النبي (صلّى الله عليه وآله) بالخلق العظيم لم يكن وليد الفترة التي بعث فيها نبياً، او من افرازات تلك المرحلة تمشياً مع اهمية الوظيفة الملقاة على عاتقه. لا بل التاريخ يذكر ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان ذا منزلة اخلاقية عظيمة في العهد الجاهلي، وكان محل اعجاب قومه والشعب الذي عاش بين ظهرانيه، بل ومضرب المثل في ذلك.

روي عن الربيع بن خيثم قال: كان يتحاكم الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الجاهلية قبل الاسلام[1].

---

(١) سفينة البحار ج١ ص ٤١٨.

والكفـار انفسهم كانوا يشهدون لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) بصدق اللهجة ونزاهة الجانب. فقد روي ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل بن هشام يوم بدر فقال له: يا ابالحكم، ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب؟ فقال ابو جهل: والله ان محمداً لصادق وما كذب قط[١].

وقـال النضـر بن الحارث لقريش: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ارضاكم فيكم واصدقكم حديثاً واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر؟ لا والله ما هو بساحر[٢].

ولمـا بعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى قيصر يدعوه الى الاسلام، احضر ابا سفيان ـ الذي كان آنذاك في بلاد الروم ـ وسأله بعض الاسئلة ـ في حوار طويل ـ مستفسراً عن النبي، ومما سأله، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال؟

قلت: ـ والكلام لابي سفيان ـ لا

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا

قال: كيف عقله ورأيه؟

قلت: لم نعب له عقلاً ورأياً قط[٣].

وهذه شهادة من ابي سفيان للنبي (صلّى الله عليه وآله) وهو مشرك يستنفر الجيوش ضد النبي (صلّى الله عليه وآله) والفضل ما شهدت به الاعداء!

وكـان النبي (صلّى الله عليه وآلـه) يسمى في الجـاهلية: الصـادق الامين ويودعون عنده الودائع، فروي انه لما اراد الهجرة خلف علياً (عليه السلام) لقضاء

---

(١) سفينة البحار ج١ ص ٤١٨.

(٢) الشفا لابن عياض ج٢ ص ١٣٥.

(٣) الكامل لابن الاثير ج٢ ص ٨٠.

ديونه ورد الودائع التي كانت عنده[١].

وروى الطبري: كان قريش تسمي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبل ان ينزل عليه الوحي الامين[٢].

وكلنا قد سمع بقضية الصادق الامين في قصة بناء الكعبة، مما تدل دلالة واضحة جداً على مكانة الرسول الاعظم الاخلاقية عند العرب في الجاهلية ومدى منزلته لديهم، فيروى ان قريش لما بنت الكعبة حتى اذا بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى، تحاوزوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فمكثت قريش اربع ليال او خمس ليال على ذلك، ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا، فقال ابو امية بن المغيرة، وكان عامئذ اسن قريش كلها: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، فكان اول من دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

فلما رأوه قالوا: هذا الامين قد رضينا به، هذا محمد! فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال: هلم لي ثوباً، فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه[٣].

ويقول هبيرة بن وهب المخزومي بعد تحكيم النبي في وضع الحجر:

تشاجرت الاحياء في فصل خطة ... جرت بينهم بالنحس من بعد اسعد
تلاقوا بها بالبغض بعد مودة ... واوقد ناراً بينهم شر موقد
فلما رأينا الامر قد جدّ جدّه ... ولم يبق شيء غير سل المهند

---

(١) سفنية البحار ج١ ص ٤١٨.
(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص ٤١.
(٣) المصدر السابق.

رضينا وقلنا العدل اول طالع يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الامين محمد فقلنا رضينا بالامين محمد
بخير قريش كلها امس شيمة وفي اليوم مع مايحدث الله في غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله اعم وارضى في العواقب واليد
وتلك يد منه علينا عظيمة يروب لها هذا الزمان ويعتدي[١]

ولقد تكرر الحديث عن «الصادق الامين» في ديوان العرب وشعرهم، فهذا ابو طالب رضوان الله عليه يقول:

انت الامين امين الله لا كذب والصادق القول لا لهو ولا لعب
انت الرسول رسول الله نعلمه عليك تنزل من ذي العزة الكتب[١]

وما اجمل ماقاله امير الشعراء احمد شوقي في نهج البردة:

يا جاهلين على الهادي ودعوته هل تجلهون مكان الصادق العلم؟
لقبتموه امين القوم في صغر وما الامين على قول بمتهم

وقال رجل من المشركين دعا عليه النبي (صلّى الله عليه وآله) ان يسلط عليه كلباً من كلابه، قال: والله ما اظلت هذه السماء ذا لهجة اصدق من محمد! فماعتم ان افترسه الاسد في طريق اليمن[٣].

والرواية التالية تفصح عن منزلة النبي (صلّى الله عليه وآله) في الجاهلية ومقامه الرفيع بينهم، فعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

كان رسول الله حرمياً[٤] لعياض بن حماز المجاشعي[٥] وكان عياض رجلاً

---

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢١٢ ـ ٢٣٢ نقلاً عن: فروغ ابديت.
(٢) البحار ج١٨ ص ٢٠٣.
(٣) البحار ج١٨ ص ٢٤١.
(٤) اي صديقاً.
(٥) في الجاهلية.

عظيم الخطر، وكان قاضياً لاهل عكاظ في الجاهلية، فكان عياض اذا دخل مكة القى عنه ثياب الذنوب والرجاسة واخذ ثياب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لطهرها فلبسها، فطاف بالبيت ثم يردها عليه اذا فرغ من طوافه، فلما ان ظهر رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[١] اتاه عياض بهدية فأبى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ان يقبلها وقال: يا عياض لو اسلمت لقبلت هديتك، ان الله عز وجل ابى لي زبد المشركين، ثم ان عياضاً بعد ذلك اسلم وحسن اسلامه فأهدى الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هدية فقبلها منه[٢].

ويبدو ان المقطع الاخير من الرواية الذي يشير الى عدم قبول النبي (صلّى الله عليه وآله) لهدية المشركين من وضع الرواة، لما ثبت ان النبي قبل هدية بعض ملوك الكفار كالمقوقس الذي اهدى له ما رية ام ابراهيم.

وعن الامام الصادق (عليه السلام) ايضاً قال:

كان للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) خليط[٣] في الجاهلية فلما بعث لقيه خليطه فقال للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلم): جزاك من خليط خيراً فقد كنت تؤاتي ولا تماري فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم): وانت فجزاك الله من خليط خيراً فانك لم تكن ترد ربحاً ولا تمسك ضرساً[٤].

ولعل السطور التالية خير شاهد على مقام النبي (صلّى الله عليه وآله) في الجاهلية وسابقته البيضاء فيها، اذ انها جاءت على لسان عمه الذي عاش في كنفه شيخ البطحاء ابي طالب رضوان الله عليه حيث يقول:

---

(١) اي بعث بالنبوة.

(٢) البحار ج٢٢ ص ٢٩٤.

(٣) اي صديق.

(٤) البحار ج٢٢ ص ٢٩٣.

لقد كنت كثيراً ما اسمع منه اذا ذهب من الليل كلاماً يعجبني وكنا لا نسمي على الطعام ولا على الشراب حتى سمعته يقول: بسم الله الاحد، ثم يأكل فاذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله كثيراً. فتعجبت منه وكنت ربما اتيت غفلة فأرى من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السماء، ثم لم ارمنه كذبة قط ولا جاهلية قط ولا رأيته يضحك في غير موضع الضحك ولا وقف مع صبيان في لعب ولا التفت اليهم وكان الوحدة احب اليه والتواضع[١].

وقال يوماً لاخيه العباس:

ياعباس اخبرك عن محمد. اني ضممته فلم افارقه ساعة من ليل او نهار فلم أأتمن احداً حتى نوّمنتهفي فراشي فأمرته ان يخلع ثيابه وينام معي فرأيت في وجهـه الكراهية فقال: يا عماه اصرف بوجهك عني حتى اخلع ثيابي وادخل فراشي، فقلت له: ولم ذاك؟ قال: لا ينبغي لأحد ان ينظر الى جسدي. فتعجبت من قوله وصرفت بصري عنه حتى دخل فراشه فاذا دخلت انا الفراش اذا بيني وبينه ثوب، والله ما ادخلته في فراشي فأمسه فاذا هو الين ثوب ثم شممته كأنه غمس في مسك وكنت اذا اصبحت فقدت الثوب فكان هذا دأبي ودأبه وكنت كثيراً ما افتقده في فراشي فاذا قمت لا طلبه بادرني من فراشي: ها انا ياعم فارجع الى مكانك[٢].

ويقول امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته القاصعة والتى تعد من اجمل وافصح خطب نهج البلاغة حين يتحدث عن النبي (صلّى الله عليه وآله): «**ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيمًا اعـظم ملك من ملائكته ليسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت اتبّعه اتباع الفصيل**

---

(١) البحار ج١٥ ص ٣٣٦.

(٢) البحار ج١٥ ص ٣٣٥.

اثرامه، يرفع لي في كل يوم علماً من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري»[١].

وروي ان بعض اصحاب ابي جعفر بن علي الباقر عليه السلام سأله عن قول الله عز وجل ﴿إلّا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ فقال (عليه السلام): يوكل الله تعالى بأنبياءه ملائكته يحصون اعمالهم ويؤدون اليهم تبليغهم الرسالة ووكل بمحمد (صلّى الله عليه وآله) ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده الى الخيرات ومكارم الاخلاق ويصدّه عن الشر ومساوئ الاخلاق وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يارسول الله. وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد[٢].

وجاء في الكتب التاريخية الموثقة عن محمد بن الحنفية يروي عن ابيه امير المؤمنين عن رسول الله قال: ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته، قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة: لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت اريد ذلك حتى اذا جئت اول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالدف والمزامير فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوج إبنة فلان فجلست انظر اليهم فضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني إلّا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً ثم اخبرته الخبر ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك، فقال: افعل فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة فجلست انظر فضرب الله على اذني فما ايقظني الامس الشمس فرجعت الى صاحبي فأخبرته الخبر ثم ما

---

(١) المختار ٢٣٨ من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد ج١٣ ص ٢٠٧.

هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته[١].

* * *

(١) الكامل لابن الاثير ج٢ ص ١٤ وشرح النهج ج١٣ ص ٢٠٧.

الفصل الثاني :

التصوير القرآني للخلق العظيم

القرآن يصف الخلق النبوي

ما من شك ان اصدق شاهد على عظمة اخلاق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هو القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى ﴿**ومن اصدق من الله قيلا**﴾. والقرآن الكريم أشاد كثيراً بأخلاق صاحب الرسالة (صلّى الله عليه وآله)، وكثرت فيه الآيات التي تتحدث عن اخلاقه الكريمة وسجاياه الفاضلة. فهو يعطي الصورة الواضحة المميزة عن اخلاقه (صلّى الله عليه وآله) ونحن نعيش بعيدين عنه بفاصلة زمنية هي خمسة عشر قرناً. فالقرآن الكريم ابقى الرسول (صلّى الله عليه وآله) حياً في قلوب المسلمين متكاملاً في مشاعرهم، يفيضون تجاهه بمشاعر الحب والتقدير والاعظام، فالمسلمون ـ بهذه الطريقة ـ يشعرون ان الرسول (صلّى الله عليه وآله) حي بتعاليمه واخلاقه ونهجه وان غابت عنهم ذاته المقدسة في عالم الحس ونحن سنتسعرض ما يتيسر لنا من هذه الايات الكريمة:

١ـ ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾[1].

فالاية الكريمة تحكي لنا جانب العفو الرحمة والرفق واللين في حياة الرسول الاعظم، وما اكثر تلك المواقف الاخلاقية في حياته. وسنتطرق لبعض تلك المواقف التي وسعنا العثور عليها في الفصول القادمة.

والاية الكريمة نزلت بخصوص غزوة احد بعد هزيمة المسلمين ووقوع المقتلة العظيمة فيهم، وذلك بعد عصيان اوامر النبي (صلّى الله عليه وآله) العسكرية

---

(١) آل عمران ـ ١٥٩.

واخلائهم مواقعهم طمعاً في الغنيمة مما سبّب استشهاد سبعين رجلاً منهم، فيهم اسد الله ورسوله حمزة سيد الشهداء. فالآية تشيد بعظمة اخلاق الرسول (صلّى الله عليه وآله) الذي لم يعنف المسلمين على عصيانهم لاوامره او لومهم بذلك، وفيهم من فرّ من ساحة العركة ولم يظهر الا بعد ثلاثة ايام[١] ومنهم من فر الى ساحل البحر الاحمر مع العلم ان المسافة بين المدينة والبحر الاحمر قد تزيد على (٢٠٠) كيلو متر!

٢ـ ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾[٢].

لقد وصفت هذه الاية الكريمة الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) بأوصاف تنم عن مدى تأثره واهتمامه بالمسلمين وشئونهم وحرصه عليهم، وحين يصيب الواحد منهم بعض المشقة والعنت فان ظلالاً من الاسى والحزن تخيّم عليه (صلّى الله عليه وآله) وتعبر عن مدى شفقته ورحمته بالمسلمين، وسنسوق في الفصول القادمة بعض الشواهد لذلك.

٣ـ ﴿ومنهم الذي يؤذون النبي ويقولون هو أُذن قل أُذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم﴾[٣].

قال القمي في تفسيره:

كان سبب نزولها ان عبد الله بن نفيل كان منافقاً وكان يقعد لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيسمع كلامه وينقله الى المنافقين وينمّ عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا محمد ان رجلاً من المنافقين ينم عليك وينقل حديثك الى المنافقين فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من هو؟ فقال: الرجل

---

(١) انظر تفسير الميزان ج٤ ص ٦٨.

(٢) التوبة ـ ١٢٨.

(٣) التوبة ـ ٦١.

الاسود الكثير شعر الرأس ينظر بعينين، كأنهما قد ران وينطق بلسان شيطان، فدعاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخبره فحلف انه لم يفعل. فقال رسول الله قد قبلت منك فلا تعد، فرجع الى اصحابه فقال: ان محمداً أُذن، اخبره الله اني انم عليه وانقل اخباره فقبل واخبرته اني لم افعل ذلك فقبل فأنزل الله على نبيه **﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذن قل هو أُذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾** اي: يصدق الله فيما يقول له ويصدقك فيما تعتذر اليه في الظاهر ولا يصدقك في الباطن[١].

لقد كان هذا المنافق يرى في تسامح النبي معه تخبطاً ـ والعياذ بالله ـ منه وسذاجة، بتصديقه لكلام كل احد، وهو يراعي جانبهم ويفيض سماحة وخيراً وعفواً.

٤ـ **﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾**[٢].

ما اعظم ما وصف الله به نبيه..!

ولا احسب ان هناك وصفاً يد اني هذا الوصف من رب العزة لرسوله (صلّى الله عليه وآله) وهو يرى عظمة خلق حبيبه وصفيه!

روى القرطبي في تفسيره عن علي (عليه السلام): هو ادب القرآن وقيل: هو رفقه بأمته واكرامه اياهم[٣].

وقال ايضاً: ولم يذكر خلق محمود إلّا وكان للنبي (صلّى الله عليه وآله) الحظ الاوفر، وسمي خلقه عظيمًا لا جتماع مكارم الاخلاق فيه يدل عليه قوله (عليه السلام)«**ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق**»[٤].

---

(١) تفسير القمي ج١ ص ٣٠٠.

(٢) القلم ـ ٥.

(٣) القرطبي ج١٨ ص ٢٢٧.

(٤) المصدر السابق.

وقد روي عنه (عليه السلام) انه قال: «**ادبني ربي تأديباً حسنا اذ قال ﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ فلما قبلت ذلك منه قال ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾**»[١].

وبعضهم فسر الخلق في الاية الكريمة بالطريقة والسنة، الا ان ذلك بعيد عن فهم العرف ولا شاهد على صحته.

وحسبنا من اخلاق النبي (صلّى الله عليه وآله) النماذج التي سنوردها فيما بعد من هذا الكتاب.

٥ـ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾[٢].

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الاية: اي انك رحمة مرسلة الى الجماعات البشرية كلهم والدليل عليه الجمع المحلّى باللام وذلك مقتضى عموم الرساله[٣].

وروىٰسعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان محمد (صلّى الله عليه وآله) رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الامم من الخسف والغرق[٤].

وروىٰ العلامة الطبرسي عن ابن عباس انه قال: رحمة للبر والفاجر والمؤمن والكافر فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والاخرة ورحمة للكافر بأن عوفي مما اصاب الامم من الخسف والمسخ[٥].

وروي ان النبي قال لجبرئيل لما نزلت هذه الاية: «**هل اصابك من هذه**

---

(١) تفسير القرطبي ج١٨ ص ٢٢٧.

(٢) الانبياء ـ ١٠٧.

(٣) الميزان ج١٧ ص ٣٣١.

(٤) تفسير القرطبي ج١١ ص ٣٥٠.

(٥) مجمع البيان ج٧ ص ٦٧.

الرحمة شيٌ؟ قال: نعم اني كنت اخشى عاقبة الامر فأمنت بك لما اثنى الله عليّ بقوله ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين﴾»[١].

والحديث عن الرحمة في حياة رسول الله حديث طويل مترامي الاطراف ولنا في ذلك شواهد كثيرة ستطلع عليها عن قريب باذن الله.

٦ـ ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً﴾[٢].

والمعنى: انك ستهلك نفسك باعراض المشركين عن الاسلام حزناً واسفاً. وهي تدل بوضوح على مدى شفقة النبي التي عمت حتى المشركين المكذبين برسالته، فهو يكاد يزهق نفسه الشريفة حزناً على ضلالة المشركين وعنادهم لرسالة الاسلام ولَجّهم في غيهم وبقاءهم على ضلالتهم.

قال الطبرسي: وهذه معاتبة من الله سبحانه لرسوله على شدة وجده وكثرة حرصه على ايمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغاً يقرّبه الى الهلاك[٣].

٧ـ ﴿طه ما انزلنا عليك الكتاب لتشقى الا تذكرة لمن يخشى﴾[٤].

لهذة الاية تفسيران: الاول، هو ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يشدّد على نفسه، ويذيقها المشقة الفادحة، فكان يقف على احدى رجليه الكريمتين اوانه كان يقوم على اصابع رجليه حتى تورمت قدماه، فنزلت الاية لتنهاه عن ذلك وتأمره بالرفق بنفسه وهذا التفسير روي عن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكهف ـ ٦.

(٣) مجمع البيان ج٥ ص ٤٥٠.

(٤) طه ـ ١ ـ ٣.

(٥) راجع تفسير القمي ج٢ ص ٥٨.

وهنـاك تفسـير آخر يقول: ان رسول الله كان شديد التأثر والتأسف والحزن على كفر المشركين، وكان يتمنى دائمًا ان يهتدي هؤلاء الى الاسلام وينجوا بذلك من العذاب الخالد في النار، فجاءت الآية لتنهاه ايضاً عن فرط تأسفه الكبير لذلك وان لا يحمل نفسه الشريفه عناء هذا الحزن والاسف[١].

٨ـ ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون﴾[٢].

والآية الانفه تروي كمثيلتيها السابقتين شفقة النبي (صلّى الله عليه وآله) على الكفار ليسلموا ويكونوا بمنأى عن عذاب النار ويفوزوا بسعادة الدنيا والاخرة وما حمله اليهم من مناهج اخلاقية وانسانية لم يأت بمثلها احد غيره.

٩ـ ﴿ولا تبسط يدك كل البسط فتقعد ملوماً محسورا﴾[٣].

قال القمي في تفسيره: كان سبب نزولها ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان لا يرد احداً يسأله شيئاً عنده فجاءه رجل فسأله فلم يحضره شيء فقال: يكون ان شاء الله فقال: يارسول الله اعطني قميصك وكان (صلّى الله عليه وآله) لا يرد احداً عما عنده فأعطاه قميصه فأنزل الله الاية[٤].

وقال جابر وابن مسعود: جاء غلام الى النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: ان امي تسألك كذا وكذا فقال (صلّى الله عليه وآله) ماعندنا اليوم شيء، قال: فتقول لك اكسني قميصك، فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت عرياناً فأذّن بلال للصلاة وانتظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يخرج واشتغلت القلوب فدخل بعضهم فاذا هو عار فنزلت هذه الاية[٥].

---

(١) راجع تفسير القرطبي وبقية التفاسير.

(٢) فاطر ـ ٨.

(٣) الاسراء ـ ٢٩.

(٤) تفسير القمي ج٢ ص ١٩.

(٥) تفسير القرطبي ج١٠ ص ٢٥١.

وهذه الاية تدل على ثلاث من صفاته الكريمة:

١ـ الكرم، حيث خلع قيمصه الذي يرتديه على بدنه واعطاه للسائل ضارباً بذلك اروع الامثلة بالجود والكرم.

٢ـ الحياء، فان النبي (صلّى الله عليه وآله) قد استحيا من الغلام حين طلب قميصه الوحيد ولم يرده خائباً مع حاجته الى القميص.

٣ـ الزهد، فمن هذه الاية يبدو ان النبي لم يكن له قميص غيره، حيث ادى ذلك الى بقاءه في المنزل حين الصلاة وعدم الذهاب الى المسجد لانه كان ـ بأبي وامي ـ عارياً عن القميص لا يملك غيره ليلبسه، كل ذلك وهو فضلاً عن كونه نبياً فهو قائد لدولة كبيرة يقود فيها السلطة الزمنية وتحت تصرفه خزينة الدولة وبيت المال الذي يحوي ما يشتهيه المرء من الاموال وغيرها، وما قيمة قميص لا يزيد على متر او مترين من القماش يغطي جزءً من بدن رسول الله؟! لكنه آثر الاخرة على الدنيا مواسياً بذلك فقراء المسلمين ومعوزيهم والذين كان يضج بهم مسجده في الصفة.

١٠ـ ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق﴾[1].

لهذه الآية تفسيران: الاول، انها نزلت حين بنى رسول الله بزينب بنت جحش فطال جلوس الاصحاب عنده واخذوا في الحديث واطالوا فيه، الا ان رسول الله حياءً وخجلاً لم يقل لهم شيء، فنزلت الاية تؤدّب هؤلاء[2].

---

(١) الاحزاب ـ ٥٣.

(٢) راجع تفسير القرطبي والميزان والقمي.

والتفسير الثاني يقول: ان حياء النبي المذكور في الاية كان سببه ان طول مقام الاصحاب في منزل النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يؤذيه لضيق منزله فيمنعه الحياء ان يأمرهم بالخروج من المنزل[١].

وقال ابن عباس: نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي (صلّى الله عليه وآله) فيدخلون قبل ان يدرك الطعام فيقعدون الى ان يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون[٢].

وقال حماد بن زيد: هذه الاية نزلت في الثقلاء[٣].

ويبدو ان التفسير الاخير اليق بمقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واخلاقه وظروفه المعاشية، وعلى كل التفاسير فان المستفاد من الاية المباركة هو سعة صدر النبي (صلّى الله عليه وآله) واحتمال الاذى وسوء التصرف من بعض الثقلاء من اصحابه وغضه الطرف عن ذلك، ولولا ان الله سبحانه ينبّههم الى خطأهم وينهاهم عن العودة لمثله لكان الحياء يمنع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن تنبيه اصحابه والفاتهم الى ايذاءهم له بهذه المزاحمات.

* * *

(١) مجمع البيان ج٧ ص ٣٦٨.

(٢) القرطبي ج١٤ ص ٢٢٣.

(٣) المصدر السابق.

صورة للوضع الاخلاقي لبعض من عايشهم النبي (ص)

هناك صور كثيرة ذكرها التاريخ لاولئك الذين كانوا يسيئون الادب تجاه رسول الله، ولا يملكون اي حظ من الاخلاق الفاضلة، تغلب عليهم طباع الجفاء والغلظة والبربرية الهمجية، الا ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يواجه مثل هذه المواقف بكل مرونة وليونة، ولو لا ان القرآن يكشف عن تألمه النفسي في بعض المواقف لما كان يتبين للصحابة والاجيال المقبلة اي احساس وتألم نفسي من رسول الله تجاه تلك المواقف، اذ لم يسجل التاريخ في تلك المواقف اي موقف ينمّ عن خشونة او تذمر من النبي، وحسبنا من ذلك نموذجان:

أ ـ من تلك المواقف ان وفد بني تميم كانوا اذا قدموا على رسول الله وقفوا على باب حجرته فنادوا: يا محمد: اخرج الينا وكانوا اذا خرج رسول الله تقدموه في المشي وكانوا اذا تكلموا رفعوا اصواتهم فوق صوته ويقولون: يا محمد يا محمد ما تقول في كذا وكذا كما يكلمون بعضهم بعضاً فنزلت الايات الكريمة ﴿**يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضّون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم**﴾ الحجرات[1] ٢ـ٥.

ولما نزلت هذه الاية المباركة كان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت فقال:

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص ٣١٨.

انا الذي كنت ارفع صوتي على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حبط عملي أنا من اهل النار وجلس في بيته حزيناً، ففقده رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فانطلق بعض القوم اليه فقالوا له: فقدك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مالك؟ قال: انا الذي ارفع صوتي فوق صوت النبي (صلّى الله عليه وآله)، واجهر له بالقول حبط عملي وانا من اهل النار فأتوا النبي (صلّى الله عليه وآله) فأخبروه بذلك فقال: لا بل هو من اهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة قتل[١].

ومع اساءتهم للنبي (صلّى الله عليه وآله) وعدم مراعاة حرمته الا ان النبي (صلّى الله عليه وآله) اكرمهم واجازهم واحسن جوائزهم واسلموا وارجعهم الى قومهم[٢].

ب ـ دخل عيينة بن حصن (زعيم احدى القبائل العربية) على النبي (صلّى الله عليه وآله) وعنده عائشة فدخل بغير اذن فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): فأين الاستئذان؟ قال: ما استأذنت على رجل من مضر منذ ادركت! ثم قال: من هذه الحميراء الى جنبك؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): هذه عائشة ام المؤمنين. قال عيينة: افلا انزل لك عن احسن الخلق وتنزل عنها؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ان الله عز وجل قد حرّم ذلك عليّ، فلما خرج قالت له عائشة: من هذا يا رسول الله؟ قال: هذا احمق مطاع وانه على ما ترين سيد قومه[٣].

نجد ان هذا الرجل يدخل دون استئذان في الوقت الذي نقرأ: عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: كان جبرئيل اذا اتى النبي (صلّى الله عليه وآله) قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يستأذنه[٤].

---

(١) الميزان ج١٦ ص ٣١٧.

(٢) مجمع البيان ج٩ ص ١٣٠.

(٣) البحار ج٢٢ ص ٢٣٩.

(٤) البحار ج١٨ ص ٢٥٦.

١١ـ ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا لقاء الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً﴾ الاحزاب ـ ٢٣

هذه الاية الكريمة وان تكن قد نزلت بشأن غزوة الخندق يعاتب فيها الله المتخلفين عن القتال بأن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان اسوة لهم حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه الى الخندق الا انها غير خاصة بهذا المورد، لان المورد ـ كما يقولون ـ لا يخصص الوارد، فرسول الله اسوة في كل شيء.. في عبادته، في تقواه، في كرمه، في عفته، في تواضعه، في شجاعته، في تسامحه، في كل شيء. الا ان جانب القدوة بدى في معركة الخندق مشرقاً.. وضيئاً.

«فقد خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يعمل في الخندق مع المسلمين يضرب بالفأس، ويجرف التراب بالمسحاة ويحمل التراب في المكتل ويرفع صوته مع المرتجزين وهم يرفعون اصواتهم بالرجز اثناء العمل فيشاركهم الترجيع!

كان هناك رجل من المسلمين اسمه جعيل فكره رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اسمه وسماه «عمرا» فراح العاملون في الخندق يغنون جماعة بهذا الرجز الساذج

سماه من بعد جعيل عمرا وكان للبائس يوماً ظهرا

فاذا مروا في ترجيعهم بكلمة «عمرو» قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «عمرا» واذا مروا بكلمة «ظهر» قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «ظهرا».

وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب فقال (صلّى الله عليه وآله): اما انه نعم الغلام وغلبته عيناه فنام في الخندق وكان القر (اي البرد) شديداً فأخذ عمارة ابن حزم سلاحه وهو لا يشعر فلما قام فزع فقال رسول الله(صلّى الله عليه وآله): يا ابا رقاد! نمت حتى ذهب سلاحك؟ ثم قال: من له علم بسلاح هذا الغلام؟ فقال عمارة: يا رسول الله، هو عندي فقال: فرده عليه، ونهى ان يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعباً!

وهو حادث يصور كذلك يقظه العين والقلب لكل من في الصف صغيراً وكبيراً كما يصور روح الدعابة الحلوة الحانية الكريمة: يا ابا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك ويصور في النهاية ذلك الجو الذي كان المسلمون يعيشون فيه في كنف نبيهم في احرج الظروف ثم كانت روحه (صلّى الله عليه وآله) تستشرف النصر من بعيد وتراه رأي العين في ومضات الصخور على ضرب المعاول فيحدث بها المسلمين ويبث فيهم الثقة واليقين»[1].

* * *

(١) في ظلال القرآن ج ٢١ ص ١٤٦.

الفصل الثالث :

وإنك لعلى خلق عظيم

على ساحل الخلق العظيم

اخلاق النبي كما وصفها اهل البيت والصحابة

من افضل الوسائل للتعرف على اخلاق الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) الكريمة، هو مراجعة النصوص الواردة بهذا الشأن عن اهل البيت (عليهم السلام) واصحابه الذين عاصروه وعاشوا معه مر الحياة وحلوها، اذ كان يعيش معهم كواحد منهم، لا يختلف عنهم في شيء، ولا يرتضى لنفسه ان تكون حياته المادية افضل من حياتهم.

كان امير المؤمنين اذا وصف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال:

«كان اجود الناس كفاً واجرء الناس صدراً واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكه واكرمهم عشرة ومن رآه بديهة هابه ومن خالطه فعرفه احبه، لم ار مثله قبله ولا بعده»[1].

ما اعظم وصف امير المؤمنين (عليه السلام) للنبي (صلّى الله عليه وآله)**«لم ار مثله قبله ولا بعده»**؟!..

وعن يونس عن الحسن قال: سئلت عائشة عن خلق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالت: كان خلقه القرآن[2].

وقالت عائشة: ما كان احدا حسن خلقاً من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال: لبيك فلهذا قال تعالى **﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾**[3].

وروي ان يهودياً من فصحاء اليهود جاء الى عمر في ايام خلافته فقال:

---

(١) البحار ج١٦ ص ٢٣١.

(٢) الطبقات ج١ ص ٣٦٤.

(٣) راجع تفسير الاية من تفسير الفخر الرازي.

اخبرني عن اخلاق رسولكم. فقال عمر: اطلبه من بلال فهو اعلم به مني ثم ان بلالاً دلّه على فاطمة ثم فاطمة دلتّه على علي (عليه السلام) فلما سأل علياً عنه قال: صف لي متاع الدنيا حتى اصف لك اخلاقه. فقال الرجل: هذا لا يتيسر لي، فقال علي: عجزت عن وصف متاع الدنيا وقد شهد الله على قلته حيث قال ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ فكيف اصف اخلاق النبي (صلّى الله عليه وآله) وقد شهد الله تعالى بأنه عظيم حيث قال ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾[١].

وسأل الامام الحسن (عليه السلام) خاله هند بن ابي هالة التميمي (اخو فاطمة(عليهاالسلام) من امها) ان يصف له منطق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال:

كان رسول الله متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة،ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه[٢] ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضولاً ولا قصيراً فيه، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمة وان دقت ولا يذم منها شيئاً، ولا يذم ذواقاً ولا يمدحه ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، اذا تعوطي الحق لم يعرفه احد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، اذا اشار اشار بكفه كلها، واذا تعجب قلبها واذا تحدث اشار بها فضرب راحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى، واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض من طرفه، جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام[٣].

وقال الامام الحسين (عليه السلام)

سألت ابي عن دخول النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: كان دخوله لنفسه

---

(١) راجع تفسير الاية ان الى ربك الرجعى من تفسير الفخر الرازي.

(٢) الاشداق جوانب الفم اي أنه لا يفتح فاه كله.

(٣) مكارم الاخلاق ص ١٣.

مأذوناً له في ذلك وكان اذا آوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة اجزاء جزءً لله عز وجل وجزءً لاهله وجزءً لنفسه ثم جزء جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة والخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً.

فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم وصلح الامة من مسألته عنهم، واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول: ليبلغ الشاهد الغائب وابلغوني في حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من ابلغ سلطاناً حاجة لا يستطيع ابلاغها اياه ثبت الله قدميه يوم القيامة، لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره، يدخلون زواراً، ولا يفرقون الاعن ذواق، ويخرجون ادلة فقهاء.

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله يخزن لسانه الا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا يفرقّهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس الفتن، ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره ولا خلقه، ويتفقد اصحابه، ويسأل الناس عما في الناس فيحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الامر غير مختلف، لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، افضلهم عنده اعمهم نصيحة، واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه؟

قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر الله جل اسمه، ولا يوطن الا ماكن وينهى عن ايطانها[1] واذا انتهى الى قوم جلس

---

(١) اي لا يتخذ لنفسه مجلساً خاصاً.

حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، يعطي كلاً من جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جليسه ان احداً اكرم عليه منه، من جالسه اوقاومه في حاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فكان لهم اباً وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الاصوات ولا يوهن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته[١] متعادلون متفاضلون فيه بالتقوى، متواضعون، يوقرّون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجه ويحفظون الغريب.

قال: قلت: كيف كانت سيرته مع جلسائه؟

قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) دائم البشر،سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: كان لا يذم احداً ولا يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم الافيما يرجو ثوابه، اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير، فاذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اوليهم، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم[٢] ويقول: اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه ولا يقبل الثناء الا عن مكافيء ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء او قيام.

قال: قلت: كيف كان سكوته؟

قال: كان سكوت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على اربعة: على الحلم

---

(١) لا تظهر هفواته.

(٢) اي يستجلبوا الفقير لكي لا يؤذيه.

والحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم والصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستنفره، وجمع له الحذر في اربعة: اخذه بالحسن ليقتدىٰ به وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده فيما اصلح امته، والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والاخرة[١].

وعن انس بن مالك قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا فقد الرجل من اخوانه ثلاثة ايام سأل عنه فإن كان غائباً دعاله وان كان شاهداً[٢] زاره وان كان مريضاً عاده[٣].

وعن ابن عمر قال:

ما رأيت احداً اجود ولا انجد ولا اشجع ولا اوضأ من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٤].

وعن انس قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) احسن الناس خلقاً[٥].

وعن الحسن قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اجود الناس واشجع الناس واحسن الناس ازهر ابيض[٦].

وعن ابن عباس قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا حدث او سأل عن الامر كرره ثلاثاً

---

(١) مكارم الاخلاق ص ١٣ ـ ١٥.

(٢) اي موجوداً في المدينة.

(٣) البحار ج١٦ ص ٢٣٣.

(٤) البحار ١٦ ص ٢٣١.

(٥) الطبقات ج١ ص ٣٦٤ .

(٦) الطبقات ج١ ص ٤١٩.

ليفهم ويفهم عنه[١].

وعن عائشة قالت:

كان رسول الله لا يلتفت الا جميعاً[٢].

وعن زيد بن ثابت قال:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كنا اذا جلسنا اليه، ان اخذنا بحديث في ذكر الاخـرة اخـذ معنا وان اخذنا في الدنيا اخذ معنا وان اخذنا في ذكر الطعام والشراب اخذ معنا، فكل هذا أُحدِّثكم عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٣].

وعن ابي امامة قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا جلس جلس القرفصاء (وهي ان يقيم ساقيه ويستقبلهما بيديه فيشد يده في ذراعه)[٤].

وفي كتاب المحاسن:

لم ير متربعاً قط[٥].

وعن انس قال:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان اذا سلم سلم ثلاثاً واذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثاً[٦].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

---

(١) البحار ج١٦ ص ٢٣٤.

(٢) الطبقات ج١ ص ٤٢٠.

(٣) البحار ج١٦ ص ٢٣٥.

(٤) البحار ج١٦ ص ٢٤١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) صحيح البخاري ج٨ ص ٦٧.

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقسم لحظاته بين اصحابه فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية ولم يبسط (اي يمد) رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رجليه بين اصحابه قط، وان كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا (اي الصحابة) لذلك، كان الرجل اذا صافحه قال بيده فنزعها من يده[١].

وروى الغزالي في احياء العلوم:

كان (صلّى الله عليه وآله) لا يدعوه احد من اصحابه الا قال لبيك[٢].

وقال الديلمي في الارشاد:

لا يمنعه الحياء ان يحمل حاجته من السوق الى اهله ويسلم على من استقبله من غني وفقير وكبير وصغير، ولا يحقر ما دعي اليه ولو الى حشف التمر وكان خفيف المؤنة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسّاماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، متواضعاً من غير مذلة،جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيمًا بكل مسلم، ولم يتجشأ من شبع قط، ولم يمد يده الى طمع قط[٣].

وعن الامام الباقر عليه السلام قال:

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «خمس لا ادعهن حتى الممات:

الاكل على الحضيض (الارض) مع العبيد

ركوبي الحمار مؤكفاً (دون سرج)

وحلبي العنز بيدي

ولبس الصوف

---

(١) البحار ج١٦ ص ٢٦٠.

(٢) سنن النبي للعلامة الطباطبائي ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق ص ٤٢.

والتسليم على الصبيان لتكون سنة بعدي»[١].

وقال الغزالي في احياء العلوم:

ولقد كان رسول الله يدعو اصحابه بكناهم اكراماً لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية، فكان يدعى بما كناه، ويكنّي ايضاً النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن، ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم[٢].

وذكر العلماء في اخلاقه:

كان النبي احكم الناس واحلمهم واشجعهم واعدلهم واعطفهم، لم تمس يده يد امرأة لا تحل، اسخى الناس، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فان فضل ولم يجد من يعطيه ويجنه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرء منه الى من يحتاج اليه.

لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت طعامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير، ويضع ذلك في سبيل الله.

ولا يسأل شيئاً الا اعطاه، ثم يعود الى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شيء.

وكان يجلس على الارض وينام عليها ويأكل عليها، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة او يعقل البعير فيحلبها، ويطحن مع الخادم اذا اعيا (تعب).

ويضع طهوره بالليل بيده.

ولا يتقدمه مطرق (اي انه اكثر الناس اطراقاً الى الارض حياءً) ولا يجلس متكئاً،

ويخدم في مهنة اهله،

---

(١) البحار ج١٦ ص ٢١٥.

(٢) سنن النبي ص ٥٣.

ويقطع اللحم،
واذا جلس على الطعام جلس محقراً،
وكان يلطع اصابعه، ولم يتجشأ قط،
ويجيب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع او كراع،
ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن، ويأكلها ولا يأكل الصدقة،
لا يثبت بصره في وجه أحد.
يغضب لربه ولا يغضب لنفسه،
وكان يعصب (يشد) الحجر على بطنه من الجوع،
يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد،
لا يلبس ثوبين ويلبس الغليظ من القطن والكتان،
اذا لبس جديداً اعطى خلق ثيابه مسكيناً،
يردف خلفه، عبده او غيره،
يركب ما امكنه من فرس او بغلة او حمار،
يركب الحمار بلا سرج وعليه العذار،
ويمشي حافياً وراجلاً بلا رداء او عمامه ولا قلنسوة،
ويشيع الجنائز ويعود المرضى في اقصى المدينة،
يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده،
ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم،
ولا يجفو على احد، يقبل معذرة المعتذر اليه،
كان اكثر الناس تبسمًا مالم ينزل عليه قرآن او لم تجر عظة
وربما ضحك من غير قهقهة،
لا يرتفع على عبيده واماءه في مأكل ولا ملبس،
ما شتم احداً بشتمة، ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة.

ولا لاموا احداً الا قال: دعوه!

ولا يأتيه احد حرّ أوعبد او امة الاقام معه في حاجته،

لا فظ ولا غليظ ولا صخاب ولايجزي بالسيئة السيئة ولكن يغفر ويصفح

يبدأ من لقيه بالسلام ومن رامه بحاجة صابره حتى يكون هوالمنصرف.

ما اخذ احد يده فيرسل يده حتى يرسلها.

واذا لقي مسلمًا بدأه بالمصافحة.

وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته واقبل عليه وقال: الك حاجه؟!

يجلس حيث ينتهي به المجلس

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط له ثوبه،

ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته،

وكان في الرضا والغضب لا يقول الا حقاً،

وكان اكثر طعامه التمر والماء[١].

وذكر الغزالي في اخلاقه:

أنّه ينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر او على اصحابه

ويمشي وحده بين اعداءه بلا حارس،

ولا يهوله شيء من امر الدنيا،

ويخرج الى بساتين اصحابه،

ولا يهاب ملكاً لملكه،

وكان ابعد الناس غضباً واسرعهم رضاً،

وكان ارأف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس [٢].

---

(١) البحار ج١٦ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) سنن النبي ص ٣٧ ـ ٣٨.

وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا كذب عنده الرجل تبسم وقال: انه ليقول قولاً![١].

وعن انس بن مالك قال:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مر على صبيان فسلم عليهم وهو مغذٍّ (اي مسرع)[٢].

وعن اسماء بنت يزيد:

ان النبي مر بنسوة فسلّم عليهن[٣].

وقال الامام علي (عليه السلام):

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكفراً لا يشكر معروفه ولقد كان معروفه على القرشي والعربي والعجمي، ومن كان اعظم معروفاً من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على هذا الخلق؟![٤].

وعن جابر قال:

كان رسول الله اذا خرج مشى اصحابه امامه وتركوا ظهره للملائكة[٥].

وعن انس بن مالك قال:

كنا اذا اتينا النبي (صلّى الله عليه وآله) جلسنا حلقة[٦].

اي ان مجلس النبي (صلّى الله عليه وآله) لم يكن فيه صدر وذيل لتتفاضل الاماكن فيه، بل كان من تعاليمه التسوية بين الاماكن ليتساوى الجميع.

---

(١) المصدر السابق ص ٧٨.

(٢) البحار ج١٦ ص ٢٢٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البحار ج١٦ ص ٢٢٣.

(٥) البحار ج ١٦ ص ٢٣٦.

(٦) المصدر السابق.

وروي ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان لا يدع احداً يمشي معه اذا كان راكباً حتى يحمله معه فان ابى قال: تقدم امامي وادركني في المكان الذي تريد[١].

وفي كتاب النبوة: عن علي عليه السلام قال:

ما فاوضه احد قط في حاجة او حديث فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف، وما نازعه الحديث احد حتى يكون هو الذي يسكت،

وما رؤي مقدماً رجله بين جليس له قط،

ولا عرض له امران الا اخذ بأشدهما،

وما أكل متكئاً قط حتى فارق الدنيا،

وما سئل شيئاً قط فقال: لا،

وكان اخف الناس صلاة في تمام، وكان اقصر الناس خطبة واقله هذراً، وكان يعرف بالريح الطيب اذا اقبل،

وكان اذا اكل مع القوم، كان اول من يبدأ واخر من يرفع يده،

وكان اذا اكل اكل مما يليه،

وكان اذا دعا دعا ثلاثاً،

واذا استأذن استأذن ثلاثاً،

وكان كلامه فصلاً يتبينه كل من سمعه،

وكان نظره اللحظ بعينه،

وكان لا يكلم احداً بشيء يكرهه،

وكان لا يذم ذواقاً (طعاماً) ولا يمدحه[٢].

وسئلت عائشة: كيف كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اذا خلا في

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البحار ج١٦ ص ٢٣٧.

بيته؟ قالت: كان الين الناس واكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم الا أنه كان ضحّاكاً بسّاماً[١].

وقيل لعائشة: ما كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يصنع في بيته؟

قالت: ما يصنع احدكم، يرقع الثوب ويخصف نعله[٢].

وفي رواية اخرى: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[٣].

وفي اخرى انها قالت: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة[٤].

* * *

(١) الطبقات ج١ ص ٣٦٥.

(٢) الطبقات ج١ ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

اخلاق النبي كما وصفتها التوراة والانجيل

عن ابن عباس، انه سأل كعب الاحبار: كيف تجد نعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في التوراة؟

فقال: نجده محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة ويكون ملكه بالشام ليس بفحاش ولا بصخاب في الاسواق ولا يكافئ بالسيئة ولكن يعفو ويصفح[1].

وعن ابي عبد الله الجدلي عن كعب قال: انا نجد في التوراة: محمد النبي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق،ولا يجزي السيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر[2].

وعن سهل مولى عتيبه: انه كان نصرانياً من اهل مريس، وانه كان يتيماً في حجر امه وعمه، وانه كان يقرأ الانجيل، قال: فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة فأنكرت كتابتها حين مرت بي، ومسستها بيدي، فنظرت فاذا فصول الورقه ملصق بغراء (اي ان الصفحة كانت ملصقة بما قبلها بمادة صمغية) ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد (صلّى الله عليه وآله) انه لا قصيرولا طويل،

ابيض ذو ضفيرين، بين كتفيه خاتم،

يكثر الاحتباء، ولا يقبل الصدقة،

ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشاة،

ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر،

---

(١) الطبقات ج١ ص ٣٦٠.

(٢) المصدر السابق.

وهو يفعل ذلك، وهو من ذرية اسماعيل، اسمه احمد.

قال سهل: فلما انتهيت الى هذا من ذكر محمد (صلّى الله عليه وآله) جاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال: مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها؟ فقلت: فيها نعت النبي (صلّى الله عليه وآله) احمد.

فقال: انه لم يأت بعد![١].

لا يلوم احداً

عن انس بن قال: خدمت النبي (صلّى الله عليه وآله) تسع سنين فما اعلمه قال لي قط: هلا فعلت كذا وكذا ولا عاب علي شيئاً قط[٢].

وعن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خادماً قط ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله[٣].

وعن جابر قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لا يلتفت اذا مشى وكان ربما تعلق رداؤه بالشجرة وبالشيء فلا يلتفت، وكانوا يضحكون وكانوا قد امنوا التفاته[٤].

ما قال «لا»

عن محمد بن الحنفية قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لا يكاد يقول لشيء لا، فاذا هو سئل فأراد ان يفعل قال: نعم، واذا لم يرد ان يفعل سكت، فكان قد عرف ذلك منه[٥].

---

(١) الطبقات ج١ ص ٣٦٣.

(٢) مكارم الاخلاق ص ١٦.

(٣) الطبقات ج١ ص ٣٦٨.

(٤) الطبقات ج١ ص ٣٧٩.

(٥) الطبقات ج١ ص ٣٦٨.

وعن انس بن مالك قال:

لم يكن رسول الله سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً، كان يقول لا حدنا عند المعاتبة: ماله ترب جبينه؟[١].

وقال عبد الله بن الحارث الزبيدي:

ما رأيت احداً اكثر تبسمًا من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٢].

وعن اسماعيل بن عياش قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اصبر الناس على اوزار الناس [٣].

ادب الطعام

وروي انه كان لايأكل وحده ما يمكنه[٤].

وقال: الا انبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى

قال: من اكل وحده وضرب عبده ومنع رفده[٥].

وكان اذا اكل سمّى ويأكل بثلاث اصابع ومما يليه ولا يتناول من بين يدي غيره ويؤتى بالطعام فيشرع قبل القوم ثم يشرعون[٦].

وذلك لكي لا يستحي احد من تناول الطعام اذا هو كف عنه.

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

كان رسول الله اذا اكل عند قوم قال: افطر عندكم الصائمون واكل

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٨.

(٤) البحار ج١٦ ص ٢٤٦.

(٥) مكارم الاخلاق ص ٣١.

(٦) البحار ج١٦ ص ٢٤٣.

طعامكم الابرار[١].

وروي ايضاً:

ما ذم رسول الله طعاماً قط، كان اذا اعجبه اكله واذا كرهه تركه.

وكان (صلّى الله عليه وآله) اذا عاف شيئاً فانه لا يحرمه على غيره ولا يبغضه اليه وكان (صلّى الله عليه وآله) يلحس الصفحه ويقول: اخر الصفحه اعظم الطعام بركة،

وكان اذا فرغ من طعامه لعق اصابعه الثلاث التي اكل بها فان بقي فيها شيء عاوده فلعقها حتى تتنظف، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول: انه لايدري في اي الاصابع البركة، وكان (صلّى الله عليه وآله) يغسل يديه من الطعام حتى ينقيهما فلا يوجد لما اكل ريح[٢].

وروي ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يأكل على خوان قط حتى مات ولا اكل خبزاً مرققاً حتى مات[٣].

وعن اسحاق بن عيسى عن ابيه قال:

ما رؤي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يأكل متكئاً قط ولا يطأ عقبه رجلان[٤].

وكان (صلّى الله عليه وآله) يمتنع عن اكل الثوم لما فيه من رائحة غير مرغوبة قد تؤذي جلسائه.

كما انه لم يكن يأكل البصل والكراث لنفس السبب.

روي عن جابر بن عبد الله:

---

(١) مكارم الاخلاق ص ٢٧.

(٢) مكارم الاخلاق ص ٣٠ ـ ٣١.

(٣) مكارم الاخلاق ص ٢٨.

(٤) الطبقات ج١ ص ٣٨٠.

ان النبي أتي بقدر فيه خضروات من بقول، فوجد لها ريحاً فسأل فأخبر بما فيها من البقول، فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): قربوها الى بعض اصحابه كان معه، فلما رآه كره اكلها.

قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): كل فاني اناجي من لا تناجي[١].

وكان رسول الله يحب الذراع لقربها من المرعى وبعدها من المبال.

فعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

كان رسول الله يحب الذراع والكتف ويكره الورك لقربها من المبال[٢].

نموذج النظافة والطهارة

وكان (صلّى الله عليه وآله) شديد الاهتمام بالطهارة والنظافة، يلقي على اصحابه دروساً عملية في هذا المجال، ويشدد عليهم في امر النظافة والاعتناء بالمظهر.

قال الامام الباقر (عليه السلام):

احتبس الوحي على النبي (صلّى الله عليه وآله) فقيل: احتبس عنك الوحي يا رسول الله؟

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): وكيف لا يحتبس عني الوحي وانتم لا تقلمون اظفاركم ولا تنقون روائحكم[٣].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

كان رسول الله ينفق على الطيب (العطر) اكثر مما ينفق على الطعام[٤].

---

(١) البخاري ج١ ص ٢٠٥.

(٢) البحار ج١٦ ص ٢٨٦.

(٣) البحار ج١٨ ص ٢٥٥.

(٤) البحار ج١٦ ص ٢٤٨.

وفي المناقب:

لم يشم منه منذ خلقه الله تعالى رائحة كريهة[١].

وقال انس بن مالك:

صحبت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عشر سنين وشممت العطر كله، فلم اشم نكهة اطيب من نكهة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٢].

وكان (صلّى الله عليه وآله) يعرف في الليلة الظلماء قبل ان يرى بالطيب، فيقال: هذا النبي (صلّى الله عليه وآله)[٣].

وقال الامام الباقر (عليه السلام):

وكان (صلّى الله عليه وآله) لا يمر في طريق فيمر فيه احد بعد يومين او ثلاثة الا عرف انه قد مر فيه لطيب عرفه[٤].

وكان لا يعرض عليه طيب الا تطّيب به.

كان شديد الاهتمام بمظهره وهندامه،

فقد روي أنّه كان يتجمل لاصحابه فضلاً عن تجمله لاهله.

رأته عائشة ذات يوم وهو ينظر في ركوة فيها ماء في حجرتها، يسوّي فيها جمته اذ لم يكن لديه مرآة ينظر فيها، وهو خارج الى اصحابه، فقالت: بأبي انت وامي، تتمرأ في الركوة وتسوي جمتك وانت النبي وخير خلقه؟!

فقال: ان الله يحب من عبده اذا خرج الى اخوانه ان يتهيأ لهم ويتجمل[٥].

---

(١) سنن النبي ص ٤٢.

(٢) الطبقات ج١ ص ٣٧٨.

(٣) مكارم الاخلاق ص ٣٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مكارم الاخلاق ص ٣٥.

أديب رب العالمين

لقد كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على غاية من الادب والعفة وحسن الظن وسمو الاخلاق.

وكيف لا وهو الذي ادبه رب الارباب فكان ربيبه وتلميذه.

كان ابعد ما يكون عن الفحش والبذاءة.

اخرج مسلم في صحيحه:

قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين.

فقال: اني لم ابعث لعاناً وانما بعثت رحمة[1].

وروي ان النبي (صلّى الله عليه وآله) انكر على امرأة لعنت ناقة وعلى رجل لعن بعيراً[2].

ما اروع هذه الاخلاق!

انه ينهى حتى عن لعن الدواب التي لا تشعر ولا تفهم.

ما اجمل ما جاء به رسول الله الينا من مبادئ سامية ومناهج رائعة.

افحشت على الرجل

كان المسلمون في طريقهم الى بدر فلقوا رجلاً من الاعراب فسألوه عما اذا شاهد جيش قريش فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له المسلمون: سلم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

---

(١) صحيح مسلم ج٨ كتاب البر والصله باب النهي عن لعن الدواب.

(٢) جامع السعادات ج١ ص ٣٥٥.

فقال الاعرابي متهكّماً: او فيكم رسول الله؟

قالوا: نعم فسلّم عليه.

فجاء هذا الاعرابي الى النبي وقال: ان كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه!

فقال له سلمه بن سلامة:لا تسأل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واقبل عليّ فأنا اخبرك عن ذلك، نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة!

فقال رسول الله: مه! افحشت على الرجل، ثم اعرض بوجهه عن سلمة، مستنكراً عليه ما بدر منه[١].

لو ابصرونا..

ومن ادبه الجم انه لما كان في الغار تبعه رجال من قريش ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار.

فقال ابو بكر: قد ابصرونا يا رسول الله!

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لو ابصرونا ما استقبلونا بعوراتهم[٢].

فرسول الله يرى، بحسن ظنه بالاخرين، وإنطلاقاً من القيم الاخلاقية التي. يحملها، يرى العمل الذي صدر من هذا المشرك قد صدر منه على غفلة وغير قصد.

لا يستهوينكم الشيطان

قدم رهط من بني عامر على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فشرعوا بالمدح والثناء عليه، فقال (صلّى الله عليه وآله): قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان[٣].

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٢٦٥.

(٢) البحار ج١٩ ص ٣٤.

(٣) الفضيلة الاسلامية ص ٢١٥.

فضح المنافقين

كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يستخدم اسلوباً ذكياً في الكشف عن المنافق وتعريفه للمسلمين بأسلوب اخلاقي عظيم يتفق واخلاقه الكريمة.

فعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يكبر على قوم خمساً وعلى قوم آخرين اربعاً، فاذا كبر على رجل اتهم، يعني بالنفاق[1].

فالنبي (صلّى الله عليه وآله) بأسلوبه هذا كان يؤدي امرين:

١ـ انه يستعمل منتهى الادب والكمال بالصلاة على رجل منافق.

٢ـ يكشف عن نفاقه بهذا الاسلوب لكي لا تأتي الاجيال القادمة وتمجد بهذا المنافق، في ذات الوقت الذي لم يتخذ ضد هذا المنافق اي موقف علني او يصرح بشيء ضده.

موقف مع اليهود

عن الامام الباقر عليه السلام قال:

دخل يهودي على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعائشة عنده فقال: السام عليكم، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): عليكم. ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد عليه كما رد على صاحبه ثم دخل آخر فقال مثل ذلك فرد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما رد على صاحبيه فغضبت عائشة فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود يا اخوة القردة والخنازير.

فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا عائشة ان الفحش لو كان ممثلاً

---

(١) البحار ج٢٢ ص ١٣٥.

لكان مثال سوء، ان الرفق لم يوضع على شيء قط إلّا زانه ولم يرفع عنه قط الاشانه.

قالت: يا رسول الله اما سمعت الى قولهم: السام عليكم؟

فقال: بلى، اما سمعت ما رددت عليهم؟ قلت عليكم[١].

ادب الاستئذان

كان (صلّى الله عليه وآله وسلم) اذا اراد دخول منزل سلم ثلاثاً على اهل الدار فان اذن له دخل والا انصرف.

فعن الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» عن علي (عليه السلام) انه قال لرجل من بني سعد: الا احدثك عني وعن فاطمة؟ الى ان قال:

فغدا علينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ونحن في لحافنا فقال: السلام عليكم فسكتنا و استحيينا لمكاننا ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا.

ثم قال: السلام عليكم فخشينا ان لم نرد عليه ان ينصرف وكان يفعل ذلك فيسلم ثلاثاً فإن اذن له والا انصرف، فقلنا وعليك السلام يا رسول الله ادخل، فدخل[٢].

ان القوم لم يدعوك

ودعاه (صلّى الله عليه وآله) قوم من اهل المدينة الى طعام صنعوه له ولأصحاب له خمسة فأجاب دعوتهم، فلما كان في بعض الطريق ادركهم سادس فما شاهم فلما دنوا من بيت القوم قال للرجل السادس: ان القوم لم يدعوك

---

(١) مرآة العقول ج١٢ ص ٥٤٥.

(٢) سنن النبي ص ٤٣.

فاجلس حتى نذكر لهم مكانك ونستأذنهم لك[١].

ليعز علي قوم

ذكروا: ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان في بعض مغازيه، فمر به ركب وهو يصلي فوقفوا على اصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسائلوهم عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ودعوا واثنوا وقالوا: لو لا انا عجال لإ نتظرنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأقرأوه منا السلام، ومضوا فانفتل (انصرف) رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مغضباً ثم قال لهم: يقف عليكم الركب ويسألونكم عني ويبلغونكم السلام ولا تعرضون عليهم العذاء؟! ليعز على قوم فيهم خليلي جعفر أن يجوزوه حتى يتغدوا عنده[٢].

ادب السلام

قال الشيخ ابو الفتوح في تفسيره:

عن النبي انه كان اذا سلم عليه احد من المسلمين فقال: السلام عليك، يقول (صلّى الله عليه وآله): و عليك السلام ورحمة الله، واذا قال: السلام عليك ورحمة الله، قال النبي: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، وهكذا يزيد في جواب من يسلم عليه[٣].

ادب المجلس

ودخل رجل وهو (صلّى الله عليه وآله) جالس وحده فتزحزح له (اي تباعد

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٣٦.

(٢) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٦٣.

(٣) سنن النبي ص ٧٩.

وتنحى) فقال الرجل: في المكان سعة يارسول الله، فقال (صلّى الله عليه وآله): ان حق المسلم على المسلم اذا رآه يريد الجلوس اليه ان يتزحزح له[١].

* * *

(١) بحار الانوار ج١٦ س ٢٤٠.

من اخلاقيات الرسالة

تحفل السيرة النبوية العطرة بصور رائعة من تعامله الخلقي مع شتى الاشخاص، وخاصة مع اصحابه والذين كانوا حوله يفيض عليهم من اخلاقه الكريمة، مسجلا معهم اروع الامثلة الاخلاقية ليحتذي بها المسلمون في الاجيال القادمة.

مع جرير..

عن جرير بن عبد الله:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) دخل بعض بيوته فامتلأ البيت (يبدو انها كانت وليمة او عرس) ودخل جرير فقعد خارج البيت فأبصره النبي (صلّى الله عليه وآله) فأخذ ثوبه فرمى به اليه، وقال: اجلس على هذا، فأخذه جرير فوضعه على وجهه فقبّله[1].

ومع سلمان..

عن سلمان الفارسي رضوان الله عليه قال:

دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو متكىء على وسادة فألقاها الي ثم قال: يا سلمان ما من مسلم دخل على اخيه المسلم، فيلقي له الوسادة اكراماً له، الا غفر الله له[2].

---

(١) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٣٥.

(٢)البحار ج١٦ ص ٢٣٥.

والفضل ما شهدت به الاعداء

جاء حيي بن اخطب وهو زعيم اليهود في خيبر وذلك قبل وقعة الخندق الى كعب بن اسد القرظي وهوزعيم يهود بني قريظة يستحثه في نقض العهد الذي ابرمه مع الرسول (صلّى الله عليه وآله) حين قدم المدينة، فأغلق كعب دونه باب حصنه وابى ان يفتح له الباب وقال: ويحك يا حيي، اني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاءً وصدقا.

فما زال حتى دخل عليه في الحصن يستحثه في نقض العهد ومساندة قريش التي كانت تنوي غزو النبي (صلّى الله عليه وآله). فكرر عليه كعب بن اسد القرظي قوله. وقال: فدعني وما انا عليه فاني لم ار من محمد الاصدقاً ووفاءً، فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذرة والغارب (اي يخدعه ويمنيه) حتى سمح له ورضخ لطلبه[١].

ولما انتهت معركة الخندق وتبينت خيانة اليهود وحكم على زعمائهم بالاعدام، قدم كعب بن اسد ليضرب عنقه، فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله) لما قدم لاعدامه: يا كعب اما نفعك وصية ابن الحواش ؟ وكان ابن الحواش من احبار الشام قد اخبره بظهور نبيّ في المدينة وامره باعتناق دينه.

فقال كعب: قد كان ذلك يا محمد، ولو لا ان اليهود تعيّرني أنّي جبنت عند القتل لآمنت بك وصدقتك[٢].

---

(١) سيرة ابن هشام.

ولما قدم حيي بن كعب ليضرب عنقه نظر الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: اما والله مالمت نفسي على عداوتك. ولكن من يخذل الله يخذل![١].

مع حذيفة..

لقي النبي (صلّى الله عليه وآله) حذيفة، فمد النبي (صلّى الله عليه وآله) يده، فكف حذيفة يده، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): يا حذيفة بسطت يدي اليك فكففت يدك عني؟ فقال حذيفة: يا رسول الله بيدك الرغبة ولكني كنت جنباً فلم احب ان تمس يدي يدك واناجنب النبي (صلّى الله عليه وآله): فقال اما تعلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر[٢].

لا حاجة لنا بجسده

ويعلمنا رسول الله النموذج التالي درساً اخلاقياً عظيماً..

يقول ابن هشام:

سأل بنو مخزوم بن يقظة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن يبيعهم جسد نوفل بن عبد الله بن المغيرة وكان اقتحم الخندق (في معركة الخندق) فتورط فيه فقتل فغلب المسلمون على جسده.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه، فخلّى بينهم وبينه.

ثم يضيف ابن هشام:

وكانوا قد اعطوا رسول الله بجسده عشرة الاف درهم[٣].

---

(١) البحار ج٢٠ ص ٢٦٣.

(٢) البحار ج١٦ ص ٢٦٩.

(٣) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٢٦٥.

فالرسول (صلّى الله عليه وآله) كان بوسعه ان يساومهم على سعره او على الاقل ان يوافق على السعر الذي قدموه لجثة صاحبهم، خاصة وان خزينة الدولة آنذاك كانت بحاجة الى الاموال التي تملؤها وتسد العجز فيها، الا انه وجد مثل هذه المعاملة والصفقه انها تفقد المعيار الاخلاقي فرفضها، واعطاهم الجثة دون مقابل.

لكنهم الكرار..

وهذا موقف اخلاقي آخر بدر من الرسول (صلّى الله عليه وآله) بعد عودة جيش مؤتة من المعركة وقد تكبّدوا خسائر بشرية فادحة، وكان ممن استشهد في تلك المعركة جعفر الطيار وعبد الله بن رواحة وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم وهم من ابرز الصحابة واجلهم، بعد ان استطاع جيش المسلمين ان يلملم اطرافه وينجو بالبقية الباقية والعودة الى المدينة.

يقول ابن هشام:

لما دنوا تلقاهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) والمسلمون ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) مقبل مع القوم على دابته فقال (صلّى الله عليه وآله): خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فأُتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار، فررتم في سبيل الله! فيقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى[1].

فنحن نشاهد في هذه الحادثة ان النبي (صلّى الله عليه وآله) خرج بنفسه الى استقبال الجيش العائد من مؤتة ثم هو لم يلم الجيش كما لامه بعض المسلمين

---

(١) سيرة ابن هشام ج٤ ص ٢٤.

بحثو التراب عليه، بل كان يقوي من معنوياتهم التي تعرضت الى هزة قوية في معركة مؤتة ويزيد في ثقتهم واعتزازهم ويتناسى ما حدث، ويتمنى لهم النصر المؤزر في المستقبل.

اكرام المسبية

وفي غزوة بني المصطلق كان بين السبابا فتاة تدعىٰ جويرية بنت الحارث ابن ضرار وكان ابوها زعيم قومه، وكان الذي سباها امير المؤمنين(عليه السلام) فجاء بها الى النبي (صلّى الله عليه وآله) فجاء ابوها الى النبي بعد اسلام بقية القوم، فقال: يا رسول الله، ان ابنتي لا تسبىٰ لانها امرأة كريمة. فقال له: اذهب فخيّرها. قال: احسنت واجملت وجاء اليها ابوها فقال لها: يا بنية لا تفضحي قومك، فقالت: قد اخترت الله ورسوله، فقال لها ابوها: فعل الله بك وفعل، فأعتقها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وجعلها في جملة ازواجه، فلما بلغ الناس ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تزوج جويرية بنت الحارث، قالوا: اصهار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأرسلوا ما كان في ايديهم من بني المصطلق، فما علم امرأة اعظم بركة على قومها منها[1].

معذرة الى الله واليكم

قال الامام الصادق (عليه السلام):

أُتي النبي (صلّى الله عليه وآله) بشيء فقسمه فلم يسع اهل الصفة جميعاً، فخص به اناساً منهم، فخاف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ان يكون قد دخل قلوب الاخرين شيء فخرج اليهم، فقال: معذرة الى الله عز وجل واليكم يا اهل

---

(١) البحار ج٢٠ ص ٢٩٠.

الصفة، انا اوتينا بشيء فأردنا ان نقسمه بينكم فلم يسعكم فخصصت به اناساً منكم خشينا جزعهم وهلعهم[١].

بئس اخو العشيرة

وعن الامام الصادق ايضا قال:

بينا رسول الله ذات يوم عند عائشة فإستاذن عليه رجل فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): بئس اخو العشيرة، وقامت عائشة فدخلت البيت واذن له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فدخل فأقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليه (اي جامله واحترمه) حتى اذا فرغ من حديثه خرج فقالت له عائشة: يارسول الله بينا انت تذكره إذ اقبلت بوجهك وبشرك، فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ان من اشر عباد الله من يكره مجالسته لفحشه[٢].

اباء وعزة نفس

ولما عاد (صلّى الله عليه وآله) من الطائف الى مكة بعد موت ابي طالب، وكان قد ذهب اليها داعياً الى الاسلام فلم يجبه فيها احد، كره ان يدخل مكة وليس فيها مجير، فبعث الى مطعم بن عدي وسأله ان يجيره حتى يطوف ويسعى فأجاره فلما فرغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من طوافه وسعيه جاء الى مطعم وقال: ابا وهب! قد اجرت واحسنت، فردّ عليّ جواري. قال: وما عليك ان تقيم في جواري؟ قال (صلّى الله عليه وآله): اكره ان اقيم في جوار مشرك اكثر من يوم. قال مطعم: يا معشر قريش ان محمداً قد خرج من جواري[٣].

---

(١) البحار ج١٦ ص ٢٦٩.

(٢) البحار ج١٦ ص ٢٨١.

(٣) البحار ١٩ ص ٨.

تكريم المرأة

وجاءت امرأة الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقالت: يارسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله.

فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فأجتمعن فأتاهن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فعلمهن مما علّمه الله، ثم قال:

ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة الا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة منهن:

يا رسول الله، اثنين؟ فأعادتها مرتين.

ثم قال (صلّى الله عليه وآله): واثنين واثنين![1]

ايثار وشفقة

وروىابن عباس فقال:

كنت عند النبي (صلّى الله عليه وآله) وعلى فخذه الايسر ابنه ابراهيم وعلى فخذه الايمن الحسين بن علي وهو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا، فهبط جبرئيل بوحي من رب العالمين، فلما سري عنه قال: اتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لست اجمعهما، فأفد احدهما بصاحبه، فنظر النبي الى ابراهيم فبكى ونظر الى الحسين فبكى وقال: ان ابراهيم أُمه أمة ومتى مات لم يحزن عليه احد غيري وام الحسين فاطمة وابوه علي ابن عمي لحمي ودمي ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت انا عليه وانا اؤثر حزني على حزنهما. يا جبرائيل يقبض ابراهيم فديته الحسين، فقبض بعد ثلاث فكان النبي (صلّى الله عليه وآله) اذا رأى الحسين مقبلاً قبلّه وضمّه الى صدره ورشف ثناياه وقال:

---

(١) صحيح البخاري ج٩ كتاب الاعتصام باب تعليم النبي امته من الرجال والنساء.

فديت من فديته بابراهيم[١].

ما اعظم هذا الموقف من رسول الله!

وما اكبر ذلك القلب الذي يحمله بين جوانحه!

وما اجمل تلك العاطفة التي تكن في صدره!

لقد فدى الحسين بأبنه إبراهيم، وآثر ابنته وزوجها على نفسه، و ما اعظم ما يفكّر به النبي!

ونحن نقول: فدينا من فداه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بابنه الحبيب.

لست ارضى لكم ما اسخطه لنفسي

كان النبي (صلّى الله عليه وآله) ذات يوم يأكل تمراً، فاذا مر بحشفه (وهو قشر التمر) امسكها في يده فقال له قائل: اعطني هذه التي بقيت.

قال: اني لست ارضى لكم ما اسخطه لنفسي![٢].

ما اروع هذه الاخلاق واجلها!

حقاً انها تبهر النفس وتدهش العقل، ولا تليق الا فيمن قال فيه عز وجل ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾

موقف مع الانصار

لما وجد الانصار على رسول الله حين اعطى المؤلفة قلوبهم ما اعطاهم ولم يعطهم مثلهم جاءه سعد بن عبادة يخبره بوجدهم عليه فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فلما اجتمعوا له اتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الانصار، فأتاهم رسول الله، فحمد الله واثنىٰ عليه

---

(١) البحار ج٢٢ ص ١٥٣.

(٢) الطبقات ج١ ص ٣٩٣.

بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الانصار ما مقالة بلغتني عنكم وجِدة وجدتموها عليّ في انفسكم؟

الم آتكم ضلّالاً فهداكم الله؟

وعالة فأغناكم الله؟

واعداءً فألف الله بين قلوبكم؟

قالوا: بلى، الله ورسوله امّن وافضل.

ثم قال: الا تجيبوني يا معشر الانصار؟

قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنّ والفضل!

قال (صلّى الله عليه وآله) اما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم: اتيتنا مكذّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك وطريداً فأويناك، وعائلاً فآسيناك، اوجدتم يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا تألّفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم؟ الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءً من الانصار ولو سلك الناس شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار.

فبكى القوم حتى خضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتفرّق القوم[1].

قبول الموادعة

قدمت قبيلة اشجع المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيله، فأخرج اليهم النبي (صلّى الله عليه وآله) احمال التمر ضيافة وقال: نعم الشيء الهدية امام

---

(١) سيرة ابن هشام ج٤ ص ١٤٣.

الحاجة وقال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: لقرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا ـ يعنون بني ضميره الذين بينهم وبينهم عهد ـ لقلتنا فيهم، فجئنا لنوادعك، فقبل النبي (صلّى الله عليه وآله) ذلك منهم ووادعهم فرجعوا الى بلادهم[١].

اسلام يهودي

روي عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال:

ان يهودياً كان له على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دنانير فتقاضاه،

فقال (صلّى الله عليه وآله): يا يهودي ما عندي ما اعطيك.

فقال: اني لا افارقك حتى تقضيني.

فقال (صلّى الله عليه وآله): اذاً أجلس معك.

فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة والغداة، وكان اصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يتهددّونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اليهم.

فقال: ما الذي تصنعون به؟

فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟

فقال (صلّى الله عليه وآله): لم يبعثني ربي عز وجل بأن اظلم معاهداً ولا غيره، فلما علا النهار، قال اليهودي: اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله، وشطر (نصف) مالي في سبيل الله، وكان اليهودي كثير المال[٢].

مع جارية..

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

---

(١) البحار ج١٩ ص ١٤٦.

(٢) بحار الانوار ج١٦ ص ٢١٧.

بينما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذات يوم جالس في المسجد اذ جاءت جارية لبعض الانصار وهو قائم فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي(صلّى الله عليه وآله) فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي (صلّى الله عليه وآله) شيئاً ففعلت ذلك ثلاث مرات فقام لها النبي (صلّى الله عليه وآله) في الرابعة وهي خلفه فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت، فقال لها الناس:

فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثلاث مرات لا تقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك اليه؟

قالت: ان لنا مريضاً فأرسلني اهلي لآخذ هدبة من ثوبه ليستشفي بها فلما اردت اخذها رآني فقام فاستحييت ان آخذها وهو يراني واكره ان استأمره في اخذها فأخذتها[١].

مع الجارود..

قال ابن هشام:

قدم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الجارود بن بشر وكان نصرانياً فلما انتهى الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كلّمه فعرض عليه النبي (صلّى الله عليه وآله) الاسلام ودعاه اليه ورغبه فيه فقال: يا محمد اني كنت على دين وانّي تارك ديني لدينك، افتضمن لي ديْني؟

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): نعم انا ضامن ان قد هداك الله الى ما هو خير منه.

فاسلم واسلم اصحابه[٢].

---

(١) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٦٤.

(٢) سيرة ابن هشام ج٤ ص ٢٢١.

أُمي، أمي

وروي:

استأذنت امرأة علي النبي (صلّى الله عليه وآله) كانت ارضعته، فلما دخلت عليه قال: امي، امي. وعمد الى رداءه فبسطه لها فقعدت عليه[١].

* * *

(١) بحار الانوار ج١٥ ص ٤٠٢.

رائـد التواضـع

لقد كان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) النموذج المثالي الرائع في التواضع ولا احد يدانيه في هذه المزية، وقد زخرت كتب التاريخ والسيرة بروائع من تواضع الرسول (صلّى الله عليه وآله)، وهي لم ترولنا منه سوى النزر اليسير، وحسبنا من ذلك النماذج التالية:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

كان رسول الله يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير[1].

وعن انس بن مالك قال:

كان رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) يعود المريض، ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار وكان يوم خيبر ويوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف تحته إكاف من ليف[2].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا دخل منزلاً قعد في ادنىٰ المجلس حين يقعد[3].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) أيضاً قال:

ما اكل رسول الله متكئاً منذ بعثه الله عز وجل حتى قبض وكان يأكل

---

(١) البحار ج١٦ ص ٢٢٢.

(٢) مكارم الاخلاق ص ١٥.

(٣) البحار ج١٦ ص ٢٤١.

اكلة العبد ويجلس جلسة العبد. قلت: ولم ذاك؟ قال: تواضعاً لله عز وجل[١].

وعن انس بن مالك قال:

لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكانوا اذا رأوه لم يقوموا اليه لما يعرفون من كراهيته لذلك[٢].

وعن ابي امامة قال:

خرج علينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) متوكئاً على عصاه فقمنا له، فقال: لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً[٣].

وروي انه أردف اسامه في حجة الوداع حين دفع من الموقف واردف الفضل لما دفع من المشعر واردف عبد الله بن مسعود[٤].

وافاد الحافظ بن منده: ان الذين اردفهم النبي (صلّى الله عليه وآله) ثلاثة وثلاثون نفسا[٥].

هوّن عليك!

وعن ابن مسعود قال:

أتىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله) رجل يكلمه فأرعد، فقال (صلّى الله عليه وآله) : هوّن عليك، فلست بملك، انما انا ابن امرأة كانت تأكل القد ! (اللحم النيء)[٦].

وعن ابي ذر رضي الله عنه قال:

---

(١) البحار ج ١٦ ص ٢٤١.

(٢) مكارم الاخلاق ص ١٦.

(٣) سفينة البحار ج١ ص ٤١٧.

(٤) سفينة البحار ج١ ص ٤١٧.

(٥) نقلاً عن: سفينة البحار ج١ ص ٤١٨.

(٦) مكارم الاخلاق ص ١٦.

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يجلس بين ظهراني اصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسأل فطلبنا الى النبي (صلّى الله عليه وآله) ان يجعل مجلساً يعرفه الغريب اذا اتاه فبنينا له دكاناً (دكة) من طين فكان يجلس عليها ونجلس بجانبيه[١].

كم هو عظيم رسول الله؟

لقد كان مكانه المميز دكة من طين، وليس عرشاً محشواً بالرياش الفاخر كما كان شأن اكاسرة ذلك العصر وقياصرتهم. انه يأبىٰ ان يتميز على اصحابه، الا حين تقضي الضرورة، والضرورة هي: دكة طينية!

وسئلت عائشة: ما كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يصنع اذا خلا؟

قالت: يخيط ثوبه، ويخصف نعله[٢]!

ومن تواضعه انه كان يسلم على الجميع دون استثناء. واقول: دون استثناء لانه كان يلقي بالسلام حتى على الاطفال والنساء.

قال انس بن مالك:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مر على صبيان فسلم عليهم وهو مغِّذ (مسرع)[٣].

وعن اسماء بنت يزيد قالت:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) مر بنسوة فسلم عليهن[٤].

وعن انس بن مالك قال:

كانت الامة من اماء المدينة تأخذ بيد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فتنطلق

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٣٠.

(٣) مكارم الاخلاق ص ١٦.

(٤) المصدر السابق.

به حيث شاءت[١].

ومن اعبد مني؟

قال الامام الصادق (عليه السلام):

مرت امرأة بدوية برسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يأكل، وهو جالس على الحضيض، فقالت: يا محمد انك لتأكل اكل العبد وتجلس جلوسه!

فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ويحكِ ! اي عبد اعبد مني؟

قالت: فناولني لقمة من طعامك، فناولها،

فقالت: لا والله الا التي في فمك، فأخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اللقمة من فمه فناولها فأكلتها.

قال الامام الصادق (عليه السلام): فما اصابها داء حتى فارقت الدنيا[٢].

وعن علي (عليه السلام) في حديثه عن النبي (صلّى الله عليه وآله):

ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها، واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك.[٣].

ما وجدت بوّاباً !

اخرج البخاري في صحيحه: عن انس بن مالك يقول لأمراة من اهله:

هل تعرفين فلانه؟ قالت: نعم.

قال: فان النبي (صلّى الله عليه وآله) مر بها وهي تبكي عند قبر.

فقال (صلّى الله عليه وآله): اتقي الله واصبري.

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص ٢٤.

(٢) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٢٦.

(٣) مكارم الاخلاق ص ١٤.

فقالت:اليك عني فانك خلوٌ من مصيبتي، فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال:

ما قال لك رسول الله؟

قالت: ما عرفته.

قال: انه رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بواباً فقالت:

يا رسول الله، ما عرفتك.

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): ان الصبر عن اول صدمة[١].

وهذا الحديث يشير فضلاً عن تواضعه واستغناءه عن البواب والحارس، فانه يشير الى حلمه وعفوه وتسامحه تجاه هذه المرأة التي أساءت الادب معه.

﴿والله يعصمك من الناس﴾.

وكان رسول الله يتحارسه اصحابه فأنزل الله تعالى اليه ﴿يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك﴾ فترك الحارس حين اخبره الله تعالى انه يعصمه من الناس بقوله ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾[٢].

لست بملك..

عن ابي هريرة قال:

دخلت السوق مع النبي (صلّى الله عليه وآله) فاشترى سراويل وقال للوازن: زن وارجح. فوثب الى يد النبي (صلّى الله عليه وآله) يقبلها فجذب النبي (صلّى الله عليه وآله) يده وقال: هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك، انما انا

---

(١) صحيح البخاري ج٩ كتاب الاحكام باب ما ذكر ان النبي لم يكن له بوّاب.

(٢) البحار ج١٦ ص ٢٥٧.

رجل منكم. ثم اخذ السراويل، فذهبت لأحملها فقال: صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله[١].

انه ليس جباراً..

وعن المسور بن مخرمة: ان اباه قال له: يا بني انه بلغني ان النبي (صلّى الله عليه وآله) قدمت عليه اقبية فهو يقسمها فاذهب بنا اليه، فذهبنا فوجدنا النبي (صلّى الله عليه وآله) في منزله فقال لي: يا بني ادع لي النبي (صلّى الله عليه وآله) فأعظمت ذلك فقلت: ادعو لك النبي (صلّى الله عليه وآله)؟

فقال: يا بني انه ليس بجبار. فدعوته فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب.

فقال: يا مخرمة، هذا خبأناه لك، فأعطاه اياه[٢].

اسقوني مما يشرب الناس !

روى عن ابن عباس: ان النبي (صلّى الله عليه وآله) طاف بالبيت ثم اتى الساقية، فقال: اسقوني.

فقال له ابن عباس، ألا نحوص لك سويقاً[٣]؟ فان هذا يتناول منه الناس.

فقال (صلّى الله عليه وآله): اسقوني مما يشرب الناس [٤]!

في هذا الحديث نجد ان النبي (صلّى الله عليه وآله) يأبى ان يعامل معاملة

---

(١) الشفا للقاضي عياض ج١ ص ١٠٣.

(٢) صحيح البخاري ج٧ ص ٢٠٠.

(٣) الناعم من دقيق الحنطة.

(٤) النبي محمد ص ٢٢٣ لعبد الكريم الخطيب.

تختلف عن سائر الناس، ويرفض ان يصنع له سويق، لأنّ الناس لم يسقوه، ويصر على ان يسقى مما يشرب منه عامتهم وهو الماء، وهو بذلك يعلّم المسلمين، ان حياة قائدهم يجب ان تكون كحياتهم، غير متفاضلة عنهم.

وعلّي جمع الحطب!

ومن اروع ما ضربه مثلاً في التواضع انه (صلّى الله عليه وآله) كان في سفر مع اصحابه، فأمر باصلاح شاة.

فقال رجل:يا رسول الله، علّي ذبحها.

وقال الاخر: علّي سلخها.

وقال الاخر: علّي طبخها.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): وعلّي جمع الحطب.

فقالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك.

فقال: قد علمت انكم تكفوني ولكن اكره ان اتميز عليكم، فان الله يكره من عبده ان يراه متميزاً بين اصحابه، وقام فجمع الحطب[1].

في الخندق

وفي ايام الخندق العصيبة، كان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) يضرب اروع الامثلة بمشاركة المسلمين همومهم واعمالهم، دون اي تميز عليهم. كان معهم كواحد منهم، يعمل في حفر الخندق على مكانته السامية وعلو مقامه، فهو رئيس الدولة من جانب وخاتم النبيين من جانب، الا ان ذلك لم يمنعه من المشاركة بنفسه مع سائر المسلمين في حفر الخندق.

---

(١) سفينة البحار ج١ ص ٤١٥.

روى شيخنا العلامة المجلسي والبخاري ايضاً عن البراء بن عازب قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ينقل معنا التراب يوم الاحزاب وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول:

لا هم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الاولى لقد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا[١]

مع حذيفه

روي ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خرج الى بئر يغتسل فأمسك حذيفة بن اليمان بالثوب على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وستره حتى اغتسل، ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الثوب وقام يستر حذيفة، فأبىٰ حذيفة وقال: بأبي انت وامي يارسول الله لا تفعل، فأبىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل وقال: ما اصطحب اثنان قط الاوكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه[٢].

في بناء المسجد..

ولما انشغل المسلمون في بناء المسجد بالمدينة، كان المسلمون ينقلون الحجارة، فأقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يحمل حجراً على بطنه، فأستقبله اسيد بن حضير فقال: يا رسول الله اعطني احمله عنك، قال: لا، اذهب فاحمل غيره[٣].

---

(١) بحار الانوار ج٢٠ ص ١٩٩ وصحيح البخاري ج٥ ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٢) سفينة البحار ج١ ص ٤١٦.
(٣) بحار الانوار ج١٩ ص ١١٢.

وفي رواية اخرى:

لما بنى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مسجده طفق ينقل معهم اللبن ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابرّ ربنا واطهر

ويقول:

لا هم ان الاجر اجر الاخره فارحم الانصار والمهاجرة[١]

مع صفية

قال ابن عباس:

لما ارادت صفية بنت حيي اليهودي ان تركب (يوم خيبر) وقد اخذها رسول الله، ادنى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فخذه منها لتركب عليها، فأبت (احتراماً للنبي (صلّى الله عليه وآله)) ووضعت ركبتها على فخذه ثم حملها، ثم خيرها بين ان يعتقها وتكون زوجته او تلحق بأهلها، فأختارت ان يعتقها وتكون زوجته[٢].

مع سعد بن معاذ..

كان احد الصحابة، يدعى سعد بن معاذ، وهو يعد في طليعة الصحابة وخيرتهم، وله مواقف كريمة ومشهودة مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فضلاً عن كونه من زعماء الانصار واشرافهم، وللنبي (صلّى الله عليه وآله) في حقه كلمات عظيمة ذكر بعضها في حياته وابنّه ببعضها بعد استشهاده، وكان يجلّه اجلالاً كبيراً ويحترمه كثيراً، ويجازيه على اياديه الكريمة عنده، وبعد استشهاده قال

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٨.

(٢) البحار ج٢١ ص ٣٣ ـ ٣٤.

النبي في حقه «رحمك الله يا سعد فلقد كنت شجّاً في حلوق الكافرين ولو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضة الاسلام كعجل قوم موسى»[١].

ذكر المؤرخون:

ان عرقة الكناني رمى سعد بن معاذ رحمه الله بسهم في الخندق فقطع اكحله فنزفه الدم فقبض سعد على اكحله بيده وامسك الدم وتورمت يده، فضرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) له في المسجد خيمة وكان يتعاهده بنفسه[٢].

مع المستضعفين..

كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يجد في قربه الى المستضعفين والمعوزين والفقراء راحة وسكينة لايجدها وهو قريب من الاغنياء والمترفين.

ذكروا: انه كان بالمدينة فقراء مؤمنون يسمون اصحاب الصفة، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) امرهم ان يكونوا في صفة يأوون اليها، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يتعاهدهم بنفسه وربما حمل اليهم ما يأكلون، وكانوا يختلفون الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان اذا جاء الاغنياء والمترفون من اصحابه ينكرون ذلك عليه ويقولون: اطردهم عنك. فجاء يوماً رجل من الانصار الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعنده رجل من اصحاب الصفة قد لزق برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ورسول الله يحدّثه، فقعد الانصاري بالبعد منهما، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): تقدم! فلم يفعل، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لعلك خفت ان يلزق فقره بك؟ فقال الانصاري: اطرد هؤلاء عنك، فأنزل الله: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون**

---

(١) سفينة البحار ج١ ص ٦٢١.

(٢) البحار ج٢٠ ص ٢٣٢.

ربهم بالغداة والعشي﴾[١].

انا عبد من عبيد الله!

قال ابو ذر رحمه الله: رأيت سلمان وبلالاً يقبلان الى النبي (صلّى الله عليه وآله) اذ انكب سلمان على قدم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فزجره النبي (صلّى الله عليه وآله) عن ذلك ثم قال له: يا سلمان لا تصنع بي ما يصنع الاعاجم بملوكها .. انا عبد من عبيد الله آكل ما يأكل العبد واقعد كما يقعد العبد[٢].

---

(١) البحار ج ٢٢ ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) البحار ج ٢٢ ص ٥٣.

مدرسة الوفاء

تطلعنا السيرة النبوية العطرة على جانب انساني عظيم من حياة الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله)، نجد في هذا الجانب خصلة الوفاء عند النبي (صلّى الله عليه وآله) متجلية بأحلى صورها وابهى اشكالها، ونستشف منها ان اختيار الله عز وجل لمحمد (صلّى الله عليه وآله) خاتماً للأنبياء، لم يكن اختياراً تلقائياً او عادياً، وانما كان ذلك الاختيار ناجماً عن تلك الملكات النفسية العظيمة لديه، ومنها الوفاء.

موقف مع عمار بن ياسر

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه:

كنت ارعى غنيمة اهلي، وكان محمد (صلّى الله عليه وآله) يرعى ايضاً، فقلت: يا محمد هل لك في فخ، فاني تركتها روضة برق؟ قال: نعم، فجئتها من الغدو وقد سبقني محمد (صلّى الله عليه وآله) وهو قائم يذود غنمه عن الروضة. قال (صلّى الله عليه وآله): اني كنت واعدتك فكرهت ان ارعى قبلك[1].

وآخر مع ابي الحميساء

قال ابو الحميساء:

بايعت النبي (صلّى الله عليه وآله) (اي بعته شيئاً) قبل ان يبعث فواعدته مكاناً فنسيته يومي والغد فأتيته يوم الثالث، فقال (صلّى الله عليه وآله): يا فتىٰ لقد

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٢٤ .

شققت عليّ، انا هنا منذ ثلاثة ايام[١].

كان منه المحشر

قال الامام الصادق (عليه السلام):

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعد رجلاً الى صخرة، فقال: انا ها هنا حتى يأتي. فاشتدت الشمس عليه فقال له اصحابه: يا رسول الله لو انك تحوّلت الى الظل؟ قال: وعدته الى ها هنا وان لم يجيء كان منه المحشر![٢].

مع الشيماء ..

سيقت الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى اخت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من الرضاعة فعنفوا عليها في السياق فقالت للمسلمين: تعلموا والله اني لاخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى اتوا بها الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلما انتهي بها الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قالت: اني اختك من الرضاعة. قال (صلّى الله عليه وآله): وما علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتينها في ظهري وانا متوركتك (حاملتك). فعرف رسول الله العلامة، فبسط لها رداؤه فأجلسها عليه، وخيّرها وقال (صلّى الله عليه وآله): ان احببت فعندي محبة مكرمة، وان احببت ان امتعك وترجعي الى قومك فعلت، فقالت: بل تمتعني وتردني الى قومي، فمتعها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وردّها الى قومها واعطاها غلاماً له يقال له مكحول وجارية فزوجت احدهما الاخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقيه[٣].

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٣٥ .

(٢) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٣٩ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٠١ .

مع الانصار..

ولما فتح النبي (صلّى الله عليه وآله) مكة ودخلها قام على الصفا يدعو الله وقد احدقت به الانصار، فقالوا فيما بينهم: اترون رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذ فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ (صلّى الله عليه وآله) من دعاءه قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى اخبروه، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): معاذ الله! المحيا محياكم والممات مماتكم![1]

ومع مشرك..

نهىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله) يوم معركة بدر، المسلمين ان يقتلوا مجموعة من المشركين منهم ابو البختري بن هشام بن الحارث وقال (صلّى الله عليه وآله): من لقي منكم ابا البختري بن هشام بن الحارث بن اسد فلا يقتله.

قال ابن هشام في السيرة:

وانما نهىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن قتل ابي البختري لانه كان اكفّ القوم (مشركي مكة) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو بمكة، وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم[2].

مع النجاشي..

عندما اشتد الخناق على الفئة المؤمنة في مكة، توجهت مجموعة منهم

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨١ .

برئاسة جعفر الطيار رضوان الله عليه الى الحبشة، بأمر من النبي (صلّى الله عليه وآله) وطلب اللجوء من امبراطورها النجاشي، فأكرم النجاشي وفادتهم ورحب بهم، ولما القى جعفر الطيار آيات بينّات من القرآن على مسامع النجاشي، لم يتمالك دموعه، واسلم على يديه .

ولقد كان النجاشي يحمل لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) الود والولاء الكبيرين، وهو يعيش ببدنه بعيداً عنه، إلّا ان قلبه وروحه كانتا مع النبي (صلّى الله عليه وآله). حتى ان الاحداث التي كانت تلم بالنبي (صلّى الله عليه وآله) تؤثر فيه سلباً وايجاباً. فيروى ان جعفر الطيار (رضوان الله عليه) لما قدم من الحبشة قال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): احدثك يا رسول الله، دخلت على النجاشي يوماً من الايام، وهو في غير مجلس الملك وفي غير رياشه وفي غير زيه، فحييته بتحية الملك وقلت له: يا ايها الملك ما لي اراك في غير مجلس الملك وفي غير رياشه وفي غير زيه؟ فقال: انا نجد في الانجيل من انعم الله عليه بنعمة فليشكر الله ونجد في الانجيل ان ليس من الشكر لله شيء يعدله مثل التواضع وانه ورد علّي في ليلتي هذه ان ابن عمك محمداً قد اظفره الله بمشركي اهل بدر فأحببت ان اشكر الله بما ترى[1].

وكان النبي (صلّى الله عليه وآله) يتحيّن الفرص ليسدي الى النجاشي بعض احسانه، ويكافئه على صنيعه، ويفي له فى ذكراه .

قال ابو قتاده:

وفد وفد النجاشي، فقام النبي (صلّى الله عليه وآله) يخدمهم فقال له اصحابه: نكفيك فقال (صلّى الله عليه وآله): انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان

---

(١) بحار الانوار ج ٧٥ ص ١٢٢ .

اكافئهم[١].

ولما اتى جبرئيل الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بنعي النجاشي وموته بكى بكاء حزين عليه وقال: إنّ اخاكم اصحمة (وهو اسم النجاشي) مات، ثم خرج الى الجبّانة (المقبرة) وكبّر سبعـاً فخفض الله كل مرتفع حتى رأى جنازته وهو بالحبشة[٢].

مع ثويبة مولاة ابي لهب

روي ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب، مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل: من بقي من قرابتها؟ وذلك لكي يصلهم وفاءً لها.

فقيل: لا احد[٣].

وفاؤه لخديجة

حقاً، لم تنل من نساء النبي (صلّى الله عليه وآله) عنده ما نالته السيدة خديجة ـ رضوان الله عليها ـ ولم تحظ ايٌّ منهن عنده كما حظيت هي، ولم يحمل لاحداهن من الحب والود كما حمل لها.

وحين ماتت خديجة وتزوج النبي (صلّى الله عليه وآله) بنساء اخريات كن اكثر جمالاً وشباباً من خديجة، الا ان ذلك لم يطفي تلك الجذوة في قلب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تجاهها ولم يغير شيئاً من ذكراها الحبيبة عنده.

ولقد فسر النبي (صلّى الله عليه وآله) السبب الذي يقف وراء حبه ووفاءه

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٤١٧ .

(٢) بحار الانوار ج ١٨ ص ٤١٨ .

(٣) سفينة البحار ج ١ ص ٤١٧ .

لذكرى خديجة، حين رأته عائشة لا يفتأ يذكر خديجة، فثارت بوجهه، مندفعة بعـوامل الغيرة، قائلة: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، ابدلك الله خيراً منها؟!

فتغير وجه النبي وقال غاضباً:

والله ما ابدلني الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني اذ كذبني الناس، وواستني بمالها اذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء[١].

وقالت عائشة:

ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها، وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى اخلائها[٢].

وكان (صلّى الله عليه وآله) اذا سمع باسم خديجة لم يتمالك نفسه من البكاء وكان يردّد:

خديجة!.. واين مثل خديجة؟! صدّقتني حين كذبنّي الناس وآزرتني على دين الله، واعانتني بما لها[٣].

وروي ان عجـوزاً دخلت على النبي (صـلّى الله عليه وآله) فألطفها، فلما خرجت سألته عائشة فقال: انها كانت تأتينا في زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان[٤].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ترجمة خديجه.

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٣٨٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ص ٣٧٩.

الوفاء المنافق..

عن جابر بن عبد الله قال:

لما كان يوم بدر أُتي بأسارى وأُتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب. فنظر النبي (صلّى الله عليه وآله) له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه، فكساه النبي (صلّى الله عليه وآله) اياه، فلذلك نزع النبي قميصه الذي البسه.

قال عيينة: كانت له عند النبي (صلّى الله عليه وآله) يد فأحب ان يكافئه[1].

ولجاهلي..

قال الامام الصادق (عليه السلام):

نزل رسول الله على رجل في الجاهلية فأكرمه، فلما بعث محمد (صلّى الله عليه وآله) قيل له: يا فلان اتدري من هذا النبي (صلّى الله عليه وآله) المبعوث؟ قال: لا. قالوا: هذا الذي نزل بك يوم كذا كذا فأكرمته فأكل كذا وكذا، فخرج حتى اتى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله، تعرفني؟

قال: من انت؟

قال: انا الذي نزلت بي يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا فأطعمتك كذا وكذا.

فقال: مرحباً بك، سلني.

قال: ثمانين ضائنة ـ وفي رواية اخري: مأتي شاة ـ برعاتها.

فأطرق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ساعة ثم امر له بما سأل، ثم قال للقوم:

---

(١) صحيح البخاري ج ٦ كتاب الجهاد والسير باب الكسوة للاسارىٰ.

ما كان على هذا الرجل ان يسأل سؤال عجوز بني اسرائيل؟

فقالوا: يارسول الله، وما سؤال عجوز بني اسرائيل؟

فذكر لهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قصتها، وخلاصتها ان موسى عليه السلام حين خرج من مصر، بحث عن عظام يوسف ليحملها معه الى فلسطين فلم يجدها، ولم يكن هناك من يعرف اثرها، وبعد البحث والفحص وجد عجوزاً تعرف مكانها، فاشترطت عليه ـ لكي تدّله عليها ـ ان يسأل الله ان يعيد لها شبابها وان تكون معه وفي درجته في الجنّة ، وبعد لحظة من التردد والسكوت وافق عليه السلام على مضض[١].

والنبي (صلّى الله عليه وآله) يقصد من وراء قصّة عجوز بني اسرائيل، الى ان هذا الاعرابي كان بوسعه ان يسأل ما سألته عجوز بني اسرائيل، فأين سؤاله (٢٠٠) شاة من سؤالها؟!

اليوم يوم بر ووفاء

بعد ان اخذ النبي (صلّى الله عليه وآله) مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة سادن الكعبة وكسرّ الاصنام التي كانت منصوبة على الكعبة وبداخلها، قال: اين عثمان بن طلحة؟ فدعي له فقال: هاك مفتاحك، اليوم يوم بر ووفاء[٢].

مع الصحابة..

كما انتهج الوفاء مع الجميع، كان وفياً مع اصحابه ايضاً.

فقد قال (صلّى الله عليه وآله) ذات يوم: لو اني اكره ان يقال: ان محمداً

---

(١) بحار الانوار ج ٢٢ ص ٢٩٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٦ .

استعان بقوم حتى اذا ظفر بعدوه قتلهم لضربت اعناق قوم كثير[١].

فكلمتـه هذه تشـير الى ان خيانات بعض الصحابة وجرائمهم كانت تستدعي ان يضرب النبي (صلّى الله عليه وآله) اعناقهم، ولم يمنعه من ذلك الا الوفاء.

ذلك ان النبي (صلّى الله عليه وآله) لو فعل ذلك، لصدق على رسالته القاعدة الشهيرة التي لم تشذ عنها اية ثورة وحركة: الثورة كالقطة، تأكل ابناءها.

فرسالة النبي (صلّى الله عليه وآله) هي الوحيدة التي لم تأكل ابناءها.. لانها كانت رسالة انسانية، ولان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان ينتهج منهج الوفاء، لا الغدر، وان عاد عليه بالمصلحة الآنية..

هذا الوفاء كلّه في الجانب السلبي، اما في الجانب الايجابي فالحديث فيه طويل، اليك بعضاً منه.

مع سعد بن معاذ..

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

اتي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقيل له: سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقام اصحابه معه فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب فلما حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بلا حذاء ولا رداء ثم كان يأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهى به الى القبر فنزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى لحده وسوى عليه اللبن وجعل يقول: ناولوني حجراً.. ناولوني تراباً.. فيسد به مابين اللبن فلما ان فرغ وحثا عليه التراب وسوّى قبره قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اني لأعلم

---

(١) بحار الانوار ج ٢٢ ص ١٤١ .

انه سيبلى ويصل البلى اليه ولكن الله عز وجل يحب عبداً اذا عمل عملاً احكمه[١].

مع عثمان بن مظعون..

قال الامام الصادق (عليه السلام):

إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبّل عثمان بن مظعون بعد موته[٢].

مع جعفر وزيد

وعن الامام الصادق ايضاً:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) حين جاءته وفاة جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة كان اذا دخل بيته كثر بكاؤه عليهما جدّاً ويقول: كانا يحدثاني ويؤنساني فذهبا جميعاً[٣].

وروي: لما بلغه خبر مقتل جعفر، اخذه (صلّى الله عليه وآله) المغص في بطنه[٤].

ومن حديث عبد الله بن جعفر قال:

انا احفظ حين دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على امي فنعى لها ابي فأنظر اليه وهو يمسح على رأسي ورأس اخي وعيناه تهراقان الدموع حتى تقطر لحيته، فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتى رقي الى المنبر واجلسني امامه على الدرجة السفلى والحزن يعرف عليه، فقال: ان

---

(١) بحار الانوار ج ٢٢ ص ١٠٧ .

(٢) بحار الانوار ج ٢٢ ص ٢٦٤ .

(٣) بحار الانوار ج ٢١ ص ٥٥ .

(٤) بحار الانوار ج ٢١ ص ٥٨ .

المرء كثير بأخيه وابن عمه، الا ان جعفراً قد استشهد وجعل له جناحان يطير بهما في الجنة، ثم نزل ودخل بيته وادخلني معه وامر بطعام يصنع لاجلي وارسل الى اخي فتغدينا عنده غداءً طيباً مباركاً واقمنا ثلاثة ايام في بيته ندور معه كلما صار في بيت احدى نساءه، ثم رجعنا الى بيتنا، فأتانارسول الله (صلّى الله عليه وآله) وانا اساوم شاةً لاخي، فقال: اللهم بارك له في صفقته.

قال عبد الله: فما بعت شيئاً واشتريت شيئاً الا بورك لي فيه[١].

دلوني على قبره

واخرج البخاري في صحيحه:

ان رجلاً اسوداً او امرأة سوداء كان يقّم (يكنس) المسجد، فمات فسأل النبي (صلّى الله عليه وآله) عنه فقالوا: مات.

قال: افلا كنتم آذنتموني به؟! دلوني على قبره. فأتى قبره فصلّى عليه[٢].

* * *

(١) بحار الانوار ج ٢١ ص ٥٥ .

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١١٧ .

مدرسة الحياء

روي عن ابي سعيد الخدري قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه[1].

وقال ايضاً:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حيّياً لا يسأل شيئاً الا اعطاه[2].

وروي انه كان من حياءه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما إضطرّه الكلام اليه مما يكره[3].

وروي ان المنا فقين اتفقوا ذات يوم على ان يتبّعوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين يريد الحاجة لينالوا منه ويعيبوه، فقال احدهم. هذه صحراء ملساء، لأتعمدن النظر اليه اذا قعد لحاجته حتى انظر هل الذي يخرج منه كما يخرج منا ام لا؟ فقال له آخر: لكنك ان ذهبت تنظر معه، منعه من ان يقعد، لانه اشد حياءً من الجارية العذراء الممتنعة المحرمة![4].

موقف مع اليهود..

لما نزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على حصن بني قريظة، وكان كعب بن اسيد يشتمه ويشتم المسلمين، فلما دنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من حصنهم

---

(١) مكارم الاخلاق ص ١٧ .

(٢) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٣٠ .

(٣) الشفا للقاضي عياض ج ٢ ص ١١٩ .

(٤) بحار الانوار ج ١٧ ص ٣١٥ .

قال: يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت اتشتموني؟ إنّا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم.

فأشرف عليهم كعب بن اسيد من الحصن فقال: والله يا ابالقاسم ما كنت جهولاً ولا سباباً!

فاستحيا رسول الله حتى سقط رداؤه من ظهره حياءً مما قال!

وفي رواية الطبرسي:

قال بعد قوله «فساء صباح المنذرين» ياعبّاد الطواغيت، اخسأوا خسأكم الله. فصاحوا يميناً وشمالاً: يا ابا القاسم ما كنت فحّاشاً فما بدا لك؟!

قال الصادق (عليه السلام):

فسقطت العنزة (العصا) من يده وسقط رداؤه (صلّى الله عليه وآله) من خلفه ورجع يمشي الى وراءه حياءً مما قال[1]!

في عرس الزهراء (عليه السلام)

لما اراد علي (عليه السلام) الزواج من فاطمة(عليها السلام) قال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): هيّيء منزلاً حتى تحوّل فاطمة اليه، فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله ما ههنا منزل الا منزل حارثة بن النعمان.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): والله لقد أستحيينا من حارثة بن النعمان، قد اخذنا عامة منازله، فبلغ ذلك حارثة فجاء الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله انا ومالي لله ولرسوله. والله ما شيء احب الّي مما تأخذه والذي تأخذه احبّ الّي مما تتركه، فجزاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خيراً[2].

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٣٦٢ .

(٢) بحار الانوار ج ١٩ ص ١١٣ .

مناجاة رجل

عن انس بن مالك قال:

اقيمت الصلاة (يبدو انها العشاء) ورجل يناجي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فما زال يناجيه حتى نام اصحابه ثم قام فصلّى[١].

ويبدو من هذا الحديث ان النبي (صلّى الله عليه وآله) منعه الحياء من ان يقطع مناجاته مع الرجل والقيام للصلاة، مما ادى الى نوم بعض المصلّين في اماكنهم.

* * *

(١) صحيح البخاري ج ٨ ـ كتاب الاستئذان باب طول النجوى.

مدرسة الشجاعة

واذا اردنا ان نقف على مدى شجاعة النبي (صلّى الله عليه وآله)، فخير دليل وشاهد على ذلك، هو شهادة اشجع العرب وقاتل صناديد قريش والعرب، سيدنا امير المؤمنين علي بن ابي طالب علي (عليه السلام) الذي قال: والله لو تظاهرت العرب علىٰ قتالي لما وليت منها، والذي سارت بشجاعته الركبان وملأت الخافقين.

يقول امير المؤمنين (عليه السلام):

لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي (صلّى الله عليه وآله) وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأساً.

وقال: كنا اذا حمّر البأس ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فما يكون احد اقرب الى العدو منه[1].

وقال صفي الدين الحلي يصف شجاعته (صلّى الله عليه وآله):

افنى جيوش العدى فلست ترى سوى قتيل ومأسور ومنهزم

وسئل رجل البراء بن عازب وقال: افررتم يوم حنين عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟

فقال البراء: لكن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يفر!

ثم قال:

لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحرث آخذ بلجامها والنبي (صلّى الله عليه وآله) يقول:

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٣٢ .

قيل: فما رؤي يومئذ احد كان اشد منه[١].

انا ابن العواتك من قريش

قال الامام الصادق (عليه السلام):

اغار المشركون على سرح المدينة فنادى فيها منادٍ: يا سوء صاحباه! فسمعها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الجبل فركب في طلب العدو وكان اول اصحابه لحقه ابو قتاده على فرس له وكان تحت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سرج دفتّاه ليف ليس فيه اشر ولا بطر، فطلب العدو فلم يلقوا احداً، وتتابعت الخيل فقال ابو قتادة: يا رسول الله ان العدو قد انصرف فإن رأيت ان نستبق.

فقال: نعم، فاستبقوا فخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سابقاً عليهم، ثم اقبل عليهم فقال: انا ابن العواتك من قريش انه لهو الجواد البحر، يعني فرسه[٢].

قتلني محمد !

لما انصرف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم احد، ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول:لانجوت إن نجوت، فقال القوم: يارسول الله الا يعطف عليه رجل منا؟ فقال:دعوه، حتى اذا دنا منه، وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيقول: عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): بل انا اقتلك ان شاء الله، فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الحربة من الحارث بن الصمّه ثم

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٤١٤ .

(٢) بحار الانوار ج ١٩ ص ١٧١ .

استقبله فطعنه في عنقه فخدش خدشة، فتدهده عن فرسه وهو يخور خوار الثور وهو يقول: قتلني محمد، فاحتمله اصحابه وقالوا: ليس عليك بأس. فقال: بلى. لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم، اليس قال لي: اقتلك؟ لو بزق عليّ بعد تلك المقالة لقتلني، فلم يلبث يوماً حتى مات[١].

لن تراعوا

عن انس بن مالك قال:

كان في المدينة فزع فركب النبي (صلّى الله عليه وآله) فرساً لابي طلحه فقال: ما رأينا من شيء وان وجدناه لبحراً.

وبرواية اخرى عن انس قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اشجع الناس واحسن الناس واجود الناس. قال: لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقد سبقهم، وهو يقول: لم تراعوا، وهو على فرس لابي طلحة وفي عنقه السيف، فجعل يقول للناس : لم تراعوا، وجدناه بحراً او انه لبحر[٢].

* * *

(١) بحار الانوار ج ٢٠ ص ٢٦ .

(٢) مكارم الاخلاق ص ١٩ .

مدرسة الشورىٰ

الحاجة الى الشورى

جاء في الاحاديث ما يؤكد ان النبي (صلّى الله عليه وآله) امتاز على البشريه جمعاء بكمال العقل وسداد الرأي، وانه ما كلم احداً بكنه عقله قط.

وهذا المعنى واضح، وليس بحاجة الى اقامة البرهان عليه، خصوصاً بعد ان تعددت الآيات الكريمة التي تدل على صواب آراء النبي (صلّى الله عليه وآله) وعصمته عن الخطأ ونزاهته عن كل نقص وخطل في الرأي والعمل. حتى روي ان الله عز وجل لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد (صلّى الله عليه وآله) الا كحبة رمل من بين جميع رمال الدنيا، وان محمد (صلّى الله عليه وآله) ارجح الناس عقلاً وافضلهم[1].

الا ان ذلك كله لم يمنع من ان يأمر الله سبحانه نبيه بالتمسك بالشورىٰ ومشاورة اصحابه في كثير من القضايا الهامة والحساسة، والتعرف على ارائهم فيها.

يقول ابو هريره: ما رأيت أحداً اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[2].

وبلغ من اهمية الشورىٰ في الاسلام ان بعض الفقهاء عدّ في خصائص النبي (صلّى الله عليه وآله) وجوب المشاورة ولزوم استشارة الاخرين عليه[3].

---

(١) حلية الاولياء ج ٤ ص ٢٦ .

(٢) سنن البيهقي ج ٧ ص ٤٥ .

(٣) راجع تفسير الاية ﴿وشاورهم في الامر﴾ من تفسير ألقرطبي، والتذكرة للشهيد الاول.

والـواقـع فان الـرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) لم يكن بحاجة الى استـطراق آراء الاخرين بغية اتخاذ قرار ما بشأن الاحداث القائمة، بعد ما عرفت ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان اكمل عقلاً وانضج تفكيراً، وادق رأياً من غيره.

فلماذا اذن كانت الحاجة الى الشورى واستقراء آراء الاخرين؟!

الجواب عن ذلك: هو ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يريد بذلك ان تكون سيرته درساً حياً على مر العصور لجميع الاجيال الاسلامية تحذو حذوه، وتتبع خطاه. فعل ذلك ليعلمنا ان طريق النجاح في الحياة هو مشاورة الاخرين ومشاركتهم آرائهم.

فعل ذلك لكي لايتمكن الخلفاء الذين سيلونه من التمسك بحجة وذريعة حين يفـرضون ديكتاتوريتهم واستبدادهم عـلـى الشـعـب الاعزل وينسب بعضهم مايقترف من جرائم الى الدين والاسلام.

اذ لما كان الـرسـول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) وهو اشرف الكائنات وافضلها يستشير في اموره، فما حجة هؤلاء المستبدين إذن؟

هكذا أراد النبي (صلّى الله عليه وآله) ان ينزع هذا السلاح من يد هؤلاء..

ولست اقصـد من هذا الكلام ان النبي (صلّى الله عليه وآله) شرّع مبدأ الشورى ليسير على دربه الحكام والخلفاء من بعده فحسب، فمبدأ الشورى لا يقتصر على شأن الحكومة والسلطة، بل يعم كل الطبقات والامور.

فما المانع ان يستشير الاب ابنه وافراد عائلته؟!..

وما المانع ان يستشير الزوج زوجته؟!..

وما المانع ان يستشير رب العمل عماله وموظفيه؟..

وهكذا وهلم جرا..

والغريب ان هذه الاية الكريمة ﴿فبما رحمة من الله لِنت لهم ولو كنت

فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوّكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾ نزلت بعد هزيمة المسلمين في أُحد، حين شاور النبي (صلّى الله عليه وآله) اصحابه ونزل عند رأي الاكثرية منهم الذين كانوا يطالبون بالخروج الى الكفار عند جبل احد، وقد دلت الاحداث على صواب رأي النبي (صلّى الله عليه وآله) بعدم الخروج وخطأ رأي اصحابه، مما سبّب نزول الكارثة وهزيمة المسلمين، وعلى الرغم من ذلك كله فالآية الكريمة تأمر النبي (صلّى الله عليه وآله) بأن يشاور اصحابه في الامر وتقول ﴿شاورهم في الامر﴾ مع ما ظهر من عدم جدوائية اتبّاع النبي (صلّى الله عليه وآله) لرأي اصحابه..

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على المكانة الكبيرة التي يوليها الاسلام للشورى وتأكيده البالغ عليها.

دخل رجل واسمه معمر بن خلّاد على الامام الرضا (عليه السلام)، وكان للامام خادم امين، واسمه سعد، يقوم ببعض شئونه (عليه السلام) ويقضي له بعض الحوائج، قد توفي، فقال الامام الرضا (عليه السلام) لمعمر يستشيره: اشر عليّ برجل له فضل وامانة.

فتعجب هذا الرجل من استشارة الامام الرضا (عليه السلام) اياه، خاصة وان الامام فضلاً عن كونه اماماً للمذهب الشيعي، وهو الامام المعصوم، كان ولياً لعهد الخليفة المأمون العباسي، وتعجّب الرجل له ما يبرره، لما اعتاده من التعايش مع الاسلوب الذي ينفذه الخلفاء آنذاك في الاستبداد والديكتاتورية، فخاطب الامام مستغرباً: انا اشير عليك؟!..

فقال الامام (عليه السلام) شبه المغضب: ان رسول الله كان يستشير

اصحابه ثم يعزم علىٰ ما يريد[١].

وجاء في كتاب الكافي: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا اراد الحرب دعا نساءه فاستشارهن[٢].

يوم الخندق

عن جابر بن عبد الله قال:

لما اجتمعت الاحزاب من العرب لحرب الخندق، استشار النبي (صلّى الله عليه وآله) المهاجرين والانصار في ذلك، فقال سلمان الفارسي: ان العجم (الايرانيين) اذا حزبها (اصابها) امر مثل هذا اتخذوا خنادق حول بلدانهم وجعلوا القتال من وجه (طرف) واحد، فأوحى الله اليه ان يفعل مثل ما قال سلمان[٣].

ثم بدأت بعد ذلك عملية حفر الخندق.

يوم أُحد

ذكر ابن هشام انّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال حين عزم على الخروج الى احد مخاطباً اصحابه:

فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فان اقاموا، اقاموا بشرّ مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها.

---

(١) سنن النبي ص ٦٩ .

(٢) سنن النبي ص ٥٦ وفي بعض نصوص هذا الحديث اضافة (فخالفهن) وهي غير صحيحة قطعاً واغلب الظن انها من اضافة الرواة، وذلك لان تعليق تقرير مصير الحرب وماله من نتائج كبيرة ومخلفات عظيمة على مجرد مخالفة رأي زوجاته غير معقول اضف الى ذلك ما اذا تطابق رايهن مع رأيه المسبق، فماذا يصنع في هذه الحالة ؟ وماذا يصنع لو اختلفت اراؤهن ولم يتفقن على رأي واحد الى غير ذلك من القرائن التي تدل على وضع هذه الاضافه.

(٣) بحار الانوار ج ١٨ ص ٣٢ .

وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يكره الخروج، فقال رجل من المسلمين ممن اكرمه الله بالشهادة يوم احد، ممن كان فاته بدر: يا رسول الله اخرج بنا الى اعدائنا، لا يرون أنّا جبّنا عنهم وضعفنا.

فلم يزل الناس برسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذين كان من امرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلبس لأمته[١]، واستّعد للخروج.

يوم بدر

حين جاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ادنى ماء من بدر ونزل به، قال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله ارأيت هذا المنزل منزلاً انزلكه الله، ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخّر عنه، ام هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال: بل هو الرأي.

فقال: يا رسول الله، فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي ادنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور (نطمس) ما وراءه من القلب (الابار) ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لقد اشرت بالرأي[٢].

ثم نفذ النبي (صلّى الله عليه وآله) ما اشار به الحباب.

في حصن الطائف

ذكر الواقدي عن شيوخه قال:

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٢ .

شاور رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اصحابه في حصن الطائف فقال له سلمان الفارسي: يا رسول الله، ارى ان تنصب المنجنيق على حصنهم، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فعمل منجنيق[١].

* * *

(١) بحار الانوار ج ٢١ ص ١٦٩.

مدرسة الزهد

لقد اختار النبي (صلّى الله عليه وآله) لنفسه معيشة الزهد والكفاف، لا عجزاً عن حياة الراحة والرفاهية، فقد عاش حتى فتحت له الارض وكثرت مغانمها حتى اغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد، ومع ذلك فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نار مع جوده وتصدّقه على الفقراء والمحرومين بالهبات والهدايا، ولكن ذلك كان اختياراً للاستعلاء على متاع الدنيا الزائل، ورغبة خالصة فيما عند الله، رغبة الذي يملك ولكنه يزهد.

فعن الحسن قال: خطب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: والله ما امسى في آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات.

ثم علّق الحسن: والله ما قالها استقلالاً لرزق الله، ولكن اراد ان تاسىّ به امته[1].

ولقد كثر الحديث عن جوعه (صلّى الله عليه وآله) وزهده وتحمله الاذى في ذات الله، في كتب الحديث والرواية.

واليك بعض النماذج منها:

١ـ عن العيص بن قاسم قال:

قلت للصادق جعفر بن محمد (عليه السلام): حديث يروى عن ابيك (عليه السلام) انه قال: ما شبع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من خبزبر قط، اهو صحيح؟

---

(١) الطبقات ج ١ ص ٤٠٢ .

(٢) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢١٦ .

فقال: لا، ما اكل رسول الله (صلّى الله عليه وآله)خبز بر قط، ولا شبع من خبز شعير قط[٢].

٢ـ وعن ابي طلحة قال:

شكونا الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الجوع ورفعنا عن بطوننا حجر حجر، ورفع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن حجرين[٣].

وهو يشير الى ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان اشد جوعاً منه لوضعه حجرين لا حجر واحد.

٣ـ وقال عبد الله بن الحسن (عليه السلام):

دخل رسول الله على فاطمة فقدمت اليه كسرة يابسة من خبز شعير، فافطر عليها، ثم قال: يا بنية هذا اول خبز اكله ابوك منذ ثلاثة ايام. فجعلت فاطمة (عليه السلام) تبكي ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) يمسح وجهها بيده[١].

٤ـ وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

ان علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: دخلت السوق فابتعت لحمًا بدرهم وذرة بدرهم واتيت به فاطمة (عليه السلام) حتى اذا فرغت من الخبز والطبخ قالت: لو دعوت ابي! فأتيته وهو مضطجع وهو يقول: أعوذ بالله من الجوع ضحيعاً[٢]. ثم جاء معه وتغدّى عندهم.

٥ـ وعن الصادق (عليه السلام) قال:

ذكر اللحم عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: ما ذقته منذ كذا[٣].

٦ـ وروى انس:

---

(١) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ١٥٦ .

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٤٠ .

(٣) بحار الانوار ج ١٧ ص ٢٣٢ .

(٤) بحار الانوار ج ١٨ ص ١٩ .

انه ارسلني ابو طلحة الى النبي (صلّى الله عليه وآله) لما رأى فيه اثر الجوع ليدعوه[١]..

٧ـ وعن جابر بن عبد الله قال:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) اقام أيّاماً لم يطعم شيئاً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل ازواجه فلم يصب عند واحدة منهن شيئاً، فأتى فاطمة عليها السلام فقال: يابنية هل عندك شيء فاني جائع؟! فقالت: لا والله، فخرج من عندها[٢].

٨ـ وعن ابن عباس قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يبيت طاوياً ليالي وماله ولا لاهله عشاء، وكان غاية طعامه الشعير[٣].

٩ـ وعن ابي هريرة قال:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يشد صلبه بالحجر من الغرث (الجوع)[٤].

١٠ـ وعن مسروق قال:

بينما عائشة تحدثني ذات يوم اذ بكت، فقلت: ما يبكيك يا ام المؤمنين؟

قالت: ما ملأت بطني من طعام فشئت ان ابكي الا بكيت، اذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وما كان فيه من الجهد[٥].

وفي رواية اخر: وذلك لان رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، كانت تأتي عليه

---

(١) بحار الانوار ج ١٨ ص ٣٦ .

(٢) فرائد السمطين ج ٢ ص ٥٢ .

(٣) سنن النبي ص ١٨١ .

(٤) الطبقات ج ١ ص ٤٠٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٤٠١ .

اربعة اشهر ما يشبع من خبز بر[١].

وفي اخرى: قالت: ما شبع آل محمد غداء وعشاء من خبز الشعير ثلاثة ايام متتابعات حتى لحق بالله[٢].

١١ـ وعن ابي هريرة قال:

كان يمر بآل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هلال ثم هلال ثم هلال لا يوقد في شيء من بيوته نار لا لخبز ولا لطبيخ، قالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا ابا هريرة؟ قال: بالاسودين. التمر والماء، وكان له جيران من الانصار، جزاهم الله خيراً، لهم منائح يرسلون اليه بشيء من لبن[٣].

١٢ـ وقال مالك بن انس:

اهدي للنبي (صلّى الله عليه وآله) تمر فأخذ يهديه، ثم رأيته يأكل منه، مقعياً (متأثراً) من الجوع[٤].

هكذا عاش النبي (صلّى الله عليه وآله)!

قالوا: ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يأكل على خوان (سفرة) قط حتى مات، ولا اكل خبزاً مرقّقاً حتى مات[٥].

وقالت عائشة:

مازالت الدنيا علينا عسرة كدرة حتى قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلما قبض ، صُبتّ الدنيا علينا صبّاً[٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الطبقات ج ١ ص ٤٠٧ .

(٥) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٤٣ .

(٦) مكارم الاخلاق ص ٢٩ .

وقالت ايضاً:

والذي بعث محمداً (صلّى الله عليه وآله) بالحق ما كان لنا منخل ولا اكل النبي (صلّى الله عليه وآله) خبزاً منخولاً منذبعثه الله الى ان قبض [١].

وقال انس بن مالك:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) لم يجمع له غداءً ولا عشاءً من خبز ولحم الا على ضفف[٢].

وعن انس ايضاً قال:

شهدت للنبي (صلّى الله عليه وآله) وليمة ما فيها خبز ولا لحم[٣].

وقال ابو قتادة:

كنا نأتي انس بن مالك وخبازه قائم، فقال يوماً، كلوا، فما اعلم من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بربه، ولا شاة سميطاً (مشوياً) قط[٤].

وقالت عائشة:

ما اجتمع في بطن النبي (صلّى الله عليه وآله) طعامان في يوم قط ان اكل لحماً لم يزد عليه، وان اكل تمراً لم يزد عليه وان اكل خبزاً لم يزد عليه[٥].

وقالت ايضاً:

مات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولم يشبع مرتين في يوم من خبز الشعير،

---

(١) سنن النبي ص ١٨١ .

(٢) الطبقات ج ١ ص ٤٠٤ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

وان كان ليهدىٰ لنا قناع فيه تمر فيه كعب من اهالة فنفرح به[١].

وقالت ايضاً:

اني لجالسة مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في البيت فأهدى لنا ابو بكر رجل شاة، فاني لا قطعها مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ـ وفي اخرى: فانا امسك على النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو يقطع ـ في ظلمة البيت فقال لها قائل: اما كان لكم سراج؟ فقالت: لو كان لنا ما يسرج به اكلناه[٢].

ويقول انس بن مالك:

ان ام سليم بعثت معه بقناع عليه رطب الى النبي (صلّى الله عليه وآله)، فجعل يقبض القبضة فيبعث بها الى بعض نساءه، ثم اكل اكل رجل يعلم انه يشتهيه[٣].

وقالت اسماء بنت يزيد:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) توفي يوم توفي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود بوسق من شعير[٤].

وقال انس:

ما رفع من بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) شيء قط، ولا حملت معه طنفسة يجلس عليها[٥].

وقال ابو هريرة:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: اللهم اني اعوذ بك من الجوع،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٠٧ .

(٤) الطبقات ج ١ ص ٤٠٨ .

(٥) المصدر السابق.

فانه بئس الضجيع[١].

وقال ابو هريرة:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يجوع، فسأله رجل: وكيف ذلك الجوع؟ قال: لكثرة من يغشاه وأضيافه، وقوم يلزمونه لذلك، فلا يأكل طعاماً ابداً إلّاومعه اصحابه واهل الحاجة يتتبعون من المسجد، فلما فتح الله خيبر اتسع الناس بعض الاتساع، وفي الامر بعد ضيق، والمعاش شديد هي بلاد ظلف لازرع فيها، انما طعام اهلها التمر، وعلى ذلك اقاموا[٢].

وقالوا: كان للنبي (صلّى الله عليه وآله) تسع نسوة، وكان بينهن ملحفة مصبوغة بورس او زعفران فاذا كانت ليلة امرأة منهن بعثن بها اليها، ويرش عليها شيء من ماء حتى يوجد ريحها[٣].

اثاث النبي (صلّى الله عليه وآله)

قال امير المؤمنين (عليه السلام):

كان فراش رسول الله (صلّى الله عليه وآله)عباءة وكانت مرفقته أدم حشوها ليف، فثنيت ذات ليلة، فلما اصبح قال: لقد منعني الليلة الفراش الصلاة، فأمر (صلّى الله عليه وآله) ان يجعل بطاق واحد، وكان له فراش من ادم، حشوه ليف، وكانت له عباءة تفرش له حينما انتقل وتثنىٰ ثنيتين، وكان كثيراًما يتوسد وسادة له من ادم حشوها ليف، ويجلس عليها، وكانت له قطيفة فدكية يلبسها يتخشع بها، وكانت له قطيفة مصرية قصيرة الخمل، وكان له بساط من شعر يجلس عليه

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠٩ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) سنن النبي ص ١٤١ .

وربما صلى عليه[١].

ملابس النبي (صلّى الله عليه وآله)

عن ابي بردة قال:

دخلت على عائشة فأخرجت الينا ازاراً غليظاً مما يصنع باليمن وكساءً من هذه الملبدة، فأقسمت ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبض فيها[٢].

وقال انس بن مالك:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يكثر القناع حتى ترى حاشية ثوبه كأنه ثوب زيّات او دهّان[٣]!

وعن موسى الحارثي قال:

وصف لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) الطيلسان، فقال: هذا ثوب لا يؤدّىٰ شكره[٤].

وقالت عائشة:

اذن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعمر بن الخطاب عليه، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) راقد ليس بينه وبين الارض الاحصير وقد اثر في جنبه وتحت رأسه وساده من أُدم محشوّة ليفاً وعلى رأسه اهب (جلود الشاة) معلقة فيها ريح[٥].

وقال عبد الله بن مسعود:

اضطجع رسول الله على حصير فأثّر الحصير بجلده، فلما استيقظ جعلت

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٥٣ .

(٢) الطبقات ج ١ ص ٤٥٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٦٠ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٦١ .

(٥) المصدر السابق ص ٤٦٥ .

امسح عنه واقول: يا رسول الله ألا أذنتنا نبسط لك على هذا الحصير شيئاً يقيك منه؛ فقال رسول: مالي وللدنيا، وما انا والدنيا، ما انا والدنيا الاكراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها[١].

وقالت عائشة:

دخلت امرأة من الانصار علّي فرأت فراش رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عباءة مثنية فانطلقت فبعثت اليه بفراش حشوه صوف، فدخل علّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: ما هذا؟ قلت: يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت علّي فرأت فراشك، فذهبت فبعثت بهذا. فقال: رديه، فلم ارده واعجبني ان يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: والله يا عائشة لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة[٢].

وعن عائشة:

انها كانت تفرش للنبي (صلّى الله عليه وآله) عباءة مثنية، فجاء ليلة وقد ربعتها فنام عليها.

فقال: يا عائشة ما لفراشي الليلة ليس كما كان؟

قلت: يارسول الله، ربعّتها لك.

فقال: فأعيديه كما كان[٣].

وعن سعيد المقبري قال:

كان للنبي (صلّى الله عليه وآله) حصير يفترشه بالنهار فاذا كان الليل احتجر حجرة من المسجد فصلى فيه[٤].

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦٧ .

(٢) الطبقات ج ١ ص ٤٦٥ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) الطبقات ج ١ ص ٤٦٨ .

وعن انس بن مالك قال:

صلى بنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في بيت ام سليم على حصير قد تغير من القدم، ونضحه بشيء من ماء فسجد عليه[١].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

ان رجلاً من الانصار اهدى الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) صاعاً من رطب، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) للخادم التي جاءت به:ادخلي فانظري هل تجدين في البيت قصعة او طبقاً فتأتيني به؟ فدخلت ثم خرجت اليه فقالت: ما اصبت قصعة ولا طبقاً، فكنس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بثوبه مكاناً من الارض ثم قال لها: ضعيه ها هنا على الحضيض ! ثم قال: والذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال جناح بعوضة ما اعطى كافراً ولا منافقاً منها شيئاً[٢]

وعن ابن عباس قال:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) توفي ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود على ثلاثين صاعاً من شعير اخذها رزقاً لعياله[٣]

والصاع: (٣) كيلو غرام فيكون المجموع: (٩٠) كيلو غرام.

وعن الامام علي (عليه السلام):

نزل جبرئيل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: ان الله جل جلاله يقرؤك السلام ويقول لك هذه بطحاء مكة ان شئت ان تكون لك ذهباً، فنظر النبي (صلّى الله عليه وآله) الى السماء ثلاثاً ثم قال: لا يارب ولكن اشبع يوماً فأحمدك

---

(١) الطبقات ج ١ ص ٤٦٧ .

(٢) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٨٤ .

(٣) المصدر السابق.

واجوع يوماً فأسئلك[١].

* * *

(١) المصدر السابق.

مدرسة العدل

كما كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عظيمًا في اخلاقة وادبه وشجاعته وزهده وتواضعه وديمقراطيته، كان عظيمًا في عدله.

اعطى القود من نفسه، وعرض القصاص منها، مسجّلاً بذلك نقطة بيضاء في جبين التاريخ، لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

قال سعيد بن المسيب:

اقاد النبي (صلّى الله عليه وآله) من نفسه[1]!

وعن عطاء:

ان رسول الله قاد من خدش من نفسه[2].

النبي (صلّى الله عليه وآله) اسوة

لما قدم عمر الشام، اتاه رجل يستأديه على امير ضربه، فأراد عمر أن يقيده، فقال عمرو بن العاص: اتقيده منه؟!

قال: نعم

قال: اذاً لا نعمل لك على عمل!

قال: لا ابالي الاّ اقيد منه، وقد رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يعطي القود من نفسه[3].

---

(١) الطبقات ج ١ ص ٣٧٥ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

مع سواد

كان النبي يعدّل صفوف اصحابه يوم بدر وبيده قدح (سهم) يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية وهو مستنتل (متقدم) من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال: استو ياسواد!

فقال: يا رسول الله اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن بطنه وقال: استقد!

فاعتنقه سواد فقبل بطنه،

فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟

قال: حضر ما ترى (من الحرب) فأردت ان يكون اخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك!

فدعا له رسول الله بخير وقاله له[١].

العدل في الصدقات

روى الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال:

كان رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) يقسم صدقة اهل البوادي في اهل البوادي وصدقة اهل الحضر في اهل الحضر[٢].

والعدل بين الابناء

ونظر (صلّى الله عليه وآله) يوماً ما الى رجل له ابنان، فقبّل احدهما وترك

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٢) سنن النبي ص ٨٠ .

الاخر، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): فهّلا ساويت بينهما[١]؟!

لكنه استسقى قبله

قال امير المؤمنين (عليه السلام):

دخل علينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وانا نائم في المنامة، فاستسقى الحسن فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى شاة لنا بكيّ (قل لبنها) فحلبها فدرّت، فجاءه الحسين (عليه السلام)، فنحّاه النبي (صلّى الله عليه وآله) فقالت فاطمة: يا رسول الله، كأنه احبهما اليك؟

فقال: لا ولكنّه استسقى قبله.

ثم قال: اني واياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة[٢].

مع الزهراء

وجاءت اليه الزهراء عليها السلام يوماً شاكية اليه حالها، وتسأله جارية تعينها على بعض شئونها، فبكى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال:

يا فاطمة والذي بعثني بالحق في المسجد (٤٠٠) رجل ما لهم طعام ولاثياب ولولا خشيتي خصلة لا عطيتك ما سألت، يا فاطمة اني لا اريد ان ينفك عنك اجرك الى الجارية.

ثم علمها التسبيح المعروف بتسبيح الزهراء، فلما رجعت الى البيت رآها امير المؤمنين وقال: مضيت تريدين من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الدنيا فأعطانا الله ثواب الاخرة[٣].

---

(١) مكارم الاخلاق ص ٢٢٠ .

(٢) فرائد السمطين ج ٢ ص ٢٨ .

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٨٥ .

النبي (صلّى الله عليه وآله) والدعابة

على الرغم من ان حياة النبي (صلّى الله عليه وآله) كانت ساخنة بالاحداث والوقائع، ومشحونة بالاهتمام بقضايا الساعة ومشكلات السياسة، والعسكر، ومسائل الدين، والعبادة، وامور التربية وتهذيب المسلمين، الا ان زحمة الاحداث هذه لم تحل دون ان يعيش النبي (صلّى الله عليه وآله) مع اصحابه واهل بيته بعض لحظات الدعابة والمزاح. الدعابة والمزاح اللذين ظلا في حدود ما يسمح به مقامه الشامخ ومنزلته الكريمة.

ذلك، ان نبيّاً امتدح خلقه القرآن الكريم بقوله: ﴿**وانك لعلى خلق عظيم**﴾ كان لا بد ان يعطي الفرصة لبعض الدعابة لتأخذ نصيبها ـ ولو قليلاً ـ من الدخول في مسلسل القضايا المطروحة، كي لا يكون الجو العام الاسلامي مكفهرّاً، وجافّاً، ومملاً احيانا.

فقد روي ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يمزح ولا يقول الا حقاً[1].

وروي انه قيل لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا رسول الله انك تداعبنا؟ فقال: اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقاً[2].

قضايا نعيمان

كان بين الصحابة رجل اسمه نعيمان البدري، وكان معروفاً بكثرة المزاح والهزل. رأى نعيمان ذات يوم اعرابياً ومعه عكة عسل فاشتراها منه وجاء به الى

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٩٤ .

(٢) جامع السعادات ج ٢ ص ٣٠١ .

بيت عائشة في يومها، وقال: خذوها، فتوهم النبي (صلّى الله عليه وآله) انه اهداها له، ومر نعيمان، والاعرابي على الباب، فلما طال قعوده قال: يا هؤلاء ردوها علي ان لم تحضر قيمتها. فعلم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) القصة فوزن له الثمن وقال لنعيمان: ما حملك على ما فعلت؟

فقال: رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يحب العسل ورأيت الاعرابي معه العكة!

فضحك النبي (صلّى الله عليه وآله) ولم يظهر له نكراً[١].

وذات يوم رأى احد المهاجرين واسمه سويبط المهاجري نعيمان البدري ومعه زاد في سفر، فقال له: اطعمني.

فقال: حتى تجيء الاصحاب.

فمروا بقوم فقال لهم سويبط: تشترون مني عبداً لي؟

قالوا: نعم.

قال: انه عبد له كلام وهو قائل لكم اني حر، فان سمعتم مقاله تفسدوا عليّ عبدي، فاشتروه بعشرة قلائص (جمال) ثم جاؤا فوضعوا في عنقه حبلاً،

فقال نعيمان: هذا يستهزيء بكم واني حر.

فقالوا: قد عرفنا خبرك، فانطلقوا به حتى اردكهم القوم وخلصوه، فضحك النبي (صلّى الله عليه وآله) من ذلك حيناً[٢].

ليته اتانا

عن الامام الكاظم (عليه السلام) قال:

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٩٦ .

(٢) المصدر السابق.

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يأتيه الاعرابي فيهدي له الهدية ثم يقول مكانه: اعطنا ثمن هديتنا، ويضحك رسول الله (صلّى الله عليه وآله). وكان اذا اغتم يقول: ما فعل الاعرابي؟ ليته اتانا[١]!

حول هذا ندندن

جاء رجل ذات يوم ووقف امام النبي (صلّى الله عليه وآله) وألقىٰ الابيات التالية:

انـــت نبيّ الله حقـــاً نعـلمـــه ودينـك الاسـلام دينـاً نعـظمه
نبغي مع الاسـلام شيئاً نقضمه ونـــحـــن حول هذا ندنـــدن

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا علي اقض حاجته.
فأشبعه علي (عليه السلام) واعطاه ناقة وجلة تمر[٢].

اهل الجنة جرد مرد

كان في المدينة عجوزاً اشجعية فرآها النبي (صلّى الله عليه وآله) يوماً فقال لها: يا اشجعية لا تدخل العجوز الجنة!

فرآها بلال باكيه فوصفها للنبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: والاسود كذلك!

فجلسا يبكيان: فرآهما العباس فذكرهما له فقال: والشيخ كذلك!

فالتحق العباس بهما واخذ يبكي معهما، ثم دعاهم وطيّب قلوبهم وقال: ينشئهم الله كأحسن مما كانوا وذكر انهم يدخلون الجنة شباناً منورين، وان اهل

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٩٥ .
(٢) المصدر السابق.

الجنة جرد مرد مكحلون [١].

فلتقتص !

قبّل جد خالد القسري امرأة فشكت الى النبي (صلّى الله عليه وآله) فأرسل اليه فاعترف وقال: ان شاءت ان تقتص فلتقتص !

فتبسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واصحابه وقال: اولا تعود؟

فقال: لا والله يا رسول الله، فتجاوز عنه[٢].

ثريد الدجال

جاء اعرابي يوماً الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال: يا رسول الله، بلغنا ان الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جميعاً جوعاً، افترى بأبي انت وامي ان اكف من ثريده تعففاً وزهداً؟!

فضحك رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثم قال: بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين[٣].

فأنتم إذاً...

جاء رجل الى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: هلكت! وقعت على اهلي في رمضان.

قال: اعتق رقبة.

قال: ليس لي.

قال: فصم شهرين متتابعين.

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٩٥ .

(٢) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٩٦ .

(٣) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٩٥ .

قال: لا استطيع.

قال: فاطعم ستين مسكيناً.

قال: لا اجد.

فأتي (صلّى الله عليه وآله) بعرق (مكتل) فيه تمر، فقال: اين السائل؟ تصدق بها.

قال: على افقر مني؟ والله ما بين لابتيها (طرفي المدينة) اهل بيت افقر منا!

فضحك النبي (صلّى الله عليه وآله) حتى بدت نواجذه.

قال: فانتم اذاً[١]..

مع عائشة

قالت عائشة:

رجع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من البقيع فوجدني وانا اجد صداعاً في رأسي وانا اقول:

وارأساه.

قال: بل انا والله يا عائشة وارأساه.

ثم قال: ما ضرّك لو متّ قبلي فقمت عليك وكفنّتك وصلّيت عليك ودفنتك؟!

فقلت: والله لكأني بك لو فعلت ذلك رجعت الى بيتي فأعرست ببعض نسائك!

قالت: فتبسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٢].

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٩ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٣٣ .

صور من الدعابة

قال انس:

مات نغير[١] لابي عمير وهو ابن ام سليم فجعل النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول: يا با عمير ما فعل النغير[٢]؟

وكان حادي بعض نسوته خادمه «أنجشة» فقال له: يا أنجشة ارفق بالقوارير[٣].

وفي رواية: لا تكسر القوارير.

وكان له عبد اسود في سفر فكان كل من اعيا ألقى عليه بعض متاعه حتى حمل شيئاً كثيراً، فمر به النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: انت سفينة! ثم أعتقه[٤].

وجاء اليه رجل وقال: احملني يا رسول الله!

فقال: انا حاملوك على ولد ناقة.

فقال: ما اصنع بولد ناقة؟

قال (صلّى الله عليه وآله): وهل يلد الابل الا النوق[٥].

وقال لرجل ذات يوم: لا تنسى يا ذا الاذنين[٦].

وجاءته امرأة فذكرت له زوجها، فقال: اهذا الذي في عينيه بياض ؟

---

(١) تصغير لنغر وهو طائر يشبه العصفور احمر المنقار.

(٢) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٩٤ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

فقالت: لا، ما بعينه بياض، وحكت لزوجها، فقال: اما ترين بياض عيني اكثر من سوادها[٣].

ورأى (صلّى الله عليه وآله) جملاً عليه حنطة فقال: تمشي الهريسة[٤]!

وكسا (صلّى الله عليه وآله) يوماً بعض نساءه ثوباً واسعاً فقال لها: البسيه واحمدي الله وجرّي منه ذيلاً كذيل العروس [٥]!

* * *

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

اجود من حاتم

الجود والسخاء على نوعين:

١ـ جود وسخاء مصطنع، تفرضه ظروف الطبيعة العربيه السخية، ومماشاة العادات والتقاليد الجارية.

٢ـ وآخر ناجم عن روح المرء الشفافة، ونفسه الكريمة، وطبيعته السخية، وسجيته الاصيلة.

وسخاء النبي الاعظم (صلّى الله عليه وآله) ـ لا شك ـ كان من النوع الثاني، اضف ما لعوامل التهذيب والتربية الالهيين التي تمت معه، من اثر كبير في ترسيخ جذور هذا الجود والكرم والسخاء في نفسه الشريفة.

فعن انس قال:

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الا اخبركم عن الاجود الاجود؟ الله الاجود الاجود، وانا اجود ولد آدم[١].

وعن ابن عباس عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال:

انا اديب الله وعلي اديبي، امرني بالسخاء والبر ونهاني عن البخل والجفاء، وما شيء ابغض الى الله عز وجل من البخل وسوء الخلق، وانه ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل[٢].

وعن ابن عباس قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اجود الناس بالخير، وكان اجود ما

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٣ .

(٢) مكارم الاخلاق ص ١٧ .

يكون في شهر رمضان. ان جبرئيل كان يلقاه في كل سنة من رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) القرآن فاذا لقيه جبرئيل كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اجود بالخير من الريح المرسله[١].

وعن جابر بن عبد الله قال:

ما سئل النبي شيئاً قط فقال لا[٢].

وقال (صلّى الله عليه وآله) يوماً لبعض نساءه: الم انهك ان لا تحبسي شيئاً لغد، فان الله يأتي برزق كل غد[٣]؟

وفي مجمع البحرين:

كان (صلّى الله عليه وآله) يستقرض الدراهم الفسولة (الرديئة) ويرد الجياد[٤].

وفي الكافي عن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يكون عليه الثني فيعطي الرباع[٥].

اي انه كان مديوناً بدرهمين او دينارين وعند اداء الدين كان يعطي العملة من فئة الاربعة دراهم او دنانير.

وقال قتادة:

ذكر لنا ان النبي (صلّى الله عليه وآله) لما قدم عليه مال البحرين، ثمانون الفاً، وقد توضأ لصلاة الظهر، فما صلّى يومئذ حتى فرّقه[٦].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) احود الناس بالخير

(٢) سنن الدارمي ج ١ ص ٣٤ .

(٣) سنن النبي ص ٥٣ .

(٤) سنن النبي ص ٨٨ .

(٥) المصدر السابق.

(٦) بحار الانوار ج ١٩ ص ٢٤٢ .

وقال البوصيري في «البردة» يصف كرم النبي (صلّى الله عليه وآله):

اكـــرم بخلق نبي زانـــه خلق بالحسن مشتمـل بالبشر متسم
كالزهر في ترف والبدر في شرف والبحـر في كرم والدهر في همم

في الجعرانة

قال الامام الصادق (عليه السلام):

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اقبل الى الجعرانة (بين الطائف ومكة) فقسّم فيها الاموال وجعل الناس يسألونه فيعطيهم حتى الجؤه الى الشجرة، فأخذت برده وخدشت ظهره، حتى جلوه عنها وهم يسألونه، فقال:

ايها الناس ردوا علي بردي، والله لو كان عندي عدد شجر تهامة نعمًا لقسمتّه بينكم، ثم ما الفيتموني جباناً ولا بخيلاً. ثم خرج من الجعرانة في ذي القعدة، فما رؤيت الشجرة الا خضراء، كأنما يرش عليها الماء[1].

لا يسأل شيئاً فيمنعه

جاءت امرأة الى النبي (صلّى الله عليه وآله) ببردة، فقالت: يا رسول الله اكسوك هذه، فأخذها النبي (صلّى الله عليه وآله) محتاجاً اليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من اصحابه،

فقال: يا رسول الله ما احسن هذه، فأكسنيها!

فقال: نعم.

فلما قام النبي (صلّى الله عليه وآله) لامه اصحابه.

قالوا: ما احسنت حين رأيت النبي (صلّى الله عليه وآله) اخذها محتاجاً اليها،

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٢٦ .

ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسأل شيئاً فيمنعه.

قال: رجوت بركتها حين لبسها النبي (صلّى الله عليه وآله) لعلي اكفّن بها[١].

واربعة ايضاً..

جاء الى النبي (صلّى الله عليه وآله) سائل يسئله، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): هل من احد عنده سلف؟

فقام رجل من الانصار من بني الجبلى فقال: عندي يا رسول الله.

قال: فاعط هذا السائل اربعة اوساق تمر.

فأعطاه، ثم جاء الانصاري بعد الى النبي (صلّى الله عليه وآله) يتقاضاه فقال له: يكون ان شاء الله!

ثم عاد اليه فقال: يكون ان شاء الله!

ثم عاد اليه الثالثة فقال: يكون ان شاء الله!

فقال: قد اكثرت يا رسول الله من قول ان شاء الله.

فضحك رسول الله وقال: هل من رجل عنده سلف؟

فقام رجل فقال له: عندي يا رسول الله.

قال: وكم عندك؟

قال: ما شئت.

قال: فاعط هذا ثمانية اوسق من تمر.

فقال الانصاري: انما لي اربعة يا رسول الله.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): واربعة ايضاً[٢]!

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٧ .

(٢) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢١٩ .

لا تخف من ذي العرش اقلالاً

عن عمر قال:

ان رجلاً اتى النبي (صلّى الله عليه وآله) فسأله فقال: ما عندي شيء ولكن اتبع علي، فاذا جاءنا شيء قضيناه.

قال عمر: فقلت: يا رسول الله ما كلفك الله مالا تقدر عليه.

قال: فكره النبي (صلّى الله عليه وآله) قوله ذلك.

فقال الرجل: انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالاً.

قال: فتبسم النبي (صلّى الله عليه وآله) وعرف السرور في وجهه[١].

مع مالك بن عوف

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لوفد هوازن لما جاؤا ليسلموا على يديه، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟

فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اخبروا مالكاً انه ان اتاني مسلمًا رددت عليه اهله وماله واعطيته مئة من الابل.

فأتي مالك بذلك فخرج اليه من الطائف، وقد كان مالك خاف ثقيفاً على ان يعلموا ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال له ما قال فيحبسوه، فأمر براحلته فهيئت له وامر بفرس فأتي به الى الطائف فخرج ليلاً فجلس على فرسه فركضه حتى اتى راحلته حيث امر بها ان تحبس فركبها فلحق برسول الله (صلّى الله عليه وآله) فادركه بالجعرانة او بمكة، فرد عليه اهله وماله واعطاه مئة من الابل، واسلم

---

(١) مكارم الاخلاق ص ١٨ .

فحسن اسلامه، فقال مالك بن عوف حين اسلم:

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد

اوفى واعطى للجزيل اذا اجتدى ومتى تشأ يخبرك عما في غد

الى آخر الابيات[١].

مسئلة الاعرابي وعجوز بني اسرائيل

عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال:

كان النبي (صلّى الله عليه وآله) اذا سئل شيئاً فأراد ان يفعل قال: نعم، وان اراد ان لا يفعل سكت وكان لا يقول لشيء لا، فأتاه اعرابي فسأله فسكت ثم سأله فسكت ثم سأله فسكت، فقال (صلّى الله عليه وآله) كهيئة المسترسل: ما شئت يا اعرابي؟

فقلنا: الآن يسأله الجنة.

فقال الاعرابي: اسألك ناقة ورحلها وزاداً.

قال: لك ذلك!

ثم قال (صلّى الله عليه وآله): كم بين مسئلة الاعرابي وعجوز بني اسرائيل؟ ثم ذكر قصتها[٢].

وقد مرت قصتها في قضايا وفاءه (صلّى الله عليه وآله).

«ولا تبسطها كل البسط»

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٣٤ .

(٢) بحار الانوار ج ٢٢ ص ٢٩٥ .

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان لا يساله احد من الدنيا شيئاًإلاّ اعطاه، فأرسلت اليه امرأة ابناً لها فقالت: انطلق اليه فأسأله فان قال لك: ليس عندنا شيء فقل: اعطني قميصك، فأخذ قميصه فرمى به اليه واعطاه، فأدبه الله عز وجل على القصد فقال:

﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾[1].

يوم حنين

لما انتصر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم حنين، غنم المسلمون غنائم كثيرة لم يغنموها من قبل، وكان في الجيش بعض الافراد الذين كانوا حديثي العهد بالاسلام، وفيهم من كان يخشى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ان يقوم بإثارة القلاقل بوجه الحكومة الاسلامية الفتية، بعد ان ضاع المجد الذي بناه في الجاهلية، ودخل في الاسلام لا عن عقيده والتزام، بعد ان فتح النبي (صلّى الله عليه وآله) مكة المكرمة اقوى قلاع الشرك والعداء لرسول الله آنذاك، لذلك اقتضت الحكمة النبوية ان يتألف هؤلاء، ويمنع الواحد منهم من استعمال نفوذه في قبيلته، بأن يغدق عليهم بالعطاء، ويبذل لهم من جوده الفيّاض .

هؤلاء الذين كان يحرّكهم بريق الغنائم ويسيل لها لعابهم، وكانوا يسمون بـ «المؤلفة قلوبهم».

روى ابن هشام:

اعطى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المؤلفة قلوبهم، وكانوا اشرافاً من اشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قلوبهم.

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٧١ .

فأعطى ابا سفيان ١٠٠ بعير.

واعطى ابنه معاوية ١٠٠ بعير.

واعطى حكيم بن حزام ١٠٠ بعير.

واعطى الحارث بن الحارث بن كلده اخا بني عبد الدار ١٠٠بعير.

واعطى الحارث بن هشام ١٠٠ بعير.

واعطى سهيل بن عمرو ١٠٠ بعير.

واعطى حويطب بن عبد العزىٰ بن ابي قيس ١٠٠ بعير.

واعطى العلاء بن جارية الثقفي ١٠٠ بعير.

واعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ١٠٠ بعير.

واعطى الاقرع بن حابس التميمي ١٠٠ بعير.

واعطى مالك بن عوف النصري ١٠٠ بعير.

واعطى صفوان بن امية ١٠٠ بعير، فهؤلاء اصحاب المئين.

واعطى دون المئة رجالا من قريش منهم:

مخرمة بن نوفل الزهري.

وعمير بن وهب الجمحي.

وهشام بن عمرو اخو بني عامر بن لؤي.

واعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم ٥٠ من الابل.

واعطى السهمي ٥٠ من الابل[١].

اقطعوا لسانه

وروي ايضاً:

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٦ .

واعطى عباس بن مرداس اباعر فسخطها فعاتب فيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في ابيات قالها. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه، فأعطوه حتى رضي، وكان ذلك قطع لسانه الذي امر به رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[١]!

معجزة الكرم النبوي

اتى سائل الى النبي (صلّى الله عليه وآله) وسأله شيئاً فأمره بالجلوس، فأتاه رجل بكيس ووضعه قبله، وقال: يا رسول الله هذه اربع مأة درهم، اعطها المستحق.

فقال (صلّى الله عليه وآله): يا سائل خذ هذه الاربعمئة دينار.

فقال صاحب المال: يا رسول الله ليس بدينار وانما هو درهم.

فقال (صلّى الله عليه وآله): لا تكذبني فان الله صدقني.

وفتح الكيس فاذا هو دنانير، فعجب الرجل وحلف انه شحنها من الدارهم.

قال (صلّى الله عليه وآله): صدقت ولكن لما جرى على لساني الدنانير جعل الله الدارهم دنانير[٢].

ما يخاف الفاقة

وعن انس قال:

ان رجلاً اتى النبي (صلّى الله عليه وآله) يساله فأعطاه رسول الله (صلّى الله

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٧ .

(٢) بحار الانوار ج ١٨ ص ١٣٨ .

عليه وآله) غنمًا بين جبلين، فأتىٰ الرجل قومه،

فقال: اي قومي اسلموا فو الله ان محمداً (صلّى الله عليه وآله) ليعطي عطية رجل ما يخاف الفاقة[٣].

يباري الريح سخاءً..

واخيراً لكي نطلّع علي مدى كرم النبي (صلّى الله عليه وآله) وجوده لنقرأ الحادثة القصيرة التالية:

روى اهل السير:

انه (صلّى الله عليه وآله) قال في مرض موته للعباس : يا عم رسول الله تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي ديني؟!

قال العباس : يا رسول الله عمك شيخ كبير ذو عيال، وانت تباري الريح سخاءً وكرماً، وعليك وعد لا ينهض به عمك[٤].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

مات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعليه دين[٥]. وذلك لكثرة جوده وكرمه وسخاءه.

* * *

---

(١) مسند الامام احمد ٣/١٧٥.

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٤١٣ .

(٣) بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٧٥ .

الاب المثالي

قليلون جداً اولئك الذين تمكنوا ان يجمعوا بين عواطف جيّاشة تسري في جوانحهم مع رقـة قلب وعـاطفة وبين القياده والزعامة وما تمليه من ارادة حديدية صلبه الى جانبها صرامه الحكم وصلابته.

فأن تكون صارماً قوياً مع صلابة شديدة دون ان تكون عاطفياً رقيقاً، فهذا هيّن، واهون منه ان تكون عكس ذلك، ان تكون عاطفياً جداً دون ان تتمكن من حمل معاني الصرامة والشدة والصلابة.

ولكن ان تجمع بينهما، فذلك شيء صعب، بل يكاد ان يكون مستحيلاً.

وما كان صعباً أو مستحيلاً على غير رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، كان سهـلاً يسيراً على رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فهو مع مسكه بزمام السلطة الزمنية والدينية، كان اباً نموذجياً ومثالياً.

وحريّ بكل مسلم ان يقرأ سيرته العائلية، ليطبقها مع اهله وابناءه وعائلته.

وقضايا عاطفته الابوية كثيره جداً، الا اننا اقتصرنا على عدد قليل منها واليك بعضها:

ان القلب يحزن

عن انس بن مالك قال:

رأيت ابراهيم بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يجود بنفسه، فدمعت عينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا

ما يرضي ربنا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون[١].

كرهت ان اعجله

يقول الرواي:

دعي النبي (صلّى الله عليه وآله) الى الصلاة والحسن متعلق به، فوضعه النبي (صلّى الله عليه وآله) مقابل جنبه وصلى، فلما سجد اطال السجود، فرفعت رأسي من بين القوم، فاذا الحسن على كتف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلما سلم قال له القوم: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، كأنما يوحى اليك.

فقال (صلّى الله عليه وآله): لم يوح الي، ولكن ابني كان على كتفي فكرهت ان اعجّله حتى نزل[٢].

مع الاقرع بن حابس

روي ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبّل الحسن والحسين عليهما السلام فقال الاقرع بن حابس : ان لي عشرة من الاولاد ما قبّلت واحداً منهم قط!

فغضب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى التمع لونه وقال للرجل: ان كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما اصنع بك[٣]؟!

مع الزهراء (عليها السلام)..

وقالت عائشة:

---

(١) مكارم الاخلاق ص ٢٢ .

(٢) بحار الانوار ج ١٠ ص ٨٢ .

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٨٢ .

ان فاطمة كانت اذا دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قام لها من مجلسه وقبّل رأسها، واجلسها مجلسه، واذا جاء اليها لقيته، وقبّل كل واحد منهما صاحبه وجلسا معاً[١].

وقال ابو سعيد الخدري:

كانت فاطمة من اعزّ الناس على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فدخل عليها يوماً، وهي تصلي، فسمعت كلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في رحلها فقطعت صلاتها وخرجت من المصلى، فسلمت عليه فمسح على رأسها وقال: يا بنية كيف امسيت؟ رحمك الله، عشينا، غفر الله لك وقد فعل[٢].

وقالت عائشة:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جائعاً لا يقدر على ما يأكل، فقال لي: هاتي ردائي!

فقلت: اين تريد؟

قال: الى فاطمة ابنتي فانظر الى الحسن والحسين، فيذهب بعض ما بي من الجوع[٣].

وروي ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دخل على فاطمة ليلة عرسها بقدح من لبن فقال: اشربي هذا، فداكِ ابوكِ[٤]!

مع زينب..

روى ابن هشام:

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٣٠٩ .

(٤) بحار الانوار ج ٤٣ ص ١٣٩ .

لما بعث اهل مكة في فداء اسراءهم، بعثت زينب بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في فداء ابي العاص بن الربيع (زوجها) بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها بها على ابي العاص حين بنىٰ عليها، فلما رآها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رق لها رقة شديدة وقال: ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها ما لها فافعلوا!

فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها[1].

ولنا ان نتصور مقدار ما في عبارة النبي (صلّى الله عليه وآله) حين خاطب المسلمين يطلب اليهم اطلاق صهره، من ادب وسمو اخلاق.

فهو على مكانته السامية العظيمة، ومع اعتلاءه لكرسي الحكم آنذاك، نراه حين يطلب اطلاق ابي العاص، يطلب ذلك لا بصيغة العزيمة والاستعلاء، بل يلتمسهم كواحد منهم. انظر الى كلمته ما اعظمها وهو يقول:

ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها ما لها فافعلوا؟

فسلام الله عليك يا رسول الله يوم ولدت، ويوم مت، ويوم تبعث حياً.

مع الحسنين..

وللنبي (صلّى الله عليه وآله) مواقف عاطفية رائعة مع سبطيه وفلذتي كبده، الامام الحسن والحسين عليهما السلام، واليك بعضها:

عن ابي سعيد الخدري قال: كنا نتحدث عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يميل مرة عن يمينه ومرة عن شماله، فلما رأينا ذلك قمنا عنه، فلما خرجنا الى الباب واذا نحن بفاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال لها علي: ما ازعجك هذه الساعة من رحلك؟

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٨ .

قالت: ان الحسن والحسين فقدتهما منذ اصبحت فلم احسستهما وما كنت اظنهما الا عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

قال علي: هما عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فارجعي ولا تؤذي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فانها ليست بساعة اذن.

فسمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كلام علي وفاطمة فخرج في ازار ليس عليه غيره، فقال: ما ازعجك هذه الساعة من رحلك؟

فقالت: يا رسول الله ابناك، الحسن والحسين خرجا من عندي فلم أرهما حتى الساعة وكنت احسبهما عندك وقد دخلني وجل شديد.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا فاطمة ان الله عز وجل وليهما وحافظهما، ليس عليهما ضيعة ان شاء الله، ارجعي يا بنية فنحن احق بالطلب.

فرجعت فاطمة الى بيتها، فأخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في وجه وعلي في وجه فابتغياهما فانتهيا اليهما وهما في أصل حائط قد احرقتهما الشمس واحدهما متستر بصاحبه، فلما رآهما على تلك الحال خنقته العبرة واكب عليهما يقبلهما، ثم حمل الحسن على منكبه الايمن وحمل الحسين على منكبه الايسر، ثم اقبل بهما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يرفع قدماً ويضع اخرى، مما يكابد من حر الرمضاء وكره ان يمشيا فيصيبهما ما اصابه فوقاهما بنفسه[1].

ورووا في القضية ذاتها:

ان الزهراء (عليها السلام) اقبلت على ابيها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك يا فاطمة؟

فأجابت: يا ابتاه ان الحسن والحسين قد غابا عني هذا اليوم وقد طلبتهما في بيوتك فلم اجدهما ولا ادري اين هما، وان علياً ذهب الى الدالية منذ خمسة

---

(١) فرائد السمطين ج ٢ ص ٩١.

ايام يسقي بستاناً له.. فأحصي على النبي (صلّى الله عليه وآله) انه أنفذ سبعين رجلاً بطلبهما فيهم ابو بكر وعمر وسلمان وابو ذر وغيرهم[١].

اولادنا اكبادنا

عن بريدة قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: ﴿انما اموالكم واولادكم فتنه﴾ الانفال ـ ٢٨.

وفي رواية اخرى قال: «اولادنا اكبادنا يمشون على الارض».

وفي اخرى: نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[٢].

نعم الجمل جملكما!

عن ابن نجيح قال:

كان الحسن والحسين يركبان ظهر النبي (صلّى الله عليه وآله) ويقولان: حل، حل (كلمة زجر للناقه) ويقول (صلّى الله عليه وآله): نعم الجمل جملكما.

وعن ابن حماد عن ابيه:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) برك للحسن والحسين فحملهما وخالف بين ايديهما وارجلهما وقال: نعم الجمل جملكما[٣].

---

(١) الحسن بن علي لكامل سليمان.

(٢) ينابيع المودة ج ١ ص ١٦٤ وبحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٨٤ .

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٨٥ .

بكاء الحسين (عليه السلام)

وخرج النبي (صلّى الله عليه وآله) ذات يوم من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع الحسين يبكي،فقال: الم تعلمي ان بكاءه يؤذيني[١]؟!

تكبير الحسين (عليه السلام)

قال الامام الباقر (عليه السلام):

خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى الصلاة وقد كان الحسين (عليه السلام) أبطأ في الكلام حتى تخوفوا انه لا يتكلم وان يكون به خرس، فخرج (صلّى الله عليه وآله) حامله على عاتقه، وصف الناس خلفه، فأقامه على يمينه، فافتتح رسول الله الصلاة فكبر الحسين (عليه السلام) فلما سمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فكبر، فكبر الحسين، حتى كبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سبع تكبيرات وكبر الحسين، فجرت السنة بذلك[٢].

ومع الحسن (عليه السلام)

قال ابن الزبير:

انا احدثكم باشبه اهل رسول الله واحبهم، الحسن بن علي، وانه ليجيء وهو ساجد فيركب رقبته ـ او قال: ظهره ـ فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته يجيء وهو راكع يفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الاخر[٣].

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٩٥ .

(٢) سنن النبي ص ٢٥٤ .

(٣) ينابيع المودة للقندوزي ج ١ ص ١٦٤ .

ايثار وشفقة

قال العلّامة المجلسي (ره):

ومن ايثارهما (اي الحسنين) على نفسه (صلّى الله عليه وآله) ماروي عن علي (عليه السلام) انه قال:

عطش المسلون عطشاً شديداً فجاءت فاطمة بالحسن والحسين الى النبي (صلّى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله انهما صغيران لا يحتملان العطش، فدعا الحسن فأعطاه لسانه فمصه حتى ارتوى ثم دعا الحسين فأعطاه لسانه حتى ارتوىٰ[1].

هكذا علمنا النبي (صلّى الله عليه وآله)

عن الليث بن سعد قال:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يصلي يوماً في فئه والحسين صغير بالقرب منه فكان النبي (صلّى الله عليه وآله) اذا سجد جاء الحسين فركب ظهره، ثم حرك رجليه وقال: حل، حل فاذاراد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ان يرفع رأسه، اخذه فوضعه الى جنبه فاذا سجد عاد على ظهره، وقال: حل، حل، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي (صلّى الله عليه وآله) من صلاته، فقال يهودي: يا محمد انكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن؟!

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): اما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان.

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٨٢ .

قال: فاني اؤمن بالله ورسوله. لما رأى كرمه مع عظم قدره[١].

* * *

(١) بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٩٦ .

الزوج المثالي

اذا كانت لك زوجة واحدة تستطيع معها ان تدير شئونكما الزوجية بسلام ووئام، وان تعيشا معاً حياة زوجية سعيدة، تتمكن معها من التفرغ لشئون الحياة دون ان تتعرض لعواصف زوجية حادة، تضطر بعدها للانحناء امام تلك العواصف، اذا كنت كذلك فاعتبر نفسك شخصاً نموذجياً، ومثالياً، وفريداً في مجتمعك.

اما الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) فقد كان اكثر من زوج نموذجي، او مثالي. واذا اطلقنا عليه «الزوج المثالي» فذلك لان العبارات والكلمات تضيق عن اداء معنى اسمى من ذلك، ولاتؤدي المعنى المطلوب.

ذلك ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يعيش ظروفاً سياسية وزوجية شائكة، فضلاً عن انه يعيش مع اكثر من امرأة واحدة، وقد جمع بيته بين سيدات، تباينت أنماطهن وتباعدت اصولهن ومنابتهن، واختلفت اخلاقهن ومشاربهن، وتفاوتت اعمارهن.

فيهن من كانت آية من آيات الله، وفريدة من فرائده، استوفت كل معاني الشرف والفضيله والقدس والتقوى، والحنان على الزوج الكريم والوقوف الى جنبه في ساعة العسرة، كالسيدة خديجة ـ رضوان الله عليها ـ حتى ورد في الحديث ان النساء النموذجيات في هذا الكون اربع: مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم وفاطمة بنت محمد (صلّى الله عليه وآله) وخديجة بنت خويلد.

وفيهن غير ذلك ايضاً.. من كانت الغيرة تأكل عقلها وتسيطر على كل جوارحها وجوانحها، فتتسبب في تصرفات هوجاء.

وفيهن من كانت تسيء الادب مع النبي (صلّى الله عليه وآله) الى درجة دفعت بأبيها ان يوجه اليها لطمة سال الدم منها على ثوبها، والنبي (صلّى الله عليه وآله) يهدّئ من ثورته ويتجاوز ويصفح عنها[١].

كل ذلك والنبي (صلّى الله عليه وآله) يمارس معهن اجمل اساليب التعامل الاخلاقي ويبدي مرونة كبيرة ولين شديد.

فعن انس قال:

ما رأيت احداً كان ارحم بالعيال من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٢].

ولم يحدثنا التاريخ قط ان النبي (صلّى الله عليه وآله) ضرب يوماً ما زوجة من زوجاته او صاح بوجهها، مع ان فيهن من كانت ـ لاشك ـ تستحق الضرب بسبب تصرفاتها الرعناء.

«وقد شهد البيت المحمدي من غيرة نساءه المحتدمة، ما يخيل الينا معه انها جعلت من هذا البيت ميداناً لمعارك نسوية لا تهدأ ولا تفتر، وان لم تر فيه الفطرة سوى اثر الحيوية لهؤلاء السيدات، ومظهر من مظاهر التنافس على حب زوجهن والرغبة في الاستئثار به..

فان يكن (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عانى من ذلك كثيراً، فلقد راض نفسه على احتماله، تقديراً للدوافع الطبيعية تدفع اليه قسراً ودون اختيار، وحسبنا كلمته في زوجته «عائشة» حين لجت بها غيرتها الجامحة:

ويحها لو استطاعت ما فعلت.

شاهداً على سلامة الفطرة وصحة النفس، وعمق الفهم لطبيعة حواء، وقد كانت نساؤه يعرفن هذا فيه، ويلذن به كلما اخرجتهن طبيعة حواء عما يجب لهن

---

(١) راجع كنز العمال ج ٧ ص ١١٦ والمراجعات ـ المراجعة ٧٦ والسمط الثمين ـ احوال عائشة.

(٢) دلائل النبوة ج ١ ص ٣٣٠.

من مسالمة ووئام، ويدركن ان الغيرة مهما تجمح بهن فمثل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من يعذر ويقدر ويرحم، دون ان يرى في ضعف البشرية اثمًا لا يغتفر، او يجد في فطرة حواء ما يدعو الى الغض والازدراء»[١].

ويحدثنا التاريخ عن مواقف كثيرة، كانت بعض نساء النبي يتعدين فيها حدود الرصانة والادب، ويتطاولن على رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) لايجيب بشيء، او يبتسم، او يغض الطرف عما هذت به زوجته.

النبي (صلّى الله عليه وآله) مع نساءه

جاءت امرأة انصارية الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تهب له نفسها، فقالت عائشة في غيرة وغضب:

قبحك الله، ما انهمك للرجال!

فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): مه يا عائشة، فانها رغبت في رسول الله اذ زهدتي فيه.

ثم قال:

رحمك الله ورحمكم يا معشر الانصار، نصرني رجالكم ورغب فيّ نساؤكم، ارجعي رحمكِ الله، فاني انتظر امر الله.

فنزلت الاية الكريمة: **﴿وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾**.

فقالت عائشةبكل جرأة:

ما أرىٰ الله الا يسارع في هواك!

فلم يزد النبي (صلّى الله عليه وآله) على ان قال:

---

(١) نساء النبي لبنت الشاطي ص ٢٦ ـ ٢٧ .

وانكِ ان اطعتِ الله سارع في هواكِ[١]!

وعن ابن عباس قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جالساً مع حفصة، فتشاجر بينهما، فقال (صلّى الله عليه وآله):

هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلاً؟

قالت: نعم.

فأرسل الى عمر فلما ان دخل عليهما قال لها: تكلمي.

قالت: يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقاً!

فرفع عمر يده فوجأ وجهها، ثم رفع يده فوجأ وجهها، فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): كف.

فقال عمر: يا عدوة الله، النبي (صلّى الله عليه وآله) لا يقول الا حقاً، والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتى[٢].

وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عند عائشة ذات ليلة، فقام يتنفل (يصلي صلاة الليل) فاستيقظت عائشة فضربت بيدها فلم تجده، فظنت انه قام الى جاريتها، فقامت تطوف عليه، فوطئت على عنقه وهو ساجد باك يدعو ربه، فلما انصرف قال:

يا عائشة لقد اوجعت عنقي.. اي شيء خشيت؟!.. ان اقوم الى جاريتك[٣]؟!

---

(١) بحار الانوار ج ٢٢ ص ١٨١ و ١٩٦ .

(٢) بحار الانوار ج ٢٢ ص ١٧٤ .

(٣) باختصار عن البحار ج ٢٢ ص ٢٤٥ .

واخرج البخاري عن انس قال:

كان النبي (صلّى الله عليه وآله) عند بعض نساءه، فأرسلت احدى امهات المؤمنين بصفحة فيها طعام فضربت التي النبي (صلّى الله عليه وآله) في بيتها يد الخادم فسقطت الصفحة فانفلقت، فجمع النبي (صلّى الله عليه وآله) فلق الصفحة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصفحة ويقول:

غارت امكم!

ثم حبس الخادم حتى أُتي بصفحة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصفحة الصحيحة الى التي كسرت صفحتها، وامسك المكسورة في بيت التي كسرت[١].

وانتهى كل شيء بعد ذلك! فلا صاح النبي (صلّى الله عليه وآله) ولا غضب ولا فقد اعصابه..

وروى محب الدين الطبري عن عائشة قالت:

خرجت مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حجة الوداع وخرج معه نساؤه وكان متاعي فيه خف وكان على جمل ناج (مسرع) وكان متاع صفية بنت حيي فيه ثقل وكان على جمل ثقال بطيء، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): حولوا متاع عائشة على جمل صفية وحولوا متاع صفيه على جمل عائشة حتي يمضي الركب، فلما رايت ذلك، قلت: يا لعباد الله! غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا ام عبد الله ان متاعك كان فيه خف وكان متاع صفية فيه ثقل فأبطأ بالركب فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها. فقلت: اليس تزعم انك رسول الله، فهلا عدلت؟!! فسمعني ابو بكر وكان فيه عرب (اي حدة) فأقبل علي ولطم وجهي، فقال

---

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٤٦ .

رسول الله (صلّى الله عليه وآله): مهلاً يا ابا بكر، فقال: يا سول الله اولم تسمع ما قالت؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ان الغير ان لا تبصر اسفل الوادي من اعلاه[١].

وعن عائشة قالت:

اتيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بحريرة طبختها له فقلت لسودة والنبي بيني وبينها: كلي، فأبت فقلت لها: كلي والا لطخت وجهك، فأبت فوضعت يدي في الحريرة فطليت بها وجهها، فضحك النبي (صلّى الله عليه وآله) ووضع فخذه لها، وقال لسودة: الطخي وجهها فلطخت وجهي، فضحك النبي (صلّى الله عليه وآله) ايضاً[٢].

ولقد كان البيت النبوي يشهد دوماً صوراً من النزاع الضرائري الحاد الذي تشحنه الغيرة ويغذيه التنافس الانثوي المستعر، وهو نزاع لا بد ان يشهده بيت يجمع بين ما يقرب من تسع زوجات اختلفت اصولهن ومشاربهن وحتى اديانهن، حتى بلغ النزاع درجة من الحدة ان انقسمت نساء النبي الى حزبين، حزب عائشة وفيه حفصة وسودة، وحزب ام سلمة وسائر ازواج النبي (صلّى الله عليه وآله)[٣]، وربما تدخل النبي على أثره لفض النزاع والتخاصم احياناً بكل رفق وليونة.

جاءته يوماً زوجته صفية بنت حيي بن اخطب، وكانت يهودية ثم اسلمت بعد وقعة خيبر، وكان ابوها من كبار زعماء اليهود، وقد قتل في تلك الوقعة، اعتقها النبي (صلّى الله عليه وآله) وتزوجها. فجاءته تشكوه عائشة وحفصة تؤذيانها وتشتمانها وتذكرانها بأصلها اليهودي وتعيرانها به، وتقولان لها: يا بنت اليهودية!

---

(١) السمط الثمين ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) السمط الثمين ص ٤٨ .

(٣) انظر السمط الثمين ص ٣٩ .

فشكت الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذلك.

فقال لها: الا تجيبيها؟

فقالت: بماذا يا رسول الله؟

قال: قولي: ان ابي هارون نبي الله، وعمي موسى كليم الله وزوجي محمد رسول الله فما تنكران مني؟![1].

وتروي عائشة قصة اخرى تدل على مدى احتمال النبي (صلّى الله عليه وآله) ورفقه وتسامحه معها ان هي لم تراع بعض الجوانب الادبية معه. تقول:

كنت انام بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ورجلاي في قبلته، فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا نام بسطتهما[2].

واليك صورة اخرى عن الاسلوب الانساني الرائع الذي كان يتبعه الرسول ـ القدوة مع نساءه وزيجاته، يرويها عمر بن الخطاب.

قال العلامة المجلسي:

وروي ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يطالب بأمور لا يملكها، وكان نساؤه يكثرن مطالبته، حتى قال عمر:

كنا معاشر المهاجرين متسلطين على الازواج بمكة وكانت نساء الانصار متسلطات على الازواج فاختلط نساؤنا فتخلقن بأخلاقهن،وكلمت امرأتي يوماً فراجعتني، فرفعت يدي لاضربها وقلت: اتراجعيني يا لكعاء؟

فقالت: ان نساء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يراجعنه وهو خير منك!

فقلت: خابت حفصة وخسرت!

ثم اتيت حفصة وسألتها فقالت:

---

(١) بحار الانوار ج ٢٢ ص ١٩٧ .

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٩ .

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يظل على بعض نساءه طول نهاره غضباناً.

فقلت: لا تغتري بابنة ابي قحافه، فانها حبة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يحمل منها ما لا يحمل منك[١].

ومما يدل دلالة واضحة على مداراة النبي (صلّى الله عليه وآله) لزوجاته وتألفه اياهن ما روي انه (صلّى الله عليه وآله) دخل عليهن واعطى كل واحدة منهن درهماً صحيحاً، وقال:

لا تخبري به اخواتك، فان ما اعطيتك لم اعطهن. يعنى الدرهم الذي اعطاها ما اعطاه لغيرها طلباً لمرضاتهن[٢].

* * *

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٣٨٥ .

(٢) السمط الثمين ص ٨ .

ملامح من الخلق العظيم

بقي نذكر ان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله)، الذي استجمع كل الوان الخلق العظيم، تتمثل بشخصه، وتتراءى فيه، امتازت شخصيته بمزايا اخلاقية اخرى لم يسبق اليها احد غيره، وكان من خلال ممارسته لتلك الخصال الحميدة، يرسم للمسلمين منهجاً اخلاقياً يسيرون عليه ويحتذون حذوه.

١ـ التسمية الحسنة

كان من دأب الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) ان يضع التسمية الحسنة لكل اسم جاهلي او يتعارض مع المفاهيم الاسلامية والاخلاقية، انطلاقاً من سيرته الكريمة التي لا تفيض سوى الخير والسعادة. واليك بعض الصور:

أ ـ عن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

قدم اناس من مزينة على النبي (صلّى الله عليه وآله)، فقال: ما شعاركم؟

قالوا: حرام

قال: بل شعاركم حلال[1].

ب ـ عن سهل قال:

أُتي بالمنذر بن ابي اسيد الى النبي (صلّى الله عليه وآله) حين ولد فوضعه على فخذه وابو اسيد جالس، فلها النبي (صلّى الله عليه وآله) بشيء بين يديه، فأمر ابو اسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي (صلّى الله عليه وآله) فاستفاق النبي (صلّى الله عليه

---

(١) بحار الانوار ج ١٩ ص ١٦٤ .

وآله) فقال: اين الصبي؟

فقال ابو اسيد: قلبناه يا رسول الله

قال (صلّى الله عليه وآله): ما اسمه؟

قال: فلان

قال (صلّى الله عليه وآله): ولكن اسمه المنذر.

فسماه يومئذ المنذر[١].

ت ـ وروي:

ان زينب كان اسمها برة فقيل: تزكي نفسها، فسماها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) زينب[٢].

ث ـ قال سعيد بن المسيب:

ان جده حزناً قدم على النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: ما اسمك؟

قال: اسمي حزن.

قال: بل انت سهل

قال: ما انا بمغير اسماً سمانيه ابي!

قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة بعد[٣].

اقول: ﴿ياقوم ارءيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميَّت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون﴾ هود ـ ٢٨.

ج ـ روي: وممن قدم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وفد طيء فيهم زيد الخيل فعرض عليهم الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم وسماه رسول الله (صلّى

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الله عليه وآله) زيد الخير[١].

ح ـ وقدم عليه وفد جهينة، فسلموا عليه فآواهم، ومنحهم جوائز وسئلهم: من انتم؟

قالوا: بني غيلان

فقال (صلّى الله عليه وآله): بل انتم بنور شدان

وكان اسم واديهم (غوى) فسماه النبي (صلّى الله عليه وآله) رشداً[٢].

خ ـ وجاءه رجل من بني سليم كان سادناً لصنم من اصنام بني سليم وكان النبي (صلّى الله عليه وآله) قد امرهم على عادته بكسر الاصنام، فرأى الرجل ثعلباً ذكراً ـ ويقال له الثعلبان ـ يبول على رأس الصنم، فأنشد هذا البيت:

ارب يبـول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم شد على الصنم فكسره.

وجاء الى الرسول (صلّى الله عليه وآله) فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): ما اسمك؟

قال: غاوي بن عبد العزى

فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): بل انت راشد بن عبد ربه

فأسلم الرجل لما لقي من خلق رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٣].

٢ـ سياسة الدعاء

اسلوب رائع آخر استعمله النبي (صلّى الله عليه وآله) مع الجميع..

هذا الاسلوب كان الدعاء الى الله سبحانه بالخير لهم. واليك صوراً منه:

---

(١) بحار الانوار ج ٢١ ص ٣٦٥ .

(٢) السياسة من واقع الاسلام ص ٥٥ .

(٣) السياسة من واقع الاسلام ص ٥٧ ـ ٥٨ .

أ ـ كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا ودع المؤمنين قال: زودكم الله التقوى ووجهكم الى كل خير وقضى لكم كل حاجة وسلم لكم دينكم ودنياكم وردكم الّي سالمين[١].

ب ـ وعن الصادق (عليه السلام):

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا اكل عند قوم قال: افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار[٢].

ت ـ عن انس بن مالك قال:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) زار اهل بيت من الانصار فطعم عندهم طعاماً فلما اراد ان يخرج امر بمكان من البيت فنضح له على بساط فصلى عليه ودعا لهم[٣].

ث ـ عن عبد الله بن ابي اوفى قال:

كان النبي (صلّى الله عليه وآله) اذا اتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل على آل فلان، فأتاه ابي بصدقته، فقال: اللهم صل على آل ابي اوفى[٤].

ج ـ وروي ان عمرو بن الحمق الخزاعي ـ رضوان الله عليه ـ سقى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: اللهم امتعه بشبابه.

فمرت له ثمانون سنة لم ير له شعرة بيضاء[٥].

ح ـ وقال للنابغة الجعدي وقد مدحه:

لا يفضض الله فاك.

---

(١) مكارم الاخلاق ص ٢٤٩ .

(٢) بحار الانوار ج ١٩ ص ٢٤٢ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٧ .

(٤) صحيح البخاري ج ٢ كتاب الزكاة باب صلاة الامام ودعاؤه لصاحب الصدقة.

(٥) بحار الانوار ج ١٨ ص ١٢ .

فعاش مأة وثلاثين سنة كلما سقطت له سن نبتت له اخرى احسن منها[١].

خ ـ وقال جعفر بن نسطور الرومي:

كنت مع النبي (صلّى الله عليه وآله) في غزوة تبوك فسقط عن يده السوط فنزلت عن جوادي، فرفعته ودفعته اليه، فنظر الي وقال:

يا جعفر، مد الله في عمرك مداً

فعاش ثلاثمائة وعشرين سنة[٢].

د ـ وعن انس بن مالك قال:

رأى النبي (صلّى الله عليه وآله) على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال: مهيم؟!

قال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب

قال (صلّى الله عليه وآله): بارك الله لك، اولم ولو بشاة[٣].

ذ ـ واتاه سعد بن عبادة عشية وهو (صلّى الله عليه وآله) صائم فدعاه الى طعامه ودعا معه علي بن ابي طالب (عليه السلام) فلما اكلوا قال النبي (صلّى الله عليه وآله):

نبي ووصي !!

ايا سعد اكل طعامك الابرار وافطر عندك الصائمون وصلت عليكم الملائكة[٤].

ر ـ عن عطاء قال:

---

(١) بحار الانوار ج ١٨ ص ١٧ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) صحيح البخاري ج ٨ كتاب الدعوات باب الدعاء للمتزوج .

(٤) بحار الانوار ج ١٧ ص ٢٣٣ .

كان في وسط رأس مولاي السائب بن يزيد شعر اسود وبقية رأسه ولحيته بيضاء، فقلت: ما رأيت مثل ذلك رأسك هذا اسود وهذا ابيض ؟

قال: افلا اخبرك

قلت: بلى

قال: اني كنت العب مع الصبيان فمر بي نبي الله (صلّى الله عليه وآله) فعرضت له وسلمت عليه فقال: وعليك، من انت؟

قلت: انا السائب اخو نمر بن قاسط.

فمسح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رأسي وقال: بارك الله فيك.

فلا والله لا تبيض ابداً[١].

ز ـ وروى:

انه (صلّى الله عليه وآله) دعا لقيصر فقال: ثبت الله ملكه فكان كما قال[٢].

٣ـ حسن التفأل

جاء في كنز العمال:

بعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى عماله:

«اذا ابردتم الي بريداً (رسولاً) فأبردوه حسن الوجه، حسن الاسم»[٣].

وذلك لانه كان يحب التفأل ويكره التطير.

٤ـ اقرار الامراء على قومهم

ومما يميز رسالة النبي الاعظم (صلّى الله عليه وآله) عن غيرها من سائر

---

(١) بحار الانوار ج١٨ ص١٢.

(٢) بحار الانوار ج١٨ ص١٧.

(٣) كنز العمال ج٣ ص١٩٦.

الرسالات والحركات البشريه الاخرى، انها كانت تقر الامراء الذين يحكمون شعوبهم، بعد ابداء تلك الشعوب الولاء لرسالته ودخولها في الاسلام، إنطلاقاً من انسانية الرسالة المحمدية، التي جاءت رحمة للعالمين.

أ ـ قال الامام امير المؤمنين (عليه السلام) في وصفه للنبي (صلّى الله عليه وآله): «ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم»[١].

ب ـ كتب كسرى الى عامله باليمن «باذان» ان يذهب الى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويأتي به اسيراً الى كسرى، فبعث باذان برجلين من رجاله، ودفعا له (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كتاب باذان، فتبسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثم قال لهما:

قولا لباذان: ان ديني وسلطاني سيبلغ الى منتهىٰ الخف والحافر، وقولا له: ان اسلمت اعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك، ثم اعطىٰ لاحد السفيرين وهو (خر خسره) منطقة فيها ذهب وفضة، وكان اهداها له بعض الملوك[٢].

ت ـ وبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الى عبادة بن اشيب فقال: من نبي الله لعبادة بن الاشيب العنزي

اني امرتك على قومك ممن جرى عليه عمالي وعمل بني ابيك فمن قرء عليه كتابي هذا فلم يطع فليس له من الله معون[٣].

---

(١) مكارم الاخلاق ص١٤.

(٢) مكاتيب الرسول ص٥٦.

(٣) اسد الغابة ج٣ ص١٠٤ نقلاً عن: مكاتيب الرسول.

ث ـ وبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) منصرفه من الجعرانة العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوي العبدي وهو بالبحرين يدعوه الى الاسلام وكتب اليه كتاباً، فكتب الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) باسلامه وتصديقه، واني قرأت كتابك على اهل هجر فمنهم من احب الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث الّي في ذلك امرك. فكتب اليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

«انك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهودية او مجوسية فعليه الجزية»[١]

ج ـ وكتب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لمعدي كرب بن ابرهة: ان له ما اسلم عليه من ارض خولان[٢].

ح ـ وكتب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لا سقف بني الحارث بن كعب واساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم ان لهم على ما تحت ايديهم من قليل وكثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير اسقف عن اسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا شيء مما كانوا عليه ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين[٣].

خ ـ وكتب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لخالد بن ضماد الازدي ان له ما

---

(١) الطبقات ج١ ص٢٦٣.

(٢) الطبقات ج١ ص٢٦٦.

(٣) المصدر السابق.

اسلم عليه من ارضه، على ان يؤمن بالله لا يشرك به شيئاً..[١] .

د ـ وكتب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ليزيد بن المحجل الحارثي ان لهم نمرة ومساقيها ووادي الرحمن من بين غابتها، وانه على قومه من بني مالك وعقبة، لا يغزون ولا يحشرون[٢] .

٥ ـ مبدأ الاحترام

المستكشف لاحداث السيرة النبوية وقضاياها يجد في تلك السيرة العطرة، مبدءً شاخصاً، ومعلمًا بارزاً يلوح في افق الرسالة، نابعاً من صميم الخلق النبوي الكريم، ذلك المبدأ الذي نسميه بـ «مبدأ الاحترام» وهو المبدأ الخلقي الكريم الذي اتبعه مع زعماء الدول والاقطار الذين لم يكونوا على دينه، ولا يحملون عقيدته. ففي الرسائل التي بعث بها الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) الى زعماء العالم آنذاك، نجد ان النبي (صلّى الله عليه وآله) على تصلبه وتشدده في ذات الله، قد طبق مبدأ «الاحترام» مع هؤلاء ليذكرهم بأن الاسلام هو الدين الذي جمع كل المبادئ السامية والقيم الاخلاقيه.

حين بعث (صلّى الله عليه وآله) الى كسرى افتتح بهذا الشكل:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس[٣].

وكتب الى قيصر ملك الروم:

---

(١) الطبقات ج١ ص٢٦٧.

(٢) الطبقات ج١ ص٢٦٨ واذا اردت المزيد ايها القارئ في هذا الشأن فراجع طبقات ابن سعد ج١ ص٢٥٨ ـ ٢٩٠.

(٣) مسند الامام احمد ج٤ ص٧٥.

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم[١].

٦ـ قبول الهدية

وتروي لنا السيرة النبوية عادة جميلة اخرى للرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، وصورة يتجلى فيها الخلق الانساني بابدع صوره وابهاها.

كان من خلقه الكريم ان يقبل كل هدية تهدى اليه مهما كانت متواضعة وحقيرة، وقبول الهدية من قبل النبي (صلّى الله عليه وآله) آنذاك، كان يعني تواضعاً منه، وفضلاً يسديه الى صاحب الهدية.

فقد كان من دواعي سرور المرء وفرحه العظيم، ان يقبل انسان كالرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) هديته، ويعده من مفاخر بيته ومكرمات عشيرته.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لو اهدي الّي كراع (مستدق الساق من البقر والغنم) لقبلته[٢].

وعن عائشة:

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة[٣].

وبلغ من سمو خلقه الكريم انه كان يقبل حتى هدية اليهود ايضاً ومن هم على غير دينه، ومن ثم حاز على اعجابهم في ذلك.

روي ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان اذا اتي بالشيء قال: أهدَية ام

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٢٦٣.

(٢) بحار الانوار ج١٦ ص٢٧٥.

(٣) الطبقات ج١ ص٣٨٨.

صدقة؟ فان قيل: صدقه، لم يأكل وان قيل هدية أكل، فأتاه ناس من اليهود بجفنة من ثريد.

فقال: هدية ام صدقة؟

فقالوا: هدية، فأكل

فقال بعضهم: جلس محمد جلسة العبد!

ففهمها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: وانا عبد واجلس جلسة العبد[١].

وروي ايضاً:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا اتي بشيء قال: اصدقة او هدية؟

فان قالوا: صدقة صرفها الى اهل الصفة، وان قالوا هدية امر بها فوضعت ثم دعا اهل الصفة اليها[٢].

وقال عبد الله بن بسر صاحب النبي (صلّى الله عليه وآله):

كانت اختي تبعثني الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالهدية فيقبلها[٣].

وعن علي عليه السلام قال:

اهدى كسرى الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقبل منه واهدت له الملوك فقبل منهم[٤]

وعن انس قال:

قال (صلّى الله عليه وآله): لو اهدي الى كراع لقبلت ولو دعيت الى ذراع لاجبت[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبقات ج١ ص٣٨٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

الفصل الرابع :

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

إنسانية الرسالة المحمدية

[illegible]:

[illegible]

[illegible]

رسول الرحمة

الحديث عن انسانية الرسول (صلّى الله عليه وآله)، حديث عن اسمى ما عرفه التاريخ الانساني من عظمة، وانبل ماعرفه من كرامة.

ان البيان اعجز من ان يصور عظمة النبي (صلّى الله عليه وآله) وانسانيته، التي لم تتمثل في احد غيره، كما تمثلت فيه.

والقلم اقـل من ان يروي لنـا مواقف الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله)الانسانية، ويصف شواهد الرحمة النبوية.

على ان القلم لابد ان يسجل على الصفحات شيئاً من تلك الانسانية العظيمة، ويتطلع الى ذلك العملاق.

مع الكفار والمشركين

لا شك ان القـرآن يخلو من اية مبـالغـة وتضخيم، لانـه كلام اصدق المتكلمين، وتنزيل رب العالمين. فالقرآن حين يصف الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآلـه) ويقول ﴿**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**﴾ يشير الى حقيقة هامة جداً، كانت من سمات النبي (صلّى الله عليه وآله) البارزة وعلاماته الفارقة، وهي الرحمة الشاملة التي كان يفيض بها على كل ذي روح.. على الانسان وعلى الحيوان وحتى النبات!

والانسان بكل اصنافه وطبقاته..

العبيد.. الاحرار.. الاطفال.. الشيوخ.. النساء.. الضعفاء.. المساكين.. وحتى المشركين والمنافقين.

قد لا يصدق البعض بأن النبي كان يرحم حتى المشركين والكفار الدين كذبوه وآذوه بشتى الاساليب.. إلّا ان تلك هي الحقيقة الثابتة المشرقة.

فكلما إزداد المشركون عتواً وعناداً، لم يزده ذلك الا صبراً وتحملاً، وتضرع الى ربه بالدعاء لهم بأن يهديهم فهم لا يعلمون! ولم يذكر لنا التاريخ ان النبي (صلّى الله عليه وآله) دعا مرة واحدة على المشركين.

قال الصحابي عبد الله بن مسعود:

كأني انظر الى النبي (صلّى الله عليه وآله) يحكي نبياً من الانبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون![1].

ولما توفي ابو طالب واشتد عليه البلاء عمد الى ثقيف بالطائف رجاء ان يؤويه سادتها، فلم يقبلوه وتبعه سفهاؤهم بالاحجار وادموا رجليه فخلص منهم واستظل في ظل بستان وما زاد على ان قال:

اللهم اني اشكو اليك من ضعف قوتي وقلة حيلتي وناصري وهو اني على الناس يا ارحم الراحمين[2].

ورماه ذات يوم كفار مكة بالحجارة، فأدموه، فأتى الجبل فاستند الى موضع يقال له: المتكأ، بعيداً عن الكفار، فجاءته خديجة تبحث عنه، فرآها النبي (صلّى الله عليه وآله) فدعاها والدماء تسيل من وجهه على الارض وهو يمسحها ويردها: فقالت له خديجة: فداك ابي وامي دع الدم يقع على الارض.

قال: اخشى ان يغضب رب الارض على من عليها![3].

وفي يوم احد كانت الرحمة النبوية حيث كانت قسوة المشركين وفظاظتهم

---

(١) صحيح البخاري ج٩ ص٢٠.

(٢) بحار الانوار ج١٩ ص١٧.

(٣) بحار الانوار ج١٨ ص٢٤٢ ـ ٢٤٣.

ولؤمهم.

قال القاضي عياض في الشفاء:

روي انه لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم؟

فقال: اني لم ابعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة. اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون[١].

وكان (صلّى الله عليه وآله) يتناول يوم احد مايسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء.

قال الصادق (عليه السلام): والله لو سقط منه شيء على الارض لنزل العذاب[٢].

وذكر ابن هشام:

كسرت رباعية النبي (صلّى الله عليه وآله) يوم احد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول:

كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم؟![٣].

وقال امير المؤمنين (عليه السلام):

نهى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ان يلقى السم في بلاد المشركين[٤].

وهذا العمل قريب جداً من تحريم الاسلحة الكيمياوية التي تستخدمها بعض الدول لابادة الشعوب المغلوبة على امرها في هذا العصر.

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

---

(١) سفينة البحار ج١ ص٤١٢.

(٢) بحار الانوار ج٢٠ ص٩٦.

(٣) سيرة ابن هشام ج٣ ص٨٤.

(٤) بحار الانوار ج١٩ ص١٧٨.

ما بيّت (لم يهجم ليلاً) رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عدّواً قط[١].

وروى عبد الله بن مسعود:

ان قريشاً ابطئوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي (صلّى الله عليه وآله) فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام، فجاءه ابو سفيان فقال: يا محمد، جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا، فادع الله!

فدعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسقوا الغيث، فأطبقت عليهم سبعاً حتى شكا الناس كثرة المطر، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

اللهم حوالينا ولا علينا . فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم[٢]..

وروي ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال:

لا تقتلوا في الحرب الامن جرت عليه المواسي[٣].

وذكر الواقدي عن شيوخه قال:

شاور رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اصحابه في حصن الطائف، فقال له سلمان الفارسي: يا رسول الله ارى ان تنصب المنجنيق على حصنهم. فأمر رسول (صلّى الله عليه وآله) فعمل منجنيق ويقال: قدم بالمنجنيق يزيد بن زمعه ودبابتين، فأرسل عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فأحرقت الدبابة فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بقطع اعنابهم وتحريقها، فنادى سفيان بن عبد الله الثقفي:

لم تقطع اموالنا؟ اما ان تأخذها ان ظهرت علينا واما ان تدعها لله والرحم.

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٣٦.

(٢) بحار الانوار ج١٩ ص١٦٧.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فاني ادعها لله والرحم! فتركها[١].

ولما دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكة بعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمته ومعه الراية، فسعى ابو سفيان الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واخذ غرزه فقبله وقال: بأبي انت وامي، اما تسمع ما يقول سعد؟ انه يقول:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله) لعلي:

ادركه فخذ الراية منه وكن انت الذي يدخل بها وادخلها ادخالاً رفيقاً، فأخذها علي (عليه السلام) وادخلها كما امره النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو يقول:

اليوم يوم المرحمة[٢].

* * *

(١) بحار الانوار ج١٩ ص١٦٩.

(٢) المصدر السابق ص١٠٥.

صور من انسانية الرسول (صلّى الله عليه وآله)

مع العبيد

لما حاصر النبي (صلّى الله عليه وآله) الطائف نزل عليه في اقامته نفر من العبيد فأسلموا فأعتقهم رسول (صلّى الله عليه وآله)، فلما اسلم اهل الطائف تكلم نفر منهم في استرداد اولئك العبيد.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لا.. اولئك عتقاء الله![1].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

استقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رجل من بني فهد وهو يضرب عبداً له والعبد يقول: اعوذ بالله! فلم يقلع الرجل عنه، فلما ابصر العبد برسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: اعوذ بمحمد! فأقلع عنه الضرب. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يتعوذ بالله فلا تعيذه، ويتعوذ بمحمد فتعيذه؟ والله احق ان يجار عائذه من محمد.

فقال الرجل: هو حرّ لوجه الله.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): والذي بعثني بالحق نبياً لو لم تفعل لواقع وجهك حر النار[2].

وعن جابر بن عبد الله:

عن النبي (صلّى الله عليه وآله) انه كان يجيب دعوة العبد[3].

---

(١) سيرة ابن هشام ج٤ ص١٢٨.

(٢) بحار الانوار ج١٦ ص٢٨٢.

(٣) الطبقات ج١ ص٣٧٠.

وفي رواية انس : كان يجيب دعوة المملوك[١].

وارسل (صلى الله عليه وآله) ذات يوم وصيفة له في حاجة فأبطأت، فقال: لولا القصاص، لا وجعتك بهذا السواك[٢].

وروي: كان خدم المدينة يأتون رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا صلى الغداة (الضبح) بآنيتهم فيهاالماء فما يؤتى بآنية الاغمس يده فيها، وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك[٣].

مع الضعفاء

وقال انس:

خرجت مع النبي (صلّى الله عليه وآله) الى السوق ومعي عشرة دراهم واراد ان يشتري عباءة فرآى جارية تبكي وتقول:

سقط مني درهمان في زحام السوق ولا اجسر ان ارجع الى مولاي. فقال لي: اعطها درهمين، فأعطيتها، فلما اشترى عباءة بعشرة دراهم وزنت ما بقي معي فاذا هي عشرة كاملة[٤].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):

جاء رجل الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقد بلي ثوبه فحمل اليه اثنى عشر درهما فقال: ياعلي خذ هذه الدراهم فاشترلي ثوباً البسه.

قال علي: فجئت الى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهما وجئت به الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فنظر اليه فقال: يا علي غير هذا احب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الطبقات ج١ ص٣٨٢.

(٣) سفينة البحار ج١ ص٤١٦.

(٤) بحار الانوار ج١٨ ص٢٩.

الي، اترى صاحبه يقيلنا؟

فقلت: لا ادري.

فقال: انظر.

فجئت الى صاحبه فقلت: ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد كره هذا يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه، فرد عليّ الدراهم وجئت بها الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فمشى معي الى السوق ليبتاع قميصاً، فنظر الى جارية قاعدة على الطريق تبكي فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ما شأنك؟

قالت: يا رسول الله، ان اهل بيتي اعطوني اربعة دراهم لا شتري لهم بها حاجة فضاعت فلا اجسر ان ارجع اليهم، فأعطاها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اربعة دراهم، وقال: ارجعي الى اهلك.

ومضى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى السوق فاشترى قميصاً باربعة دراهم ولبسه وحمد الله وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله قميصه الذي اشتراه وكساه السائل ثم رجع الى السوق فاشترى بالاربعة التي بقيت قميصاً آخر فلبسه وحمد الله، ورجع الى منزله واذا بالجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ما لك لا تأتين الى اهلك؟

قالت: يا رسول الله اني قد ابطأت عليهم واخاف ان يضربوني.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): مري بين يدي ودليني على اهلك.

فجاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى وقف على باب دارهم ثم قال: السلام عليكم يا اهل الدار، فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال لهم: ما لكم تركتم اجابتي في اول السلام والثاني؟

قالوا: يا رسول الله، سمعنا سلامك فأحببنا ان نستكثر منه!

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ان هذه الجارية ابطأت عليكم فلا تؤاخذها.

فقالوا: يا رسول الله هي حرة لمشاك.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الحمد لله، ما رأيت اثنى عشر درهماً، اعظم بركة من هذه، كسى الله بها عريانين واعتق بها نسمه![1].

واقول: ما رأينا اعظم بركة منك يا رسول الله، فما حدث كان كله ببركتك انت يا رسول الله، وما بركة الدراهم الا لبركة صاحبها!

افلا شققت الغطاء عن قلبه!

كان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى فلما احس بخيل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جمع اهله وماله وصار في ناحية الجبل فأقبل يقول: اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله!

فمرّ به اسامه بن زيد فطعنه فقتله، فلما رجع الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اخبره بذلك.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

قتلت رجلاً شهد ان لا إله إلّا الله وأني رسول الله ؟!

فقال: يا رسول الله انما قالها تعوذاً من القتل

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): افلا شققت الغطاء عن قلبه؟! لا ما قال بلسانه قبلت ولا ما كان في نفسه علمت!![2]

وفي رواية اخرى:

---

(١) بحار الانوار ج١٦ ص٢١٤.

(٢) بحار الانوار ج٢١ ص١١.

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال له: اقال لا اله الا الله وقتلته؟

قلت: يا رسول الله انما قالها خوفاً من السلاح؟

قال: افلا شققت قلبه حتى تعلم اقالهاام لا؟فمازال يكررها حتى تمنيت ـ والكلام لاسامه ـ اني اسلمت يومئذ (اي لم اسلم قبل ذلك)[١].

استنكار لقتل النساء والاسرى

وعن عبد الله بن مسعود قال:

ان امرأة وجدت في بعض مغازي النبي (صلّى الله عليه وآله) مقتولة، فأنكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قتل النساء والصبيان[٢].

وفي معركة حنين، مررسول الله بأمرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون (مجتمعون) عليها.

فقال: ما هذا؟

فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لبعض من معه: ادرك خالداً فقل له: ان رسول الله ينهاك ان تقتل وليداً او امرأة او عسيفاً (الا جير والعبد المستعان به)[٣].

وعن معاوية قال:

مازال المسلمون يقتلون المشركين ـ يوم حنين ـ ويأسرون منهم حتى ارتفع النهار فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالكف ونادى: لا يقتل اسير من

---

(١) المصدر السابق ص٦٥.

(٢) صحيح البخاري ج٦ كتاب الجهاد والسير باب قتل الصبيان في الحرب.

(٣) سيرة ابن هشام ج٤ ص١٠٠.

القوم، وكانت هذيل بعثت رسولاً يقال له: ابن الاكوع ايام الفتح عيناً على النبي (صلّى الله عليه وآله) حتى علم علمه فجاء الى هذيل بخبره، واسر يوم حنين، فمرّ به عمر بن الخطاب، فلما رآه اقبل على رجل من الانصار وقال: هذا عدو الله الذي كان علينا عيناً ها هو اسير فأقتله فضرب الانصاري عنقه وبلغ ذلك النبي (صلّى الله عليه وآله) فكره ذلك وقال: الم آمركم ان لا تقتلوا اسيراً؟!

وقتل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو اسير فبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى الانصار وهو مغضب فقال: ما حملكم على قتله وقد جاءكم الرسول ان لا تقتلوا اسيراً؟!

فقالوا: انما قتلناه بقول عمر، فأعرض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى كلمه عمر بن وهب في الصفح عن ذلك[1].

واستنكار لتعذيب المشركين

روى ابن هشام فقال:

بعث النبي (صلّى الله عليه وآله) بجماعة ليأتوا له بأخبار قريش في معركة بدر فأصابوا راوية (الابل التي يستقى عليها الماء) لقريش فيها اسلم غلام بني الحجاج وعريض ابو يسار غلام بني العاص بن سعيد فأتوا بهما فسائلوهما ورسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء.

فكره القوم خبرهما ورجوا ان يكونا لابي سفيان، فضربوهما، فلما اذلقوهما (بالغوا في ضربهما) قالا: نحن لابي سفيان، فتركوهما وركع النبي (صلّى الله عليه وآله) وسجد سجدتيه ثم سلم وقال مستنكراً: اذا صدقاكم ضربتموهما واذا

---

(١) بحار الانوار ج٢١ ص١٥٨.

كذباكم تركتموهما؟

صدقا والله انهما لقريش[١].

رحمة بالسبايا

عن فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) قالت.

ان رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) بعث زيد بن حارثة نحو مدين ومعه ضمـيرة مولى علي بن ابي طالب واخ له، فأصاب سبياً من اهل الميناء وهي السواحل وفيها جّماع (خليط) من الناس، فبيعوا، ففرق بينهم، فخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهم يبكون، فقال:

ما لهم؟

فقيل: يا رسول الله فرق بينهم

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لا تبيعوهم الا جميعاً. اراد الامهات والاولاد[٢].

ولما مر بلال في خيبر بصفية بنت حيي بن اخطب اليهودي وامرأة معها على قتلى من قتلى اليهود، جعلتا تبكيان وتولولان، فلما راهما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال لبلال:

انزعت منك الرحمة يا بلال، حيث تمر بأمرأتين على قتلى رجالهما؟[٣].

ورحمة بالاسرى

ولما حكم سعد بن معاذ على بني قريظة با عدام الرجال وسبي النساء،

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٦٨.

(٢) سيرة ابن هشام ج٤ ص٢٨٤.

(٣) بحار الانوار ج٢١ ص٥.

وذلك بتهمة الخيانة، فقدم الرجال للقتل، اوصى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالوصية التالية:

اسقوهم العذب واطعموهم الطيب واحسنوا اسارهم.

وفي الامتاع:

قال (صلّى الله عليه وآله): احسنوا اسارهم وقيلوهم واسقوهم ولا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح وامر بقتلهم في اليوم دين: بالغداة والعشي (اتقاءً للحر) في ثلاثة ايام[١].

وقال ابن عباس:

لما امسى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر والناس (الاسرى) محبوسون بالوثاق بات ساهراً اول الليل فقال له اصحابه: ما لك لاتنام؟

فقال (صلّى الله عليه وآله): سمعت انين عمي العباس في وثاقه. فأطلقوه، فسكت، فنام رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٢].

ورحمة بالاطفال والنساء

عن انس بن مالك قال:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: اني لأدخل في الصلاة وانا اريد اطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز (اسرع) في صلاتي مما اعلم من شدة وجد امه من بكاءه!![٣].

وعن انس ايضاً قال:

---

(١) بحار الانوار ج٢٠ ص٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٢) بحار الانوار ج١٩.ص٢٤٠.

(٣) صحيح البخاري ج١ ص١٧٢.

ما صليت وراء امام قط اخف صلاة ولا اتم من النبي (صلّى الله عليه وآله)، وان كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة ان تفتن امه[١].

وروى العلامة المجلسي القضية الطريفة التالية:

خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من المدينة متوجهاً الى الحج في السنة العاشرة من الهجرة واذن في الناس بالحج فتجهز الناس للخروج معه وحضر المدينة من ضواحيها ومن جوانبها خلق كثير، فلما انتهى الى ذي الحليفة ولدت هناك اسماء بنت عميس محمد بن ابي بكر، فأقام تلك الليلة من اجلها![٢].

ما اجمل الخلق النبوي؟ وما اعظم ذلك القلب الرؤف الذي كان ينبض في جوفه؟! تراه يقيم تلك الليلة ومعه ذلك الحشد الهائل والركب الجماهيري العظيم، الذي يرافقه في سفره الى الحج من اجل امرأة اخذها المخاض فولدت! فوقف النبي (صلّى الله عليه وآله) واستوقف الركب العظيم من اجلها!.

ورحمة بالمساكين

روي ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يخرج في الليلة ثلاث مرات الى المسجد فخرج في آخر ليلة وكان يبيت عند المنبر مساكين فدعا بجارية تقوم على نساءه فقال: ائتيني بما عندكم، فأتته ببرمة (قدر حجري) ليس فيها الا شيء يسير فوضعها ثم ايقظ عشرة وقال: كلوا بسم الله. فأكلوا حتى شبعوا ثم ايقظ عشرة فقال: كلوا بسم الله، فأكلوا حتى شبعوا ثم هكذا وبقي في القدر بقية، فقال: اذهبي بهذا اليهم (اي الى نساءه)[٣].

وكان ابو هريرة يقول:

---

(١) المصدر السابق ص١٧١.

(٢) بحار الانوار ج١٢ ص٣٨٩.

(٣) المصدر السابق ج١٨ ص٣٠.

الله الذي لا اله الا هو ان كنت لا عتمد بكبدي على الارض من الجوع وان كنت لا شد حجراً على بطني من الجوع ولقد قعدت يوماً على طريقهم، الذي يخرجون منه، فمر ابو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليشبعني فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليشبعني فمر فلم يفعل، ثم مر بي ابو القاسم (صلّى الله عليه وآله) فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: ابا هر!

قلت: لبيك يا رسول الله

قال الحق. ومضى، فتبعته، فدخل فأستاذن فاذن لي فدخل فوجد لبناً في قدح فقال: من اين هذا اللبن؟

قالوا: اهداه لك فلان او فلانة.

قال: ابا هر!

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: الحق الى اهل الصفة فادعهم الّي.

قال: واهل الصفة اضياف الاسلام لا يأوون الى اهل ولا مال ولا على احد، اذا اتته صدقه بعث بها اليهم، ولم يتناول منها شيئاً واذا اتته هدية ارسل اليهم، وأصاب منهاواشركهم فيها، فساءني ذلك ـ والكلام لابي هريرة ـ فقلت: وما هذا اللبن في اهل الصفة؟ كنت احق انا ان اصيب من هذا اللبن شربة اتقوى بها فاذا جاء امرني فكنت انا اعطيهم وما عسى ان يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بُد، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا فأستأذنوا فأذن لهم واخذوا مجالسهم من البيت.

قال (صلّى الله عليه وآله): يا ابا هر!

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: خذ فأعطهم.

قال: فأخذت القدح فجعلت اعطيه الرجل فيشرب حتى يروي ثم يرد عليّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروي ثم يرد عليّ القدح، حتى انتهيت الى النبي (صلّى الله عليه وآله) وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعته على يده، فنظر اليّ فتسبم فقال: يا اباهر!

قلت: لبيك يا رسول الله

قال: بقيت انا وانت

قلت: صدقت يا رسول الله.

قال: اقعد فاشرب.

فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت. فما زال يقول: اشرب، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكاً

قال: فأرني.

فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب[1].

ورحمة بالامة

قال الامام الباقر عليه السلام:

بينما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوماً جالساً اذ قام متغير اللون فتوسط المسجد ثم اقبل يناجي طويلاً، ثم رجع اليهم.

قالوا: يا رسول الله راينا منك منظراً ما رأيناه فيما مضى؟

قال: اني نظرت الى ملك السحاب اسماعيل، ولم يهبط الى الارض الا بعذاب فوثبت مخافة ان يكون قد نزل في امتي شيء، فسألته، ما اهبطه؟

فقال: استأذنت ربي في السلام عليك فأذن لي.

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص١١٩.

قلت: فهل امرت فيها بشيء؟

قال: نعم في يوم كذا وفي شهر كذا في ساعة كذا. وتحقق الوعد ونزل المطر في ذلك اليوم وضج الناس، كما تقول الرواية[١].

وقال ابن مسعود:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يتخولنا (اي يطلب الحال التي يبسطون فيها للموعظة) بالموعظة مخافة السآمة علينا[٢].

وعن ابن مسعود ايضاً قال:

اتى رجل النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: اني لأتأخر عن صلاة الغداة من اجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قط اشد غضباً في موعظة منه يومئذ فقال (صلّى الله عليه وآله): يا ايها الناس ان منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز (يسرع) فان فيهم المريض والكبير وذا الحاجة[٣].

وعن انس قال:

ان امرأة كان في عقلها شيء جاءته (صلّى الله عليه وآله) فقالت: ان لي اليك حاجة.

فقال (صلّى الله عليه وآله): اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك.

فجلست فجلس النبي (صلّى الله عليه وآله) اليها حتى فرغت من حاجتها[٤].

---

(١) بحار الانوار ج١٨ ص١١٥.

(٢) الشفا لابن عياض ج٢ ص١٣٥.

(٣) صحيح البخاري ج٨ ص٣٣.

(٤) الشفا ج٢ ص١٣١.

ومع يهودي

عن انس قال:

كان غلام يهودي يخدم النبي (صلّى الله عليه وآله) فمرض فأتاه النبي (صلّى الله عليه وآله) يعوده![١].

اليست نفساً؟!..

ومن اجمل المواقف الانسانية الاخلاقية التي سجلها التاريخ للرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) ما ذكره البخاري في صحيحه عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد قالا:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) مرت به جنازة فقام، فقيل له: انها جنازة يهودي؟!

فقال (صلّى الله عليه وآله): اليست نفساً؟!..[٢].

وفي رواية اخرى:

قيل: يا رسول الله انها جنازة يهودي؟!

قال: (صلّى الله عليه وآله): اذا رأيتم الجنازة فقوموا[٣].

مع بني جذيمة

قال ابن الاثير في الكامل:

---

(١) صحيح البخاري ج٢ كتاب الجنائز باب اذا اسلم الصبي.

(٢) صحيح البخاري ج٢ ص١٠٣.

(٣) المصدر السابق.

وفي هذه السنة ـ يعني سنة ثمان بعد الفتح ـ كانت غزاة خالد بن الوليد بني جذيمة، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس الى الله ولم يأمرهم بقتال، وكان خالد بن الوليد بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فنزل على الغميصاء ـ ماء من مياه بني جذيمة بن عامر ـ وكانت بني جذيمة اصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف ابا عبد الرحمن والفاكه بن المغيرة عم خالد واخذوا ما معهما ، فلما نزل خالد ذلك الماء، اخذ بنو جذيمة السلاح.

فقال خالد: اخلعوا السلاح، فان الناس قد اسلموا. فوضعوا، فأمربهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر الى النبي (صلّى الله عليه وآله) رفع يديه ثم قال:

اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد !

ثم ارسل علياً عليه السلام ومعه مال وامره ان ينظر في امرهم فودى لهم النساء والاموال حتى انه ليدي ميلغة الكلب، ففضل معه من المال فضلة فقال لهم علي (عليه السلام): هل بقي لكم مال او دم لم يود؟

قالوا: لا

قال: اني اعطيكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ففعل ثم رجع الى رسول الله فأخبره، فقال: اصبت واحسنت[١].

وفي رواية: انه لما بلغه ما أفترفه خالد بحق بني جذيمة بكى من شدة التأثر[٢].

---

(١) الكامل لابن الاثير ج٢ ص١٧٣.

(٢) بحار الانوار ج٢١ ص١٤٠.

لقد حجرت واسعاً!

قال ابو هريرة:

قام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في صلاة وقمنا معه، فقال اعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا احداً!

فلما سلم النبي (صلّى الله عليه وآله) قال للاعرابي: لقد حجرت واسعاً! يريد رحمة الله[١].

* * *

(١) صحيح البخاري ج٨ كتاب الادب باب رحمة الناس والبهائم.

رسول السماحة

السماحة، والرأفة، والرفق، واللين.. هذه المفردات كلها كانت من ابرز ما اتسمت بها السيرة النبوية الشريفة، وبانت على محياها الكريم.

فقد ورد في الحديث الشريف ان النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: **(امرني ربي بمداراة الناس كما امرني بأداء الفرائض)**[1]

مع المنافقين

وهذه السياسة السمحاء التي اتبعها الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) بدت واضحة في مختلف الشئون الحيوية للنبي (صلّى الله عليه وآله)، ومع كافة الفئات التي كان يعايشها.

فعلى الرغم من ان فئة المنافقين كانت من اخطر الفئات على الحكومة الاسلامية الفتية، وكانوا يشكلون عائقاً كبيراً جداً في طريقها، حتى نزلت سورة قرآنية كاملة تفضحهم، وتفشي اساليبهم الخيانية التي كانوا يمارسونها مع النبي (صلّى الله عليه وآله) والمسلمين، وعلى الرغم من كل ذلك، فان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) كان يجابه اساليبهم بمنتهى الرحابة وسعة الصدر، والاغضاء، والتسامح .

قال الامام الصادق (عليه السلام): إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم

---

(١) بحار الانوار ج١٨ ص٢١٣.

يقاتل منافقاً قط، انما كان يتألفهم[١].

روي ان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) لَمّا رجع من تبوك الى المدينة، ومرض عبد الله بن ابي رأس المنافقين، وكان ابنه عبد الله بن عبد الله مؤمناً، فجاء الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وابوه يجود بنفسه فقال: يا رسول الله، بأبي انت وامي انك ان لم تأت ابي كان ذلك عاراً علينا.

فوافق النبي (صلّى الله عليه وآله) على هذا الطلب وجاء لعيادة المنافق عبد الله بن ابي والمنافقون ملتفون حوله.

فقال ابنه عبد الله: يا رسول الله استغفر الله له.

فأستغفر له، فقال عمر: الم ينهك الله يا رسول الله ان تصلي عليهم وتستغفر لهم؟

فأعرض عنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واعاد عليه فقال له: ويلك اني خيرت فأخترت ان الله يقول:﴿**استغفر لهم اولا تستغفر لهم، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**﴾.

فلما مات عبد الله جاء ابنه الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: بابي انت وامي يا رسول الله ان رأيت ان تحضر جنازته.

فحضر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقام على قبره، فقال له عمر: يا رسول الله، الم ينهك الله ان تصلي على احد منهم مات ابداً، وان تقوم على قبره؟

فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ويلك وهل تدري ما قلت؟ انما قلت: اللهم احش قبره ناراً وجوفه ناراً واصله ناراً. فبدىٰ من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما لم يكن يحب[٢].

---

(١) المصدر السابق ج١٩ ص١٦٣.

(٢) بحار الانوار ج٢٢ ص٩٧.

وفي رواية الامام الصادق (عليه السلام): فأبدى من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما كان يكره[١].

وروي ايضاً: انه صلى على عبد الله بن ابي والبسه قميصه قبل ان ينهى عن الصلاة على المنافقين، فقيل له: لم وجهت بقميصك اليه يكفن فيه وهو كافر؟!

فقال (صلّى الله عليه وآله): ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئاً، واني اؤمل من الله ان يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير. فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاع بثوب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[٢].

انما بعثتم ميسرين!

عن ابي هريرة:

قام اعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي (صلّى الله عليه وآله): دعوه، وهريقوا على بوله سجلاً من ماء او ذنوباً من ماء، فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين[٣].

وفي رواية انس:

جاء اعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس، فنهاهم النبي (صلّى الله عليه وآله) فلما قضى بوله امر النبي (صلّى الله عليه وآله) بذنوب من ماء فأهريق عليه[٤].

وبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) غالب بن عبد الله الى بني مدلج،

---

(١) المصدر السابق ص١٢٦.

(٢) بحار الانوار ج٢١ ص١٩٩.

(٣) صحيح البخاري ج١ كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد.

(٤) المصدر السابق باب يهريق الماء على البول.

فقالوا: لسنا عليك ولسنا معك.

فقال الناس: أغزهم يا رسول الله!

فقال (صلّى الله عليه وآله): ان لهم سيداً اديباً اريباً، ورب غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله![١].

وروي عن ابن عباس:

ان زوج بريرة (كانت امة لعائشة فأعتقتها) كان عبداً يقال له: مغيث، كأني انظر اليه خلفها ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله) للعباس: الا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثاً؟

فقال لها النبي (صلّى الله عليه وآله): لو راجعتيه فانه ابو ولدك!

فقالت: يا رسول الله اتأمرني فأفعل؟

قال: لا، انما انا شافع[٢].

وعن انس بن مالك قال:

كنت عند النبي (صلّى الله عليه وآله) فجاءه رجل فقال: يا رسول الله اني اصبت حداً فأقمه علي ولم يسأله عنه، وحضرت الصلاة فصلى مع النبي (صلّى الله عليه وآله) فلما قضى النبي (صلّى الله عليه وآله) الصلاة قام اليه الرجل فقال: يا رسول الله اني اصبت حداً فأقم فيَّ كتاب الله، قال (صلّى الله عليه وآله): اليس قد صليت معنا؟

قال: نعم.

قال: فان الله قد غفر لك ذنبك او قال: حدك[٣].

---

(١) بحار الانوار ج٢١ ص١٤٠.

(٢) صحيح البخاري ج٨ ص٦٢.

(٣) المصدر السابق ص٢٠٧.

النبي (ص) والاقليات الدينية

لا احسب ان الاقليات الدينية تحظى من الحقوق والاحترام في اي دين او عقيدة او ايديولوجية كما تحظى بذلك في الاسلام.

ولا احسب ايضاً ان شخصية كبرى كانت تحترم حقوق الاقليات الدينية الاخـرى وتحفظها، كما كان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) يحترم حقوق الاقليات الدينية التي كانت تعيش في ظل حكومته العادلة.

ولقد كانت معاملة النبي (صلّى الله عليه وآله) للاقليات الدينية تتخذ كل صور التعامل دون ان تقتصر على نوع معين، فمن علاقات حسن الجوار والتزاور وعيادة المرضى واجابة دعوات الولائم حتى المناظرة والمحاورة، كل هذه تشكل صور التعامل الاخلاقي لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) مع الاقليات الدينية.

ومـع ان اليهود قد جبلوا على الغدر والخيانة، وهم يرون ان دماء من سواهم من الشعـوب والاديان واعراضهم واموالهم مباحة ولا يقيمون لها اي احترام يشهد لذلك تلمودهم وتوراتهم المحرفة التي تبيح لهم ان يرتكبوا مع سائر الشعوب ما يحلو لهم، الا ان ذلك كله لم يدفع بالنبي (صلّى الله عليه وآله) الى ان يحرمهم من حقوقهم كمواطنين يعيشون على ارض الاسلام.

قال الامام العسكري (عليه السلام):

قلت لابي علي بن محمد (عليه السلام): هل كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يناظر اليهود والمشركين اذا عاندوه ويحاججهم؟

قال: بلى، مراراً كثيراً[1].

---

(١) الاحتجاج ج١ ص٥٧.

وفضلاً عن ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يحفظ بنفسه حقوق الاقليات ويتكفل بها، فقد كان يؤكد مراراً على المسلمين حفظهم لحقوق الاقليات وعدم تعديهم عليهما، ويدعوهم الى معايشتهم بسلام ووئام. فقد روي عنه انه قال: من قتل معاهداً لم يرح (يشم) رائحة الجنة وان ريحها توجد من مسيرة اربعين عاماً[١].

وروي ان جاراً يهودياً للنبي (صلّى الله عليه وآله) مرض فعاده رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بنفسه[٢].

وبعث يوماً الى يهودي في قرض يسأله، ففعل، ثم جاء اليهودي اليه فقال: جاءتك حاجتك؟

قال: نعم

فقال اليهودي: فابعث فيما اردت ولا تمتنع من شيء تريده

فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): ادام الله جمالك.

فعاش اليهودي ثمانين سنة، ما رؤي في رأسه شعرة بيضاء[٣].

ونذكر القارئ الكريم بالحديث الذي اوردناه في البحث السابق حول قيام الرسول (صلّى الله عليه وآله) احتراماً لجنازة يهودي، ولما اعترض عليه اصحابه اجابهم بقوله: «**اليست نفساً**»؟!

مما يدل على عظمة الاخلاق النبوية، وانه اول من رعى حقوق الانسان التي تسحق في عالمنا المعاصر، ولا نجد لها اثراً حتى في تلك الدول التي تدعي انها زعيمة العالم الحر، او التي ساهمت في اصدار الميثاق الدولي لحقوق الانسان.

وجاءه اليهود ذات يوم يدعون ابنته الزهراء (عليها السلام) الى حفلة

---

(١) صحيح البخاري ج٦ كتاب الجهاد باب اثم من قتل معاهداً.

(٢) مكارم الاخلاق ص٣٥٩.

(٣) بحار الانوار ج١٨ ص١٥.

عرس لهم وقالوا له: لنا حق الجوار فنسألك ان تبعث فاطمة بنتك الى دارنا حتى يزدان عرسنا بها والحوا عليه.

فوافق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على طلبهم وبعث بأبنته الزهراء (عليه السلام) الى عرسهم مرتدية ثوباً انزله جبرئيل (عليه السلام) ابهرت به عيون نساءهم اللاتي كن يتوقعن حضورها بملابس بالية، فما تمالكت نساؤهم الا ان قبلن الارض بين يديها واسلم منهن خلق كثير[١].

فنحن نجد في هذه الرواية ان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) وهو الرئيس الاعلى للدولة الاسلامية يبعث بابنته واحب الناس اليه الى حفلة عرس يقيمها اليهود وهم الاقلية في دولته، حفظاً لحقوقهم ورعاية لهم.

ومع ان اليهود معروفون بالغدر والخيانه ونقض العهد والذمة، وهم ﴿اشدّ الناس عداوة للذين آمنوا﴾ الا ان ذلك لم يمنع النبي (صلّى الله عليه واله) من مسايرتهم ومراعاتهم انطلاقاً من اخلاقه السامية الكريمة.

روى انس بن مالك فقال:

ان يهودياً دعا النبي (صلّى الله عليه وآله) الى خبز شعير واهالة سنخة فأجابه![٢].

وروي:

ان علياً عليه السلام صاحب رجلاً ذميّاً (مسيحي او يهودي يعيش في دولة الاسلام فقال له الذمي: اين تريد يا عبد الله؟

قال: اريد الكوفة. فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي (عليه السلام).

فقال له الذمي: اليس زعمت تريد الكوفه؟

---

(١) راجع بحار الانوار ج٤٣ ص٣٠.

(٢) الطبقات ج١ ص٤٠٧.

قال: بلى.

فقال له الذمي: فقد تركت الطريق؟

فقال: قد علمت.

فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟

فقال له علي: هذا من تمام الصحبة ان يشيع الرجل صاحبه هنيئة اذا فارقه وكذلك امرنا نبينا.

فقال له: هكذا امركم نبيكم؟!

قال: نعم.

فقال له الذمي: لا جرم انما تبعه من تبعه لا فعاله الكريمة، وانا اشهدك على دينك. فرجع الذمي مع علي (عليه السلام) فلما عرفه انه خليفة المسلمين اسلم[١].

ومن النماذج التي تشير الى حفظ النبي (صلّى الله عليه وآله) لحقوق الاقليات ما يروى:

كتب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لا سقف بني الحارث بن كعب واساقفة نجران كهنتهم، ومن تبعهم ورهبانهم ان لهم على ما تحت ايديهم من قليل وكثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم وجوار الله ورسوله لا يغير اسقف عن اسقفيته ولا راهب عن رهبانيته ولا شيء عما كانوا عليه ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين[٢]

---

(١) سفينة البحار ج١ ص ٤١٦.

(٢) الطبقات ج١ ص ٢٦٦.

هكذا عامل الاطفال

الاطفـال هم لبنـة المجتمع الاولى، ان احسن وضعها جيداً فالمجتمع سيكون سالماً من العيوب والامراض الاخلاقية والاجتماعية، وان أُسيء وضعها فسيكون مجتمعاً فاسداً منحرفاً، تنخر فيه عوامل الشر والفساد.

من هنا اهتم الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) كثيراً بتربية الاطفال وتنشئتهم نشأة سليمة. وكان تعامله معهم على ضوء تلك الفكرة التي تدعوه لاصلاحهم.

فنزاه يعاملهم بمنتهى الرفق واللين، ويمنحهم شخصية قوية، ولا يحقر احداً منهم، في مجتمع كان لايقيم للطفل وزناً، ولا يبدي له اية شفقة ورحمة.

فقد روي ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يؤتى بالصبي الصغير ليد عو له بالبركة او يسميه فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لاهله، فربما بال الصبي عليه، فيصيح بعض من رآه حين يبول، فيقول (صلّى الله عليه وآله): لا تزرموا بالصبي، فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ له من دعاءه او تسميته ويبلغ سرور اهله فيه ولا يرون انه يتأذىٰ ببول صبيهم، فاذا إنصرفوا غسل ثوبه بعد[1].

وقال انس بن مالك:

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من افكه الناس مع صبي[2].

وعن ابي قتادة الانصاري:

---

(١) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٤٠.

(٢) دلائل النبوة ج١ ص ٣٣١.

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يصلي وهو حامل امامة بنت زينب بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولابي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فاذا سجد وضعها واذا قام حلمها[١].

ومر ذات يوم بصبي فرآه حزيناً ولما سأله عن السبب قال: إن بلبله قد مات، فعزاه وخفف عنه[٢].

وعن ام خالد بنت خالد بن سعيد قالت:

اتيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مع ابي وعلّي قميص اصفر، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): سنة سنة. قال عبد الله: وهي بالحبشية حسنة.

قالت: فذهبت العب بخاتم النبوة فزبرني ابي.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): دعها.

ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ابلي واخلقي ثم ابلي واخلقي ثم ابلي واخلقي.

قال عبد الله: فبقيت حتى ذكر. يعني من بقاءها[٣].

ورووا:

كان (صلّى الله عليه وآله) يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف لهم ثم يأمر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه، ويأمر اصحابه ان يحملوا بعضهم، فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بين يديه وحملك انت وراءه ويقول بعضهم: امر اصحابه ان يحملوك وراءهم[٤].

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص ١٣٠.

(٢) شبهات الملحدين لمغنية ص ٩٢.

(٣) صحيح البخاري ج٨ ص ٨.

(٤) المحجة البيضاء ج٣ ص ٣٦٦.

ومما يبين مدى اهتمام النبي (صلّى الله عليه وآله) بالاطفال ومنحهم الشخصية الكامله واحترامهم ما رواه الامام الصادق (عليه السلام) قال:

عطس غلام لم يبلغ الحلم عند النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: الحمد لله.

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): بارك الله فيك![1].

وروت ام الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ومرضعة الحسين عليه السلام قالت: اخذ مني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حسيناً ايام رضاعه فحمله فأراق ماءً على ثوبه فأخذته بعنف حتى بكى.

فقال (صلّى الله عليه وآله): مهلاً يا ام الفضل ان هذه الاراقة الماء يطهرها فأي شيء يزيل الغبار عن قلب الحسين؟![2].

وقد مر عليك ايها القارئ بعض القضايا المرتبطة بهذا البحث والتي تدل على عطفه وشفقته على الطفل في البحث المعنون بـ (الاب المثالي) فراجع.

* * *

(١) مرآة العقول ج١٢ ص ٥٥٦.

(٢) هدية الاحباب ص ١٧٦ نقلاً عن: الطفل بين الوراثة والتربية ج٢ ص ٨٥

الرفق بالحيوان

يتباهى العالم الغربي هذا اليوم بأنه يولي حقوق الانسان اهتماماً بالغاً، وانه اول من ارسى قواعد حقوق الانسان في العالم، ومن ثم اخذ بالحديث عن الحيوان والرفق به، وانشأ الجمعيات الخيرية للرفق بالحيوان، واذا وجد العالم الغربي حالة واحدة قد تخالف مبادئ الرفق بالحيوان، فان الدنيا ستقوم عندهم ولا تقعد. بينما دراسة حياة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تشير الى ان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد سبق العالم الغربي باكثر من (١٤٠٠) عام في الدعوة الى حفظ حقوق الانسان والرفق بالحيوان ولم يقتصر اهتمام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالرفق بالحيوان على مجرد الارشاد والتشجيع بل تعدى الى مرحلة التشريع ايضاً. حيث امر المسلمين ـ على سبيل المثال ـ ان يحدّوا الشفرة حين يذبحون الحيوان كي لا يتعذب، وامر بسقيه الماء قبل ذبحه، الى غير ذلك[١].

روي ان رجلاً من نجران كان مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في غزاة ومعه فرس، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يستأنس الى صهيله، ففقده فبعث اليه، فقال: ما فعل فرسك؟ فقال: اشتد عليه شبقه (شهوته الجنسية) فخصيته.

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): مثلت به! الخيل معقود في نواصيها الخير

---

(١) راجع كتاب الصيد والذباحة من الوسائل.

الى ان تقوم القيامة[١].

وكان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في مسجده ذات يوم اذ اقبل جمل نادّ (نافر) حتى وضع رأسه في حجره ثم خرخر (صوّت) فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يزعم هذا ان صاحبه يريد ان ينحره في وليمة على ابنه فجاء يستغيث، فقال رجل: يارسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هذا لفلان وقد اراد به ذلك، فأرسل اليه وسأله ان لا ينحره ففعل[٢].

وعن السكوني:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) رأى ناقة معقولة وعليها جهازها فقال: اين صاحبها؟ ـ لا مروة له ـ فليستعد غداً للخصومة[٣].

وجاء في مناهي رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

انه نهى ان يحرق شيء من الحيوان بالنار[٤].

ونهى عن قتل النحل[٥].

ونهى عن الوسم في وجوه البهائم[٦].

لما فيه من التعذيب للحيوان.

ولقد جلس يوماً يأكل رطباً فيأكل بيمينه وامسك النوى بيساره ولم يلقه في الارض فمرت به شاة قريبة منه، فأشار اليها بالنوى الذي في كفه، فدنت اليه وجعلت تأكل من كفه اليسرى، ويأكل هو بيمينه ويلقي اليها النوى حتى

---

(١) بحار الانوار ج١٩ ص ١٨٦.

(٢) بحار الانوار ج١٧ ص ٢٣٠.

(٣) مكارم الاخلاق ص ٢٦٣.

(٤) مكارم الاخلاق ص ٤٢٥.

(٥) المصدر السابق ص ٤٢٧.

(٦) المصدر السابق.

فرغ وانصرفت الشاة حينئذ[١].

ورأى (صلّى الله عليه وآله) فرخ طائر في يد رجل وامه تحوم حوله وترفرف، فغضب وقال: اردد اليها ولدها.

ورأى كلبة مع صغارها فأمر برعايتها.. وعلق الكاتب الانجليزي مونتجمري على هذه الحادثة في كتابه «محمد» يقول:ـ

«هذا شيء رائع في ذلك العصر»[٢].

وقال علي عليه السلام:

بينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يتوضأ اذ لاذبه هر البيت، وعرف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) انه عطشان فأصغى (أمال) اليه الاناء حتى شرب منه الهر، وتوضأ بفضله![٣]

وقال الامام علي (عليه السلام):

مر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بظبية مربوطة بطنب (حبل) فسطاط (خيمة) فلما رأت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اطلق الله عز وجل لها لسانها فكلمته، فقالت: يا رسول الله اني ام خشفين (صغيري الظبي) عطشانين وهذا ضرعي قد امتلأ لبنا فخلني حتى انطلق فأرضعهما ثم اعود فتربطني كما كنت.

فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه واله): كيف وانت ربيطة قوم وصيدهم؟

قالت: بلى يا رسول الله انا اجيء فتربطني كما كنت انت بيدك.

فأخذ عليها موثقاً من الله لتعودن وخلى سبيلها، فلم تلبث يسيراً حتى رجعت قد افرغت ما في ضرعها، فربطها نبي الله (صلّى الله عليه وآله) كما كانت، ثم سأل: لمن هذا الصيد؟

---

(١) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٤٤.

(٢) راجع شبهات الملحدين لمحمد جواد مغنية ص ٩١.

(٣) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٩٣.

قالوا: يا رسول الله هذه لبني فلان.

فأتاهم النبي (صلّى الله عليه وآله) وكان الذي اقتنصها منهم منافقاً فرجع عن نفاقه وحسن اسلامه، فكلمه النبي (صلّى الله عليه وآله) ليشتريها منه.

قال: بلى، اخلي سبيلها فداك ابي وامي يا رسول الله.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لو ان البهائم يعلمون من الموت ما تعلمون انتم ما اكلتم منها سميناً[١].

وعن ابي منصور قال:

لما فتح الله على نبيه خيبراً أصاب حماراً اسود فكلم النبي (صلّى الله عليه وآله) الحمار فكلمه، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): سميتك يعفور.

ثم قال (صلّى الله عليه وآله): تشتهي الاناث يا يعفور؟

قال: لا!

وكلما قيل اجب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خرج اليه فلما قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جاء الى بئر فتردى فيها فصارت قبره، جزعاً[٢].

* * *

(١) بحار الانوار ج١٧ ص ٣٩٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٤ باختصار.

مدرسة الحلم

من ابرز ما اتصفت به الاخلاق النبوية هو الحلم عن اخطاء الاخرين وكبـواتهم، حتى ان المـوارد التي ابدى النبي (صلّى الله عليه وآله) فيها حلمًا، قد تجاوزت حد الاحصاء.

ومن المؤكـد ان الحلم هو عملية يستعمـل صاحبه فيها اكبر قدر من الضغط على المشـاعـر والانفعالات النفسية لديه، وليس بوسع كل احد ان يمارسه، فضلاً عن ان يعتاد عليه حتى يصبح من مواصفاته الشاخصة. فهي ـ حقاً ـ عملية صعبة وشاقة، ولا تتاح الا لاؤلئك الذين ما رسوا قدراً عظيمًا من الرياضة النفسية وضبط النفس.

ولا شك ان الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) هو اجدر من يكون في مقدمة تلك الصفوة وعلى رأسها، اليك بعض ما جاء في التاريخ عن حلمه (ص)[1].

قال انس بن مالك:

خدمت النبي (صلّى الله عليه وآله) تسع سنين فما أعلمه قال لي قط: هلا فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب عليّ شيئاً قط[1].

وعن انس ايضاً:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) ادركه اعرابي فأخذ برداءه فجبذه (جذبه) جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عنق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقد اثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته.

---

(١) بحار الانوار ج١٦ ص ٢٣٠.

ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك.

فالتفت اليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فضحك وامر له بعطاء[١].

وفي حديث ضمام بن ثعلبة حين وفد على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: يا ابن عبد المطلب اني سائلك ومغلظ عليك في المسئلة فلا تجدن في نفسك. قال (صلّى الله عليه وآله): لا اجد في نفسي فسل عمّا بدا لك.

ثم سئله بعض المسائل، واسلم[٢].

وجاءه يوم اعرابي يطلب منه شيئاً فأعطاه، ثم قال: احسنت اليك؟

قال الاعرابي: لا ولا اجملت.

فغضب المسلمون وقاموا اليه، فأشار اليهم ان كفوا، ثم قام ودخل منزله، وارسل اليه وزاده شيئاً ثم قال: احسنت اليك؟

قال: نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً.

فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك.

قال: نعم، فلما كان الغد او العشي جاء فقال (صلّى الله عليه وآله): ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي كذلك.

قال: نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً.

فقال (صلّى الله عليه وآله): مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي، فاني ارفق بها منكم واعلم، فتوجه لها بين يديها وأخذ لها من قمام الارض فردها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سيرة ابن هشام ج٤ ص ٢٢١.

حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال قتلتموه دخل النار[١].

وفي يوم بدر قال النبي (صلّى الله عليه وآله) لاصحابه: اني قد عرفت رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم احداً من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلا يقتله فانه انما خرج مستكرهاً.

فقال ابو حذيفة: انقتل آباءنا وابناءنا واخوتنا وعشيرتنا ونترك العباس! والله لان لقيته لألحمنه بالسيف.

فبلغت مقالته رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال لعمر بن الخطاب: يا ابا حفص، ايضرب وجه عم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالسيف؟

فقال عمر: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فو الله لقد نافق. الا ان النبي نهاه عن ذلك وعفا عنه.

فكان ابو حذيفة يقول: ما انا آمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا ازال منها خائفاً، الا ان تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً[٢].

وقال ابن مسعود:

قسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قسمة فقال رجل من الانصار: والله ما اراد محمد بهذا وجه الله!

فأتيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخبرته فتمعر وجهه وقال: رحم الله موسى لقداوذي بأكثر من هذا فصبر[٣].

ولما فتح النبي (صلّى الله عليه وآله) مكة جاءته النساء يبايعنه وجاءته هند

---

(١) سفينة البحار ج١ ص ٤١٦.

(٢) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٢٨١.

(٣) صحيح البخاري ج٨ ص ٢٢.

متنكرة متنقبة مع النساء خوفاً من ان يعرفها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال:

ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن.

فقالت: ان ابا سفيان ممسك واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا؟

فقال ابو سفيان: ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال.

فضحك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعرفها فقال لها: وانك لهند بنت عتبة؟

قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك.

فقال (صلّى الله عليه وآله): ولا تقتلن اولادكن.

فقالت هند: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً. وكان ابنها حنظلة قتله علي بن ابي طالب يوم بدر، فتبسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[١].

وعن عكرمة قال:

لما غزا النبي (صلّى الله عليه وآله) يوم حنين قصد اليه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة عن يمينه فوجد عباساً فأتى عن يساره فوجد ابا سفيان بن الحارث فأتى من خلفه فوقعت بينهما شواظ من نار فرجع القهقرىٰ، فرجع النبي (صلّى الله عليه وآله) اليه وقال: يا شيب، يا شيب ادن مني. اللهم اذهب عنه الشيطان.

قال: فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري.

فقال: يا شيب قاتل الكفار.

فلما انقضى القتال دخل عليه فقال (صلّى الله عليه وآله): الذي اراد الله بك خير مما اردته لنفسك، وحدثه بجميع ما زوى (اضمر) في نفسه فأسلم[٢].

وروي:

---

(١) بحار الانوار ج٢١ ص ٩٨.

(٢) بحار الانوار ج١٨ ص ٦١.

ان عروة بن مسعود الذي بعثته قريش ليكلم رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه) في الحديبية، جعل يتناول لحية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يكلمه، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الحديد، فجعل يقرع يده اذا تناول لحية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبل ان لا تصل اليك.

فيقول عروة: ويحك ما افظك واغلظك!

فتبسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[1].

وخرج يوماً اعرابي من بني سليم يبتدي في البرية فاذا هو بضب قد نفر من بين يديه، فسعى وراءه حتى اصطاده ثم جعله في كمه واقبل يزدلف نحو النبي (صلّى الله عليه وآلـه) فلما ان وقف بازاءه ناداه: يا محمد، يا محمد انت الساحر الكذاب الذي ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة هو اكذب منك؟ انت الذي تزعم ان في هذه الخضراء الهاً بعث بك الى الاسود والابيض ؟ واللات والعزى لو لا اني اخاف قومي ان يسمونني العجول لضربتك بسيفي هذا ضربة اقتلك بها، فأسود بك الاولين والاخرين! فوثب اليه عمر بن الخطاب ليبطش به فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): اجلس يا ابا حفص فقد كاد الحليم ان يكون نبياً.

ثم التفت النبي (صلّى الله عليه وآله) الى الاعرابي فقال له: يا اخا بني سليم هكـذا تفعـل العرب؟ يتهجمون علينا في مجلسنا يجبهوننا بالكلام الغليظ؟ يا اعـرابي والذي بعثني بالحق نبياً ان من ضرّبي في دار الدنيا هو غداً في النار يتلظى، يا اعرابي اسلم تسلم من النار يكون لك ما لنا وعليك ما علينا وتكون اخانا في الاسلام. فغضب الاعرابي وقال: واللات والعزى لا اؤمن بك يا محمد

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ ص ٣٢٨.

او يؤمن هذا الضب!

ثم رمى بالضب عن كمه فلما القى الضب على الارض ولى هارباً.

فناداه النبي (صلّى الله عليه وآله): ايها الضب من انا؟

فأنطق الله الضب وشهد لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالرسالة بلسان فصيح، فلما رأى الاعرابي ذلك دهش ثم شهد الشهادتين واسلم وحسن اسلامه فأعطاه النبي (صلّى الله عليه وآله) ناقة وزوده واستوى على راحلته واتى بني سليم وهم يومئذ اربعة آلاف رجل فلما ان وقف وسطهم ناداهم بعلو صوته:

قولوا لا اله الا الله محمد رسول الله!

فلما سمعوا منه هذه المقالة اسرعوا الى سيوفهم فجردوها ثم قالوا له: لقد صبوت الى دين محمد الساحر الكذاب.

فقال لهم: ما هو بساحر ولا كذاب، يا معشر بني سليم ان اله محمد (صلّى الله عليه وآله) خير اله وان محمداً خير نبي، اتيته جائعاً فاطعمني وعارياً فكساني وراجلاً فحملني.

ثم شرح لهم قصة الضب مع النبي (صلّى الله عليه وآله) وانشدهم الشعر الذي انشد في النبي (صلّى الله عليه وآله).

ثم قال:

يا معشر بني سليم، اسلموا تسلموا من النار، فأسلم في ذلك اليوم اربعة الاف رجل وهم اصحاب الرايات الخضر حول رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[1].

وعن الزهري: ان يهودياً قال: ما كان بقي شيء من نعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في التوراة الا رأيته الا الحلم واني اسلفته ثلاثين ديناراً الى اجل معلوم فتركته حتى اذا بقى من الاجل يوم فقلت: يا محمد اقض حقي فانكم معاشر

---

(١) بحار الانوار ج٤٣ ص ٧٤ بتصرف.

بني عبد المطلب مطل!

فقال عمر: يا يهودي الخبيث اما والله لو لا مكانه لضربت الذي فيه عيناك!

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): غفر الله لك يا ابا حفص ! نحن كنا الى غير هذا منك احوج الى ان تكون امرتني بقضاء ما علي وهو الى ان تكون اعنته في قضاء حقه احوج.

قال: فلم يزده جهلي عليه الا حلمًا.

قال (صلّى الله عليه وآله): يا يهودي انما يحل حقك غداً. ثم قال: يا ابا حفص اذهب به الى الحائط الذي كان سأل اول يوم فان رضيه فأعطه كذا وكذا صاعاً وزده لما قلت له كذا وكذا صاعاً فان لم يرض فأعطه ذلك من حائط كذا وكذا. فأتى به الحائط فرضي تمره فأعطاه ما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وما امره من الزيادة.

قال: فلما قبض اليهودي تمره قال: اشهد ان لا اله الا الله وأنّه رسول الله. ما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر الا اني قد كنت رأيت في رسول الله (صلّى الله عليه وآله) صفته في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين.

قال: واسلم اهل بيت اليهودي كلهم الا شيخاً كان ابن مائة سنة فعسا على الكفر[1].

* * *

(١) الطبقات ج١ ص ٣٦١.

العفو عند المقدرة

لا اعتقد ان قائداً في العالم منذ زمن آدم الغابر وحتى يومنا هذا قد عفى عن خصومه واعداءه بعد ما ظفر بهم، بقدر ما فعل ذلك النبي (صلّى الله عليه وآله) مع اعداءه و خصومه.

والسر في ذلك، ان حركة النبي (صلّى الله عليه وآله) هي حركة انسانية، جاءت لانقاذ البشرية من ديا جير الظلام، ونقلهم الى شاطئ السلام، والنبي (صلّى الله عليه وآله) بعث رحمة لهذا العالم. والقرآن الكريم يعبر عن دور الرسول الاعـظم (صلّى الله عليه وآله) بقوله ﴿**يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم**﴾. ولم تكن تلك الحركة متعطشة اصلاً لاراقة الدماء وازهاق النفوس، كما هو الشأن في جميع الثورات والحركات تثبيتاً لدعائها وترسيخاً لجذورها، حين تطيح بـ خصومها واعداءها.

فاذا كان الاسلام يهدف الى تحطيم الاغلال التي ترسف فيها البشرية وتخليصهـا من نير العبودية، فهو في غير حاجة الى اراقة الدم وسفك الدماء والبطش بأعداءه.

ولقد حاول بعض المستشرقين اتهام الاسلام بأنه دين السيف، ولو لاه لما قام للاسلام كيان، الا ان ذلك الاتهام لا يستطيع الصمود امام الحقائق التي ذكرتها كتب التاريخ والسير، وهي لا تعدو كونها اكذوبة مفضوحة لا تقوم على اي دليل حتى ان المفكر الفرنسي روجيه غارودي، والذي اعلن اسلامه عام ١٩٨٢، ذكر في كتابه (الاسلام دين المستقبل) ان عدد جميع القتلى في حروب النبي (صـلّى الله عليه وآله) والتي بلغت (٨٠) حرباً خلال ٢٣ سنة من حياته لم

يتجاوز الـ (٤٤٠) رجلاً من الطرفين المسلم والمشرك[١].

ولكي نذكر القارئ بانسانية الاسلام ورسوله العظيم، نعرض هذه النماذج، وهي كافية دليلاً على ما نقول.

عن عبيد بن عمير قال:

بلغني ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ماأُتي في غير حد الاعفا عنه[٢].

وجيء اليه برجل فقيل: هذا اراد ان يقتلك. فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): لن تراع لن تراع، ولو اردت ذلك لم تسلّط عليّ[٣].

مع دعثور

خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في غزوة ذي امر لما بلغه ان جمعاً من غطفان يريدون المدينة، عليهم دعثور بن الحارث، فأمطرت السماء فأصاب المطر ثوب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فنزع ثيابه، وكان بعيداً عن اصحابه، فنشرها لتجف والقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والاعراب ينظرون اليه. فقالوا لدعثور: قد امكنك محمد وقد انفرد من بين اصحابه. فأختار سيفاً صارماً واقبل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقام على رأسه بالسيف مشهوراً فقال: من ينجيك مني يا محمد؟

قال: الله!

فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقام على رأسه فقال: من يمنعك مني؟

قال: جودك وكرمك!

---

(١) راجع الاسلام دين المستقبل ص ٤٥.

(٢) الطبقات ج١ ص ٣٦٨.

(٣) الشفا ج٢ ص ١٨٠.

فتركه وقام وهو يقول: والله لانت خير مني واكرم[١].

مع قتيلة

رثت قتيلة بنت الحارث اخاها النضر بن الحارث الذي قتله النبي (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر وذلك جزاءً لجرائمه واذاه لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقالت في ضمن ابيات لها:

امحـمـد يا خير ضنٍّ كريمـة ... في قومهـا والفحـل فحـل معـرق

ما كان ضرك لو منـنـت وربـما ... منّ الـفـتـى وهـو المغيظ المحنق

الى اخر الابيات.

فلما بلغت ابياتها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه![٢]

مع وحشي..

قال وحشي قاتل حمزة، وكان النبي (صلّى الله عليه وآله) قد اهدر دمه:

لما فتح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكة هربت الى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفـد الطائف الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ليسلموا تعيَّت علي المذاهب فقلت: الحق بالشام او اليمن او ببعض البلاد، فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل: ويحك انه والله ما يقتل احداً من الناس دخل في دينه وتشهد شهادته.

فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله

---

(١) بحار الانوار ج٢٠ ص ١٧٩ باختصار.

(٢) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٤٥.

وسلّم) المدينة فلم يرعه الا بي قائمًا على رأسه اتشهد بشهادة الحق، فلما رآني قال: اوحشي؟

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟

قال: فحدثته، فلما فرغت من حديثي قال: ويحك غيِّب عني وجهك فلا ارينك[١].

مع المنافقين

جاء عبد الله بن عبد الله بن ابي الى النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي فيما يبلغك عنه، فان كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا احمل اليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها رجل ابر بوالده مني واني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي في الناس فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا![٢].

وفي غزوة بني المصطلق ازدحم مهاجري (جهجاه بن مسعود) وانصاري (سنان بن وبر الجهني) على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الانصار!

وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين!

فغضب عبد الله بن ابي المنافق فجعل يشتم المهاجرين شتما قبيحاً، وكان مما قاله:

والله ما عدنا وجلابيب قريش (يقصد المهاجرين) الا كما قال الاول:

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٢٧٦.

(٢) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٣٠٥.

سمٍّ من كلبك يأكلك!

ثم جعل يشتم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويقول: لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل.

فسمع ذلك زيد بن ارقم فأخبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعنده عمر بن الخطاب فقال: مر به عبّاد بن بشر فليقتله.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمداً يقتل اصحابه؟![1].

العفو عن يهودي ويهودية

كان ثابت بن قيس بن الشماس اتى الزبير بن باطا القرظي (وكان محكوماً بالاعدام لخيانة بني قريظة في معركة الخندق) وكان الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس في الجاهلية فجاءه ثابت وهو شيخ كبير فقال: يا ابا عبد الرحمن تعرفني؟

قال: وهل يجهل مثلي مثلك.

قال: اني قد اردت ان اجزيك بيدك عندي.

قال: ان الكريم يجزي الكريم.

ثم جاء ثابت بن قيس الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال:

يا رسول الله انه كانت للزبير عليّ منة فاحببت ان اجزيه بها فهب لي دمه.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): هولك.

فأتاه فقال: ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد وهب لي دمك فهو لك.

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٣٠٣.

قال: شيخ كبير لا اهل ولا ولد فما يصنع بالحياة؟

فأتى ثابت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: بأبي انت وامي يا رسول الله هب لي امرأته وولده.

قال: هم لك.

فأتاه فقال: قد وهب لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اهلك وولدك فهم لك.

قال: اهل بيت بالحجاز لا مال لهم. فما بقاؤهم على ذلك؟

فأتى ثابت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، ماله؟

قال: هو لك.

فأتاه ثابت فقال: اعطاني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مالك فهو لك.

قال: اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن اسد؟

قال: قتل.

قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن اخطب؟

قال: قتل.

قال: فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بن سموأل؟

قال: قتل.

قال: فما فعل المجلسان يعني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟

قال: ذهبوا قتلوا.

قال: فاني اسألك يا ثابت بيدي عندك الا الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما انا بصابر لله فتلة دلو نا ضح حتى القى الا حبة.

فقدمه ثابت فضرب عنقه![1].

واهدت زينب ابنة الحارث ـ وهي يهودية، امرأة سلام بن مشكم ـ شاة مصلية (مشوية) وقد سألت اي عضو من الشاة احب الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟

فقيل لها: الذراع.

فأكثرت فيها السم ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد اخذ منها كما اخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فأما بشر فأساغها، واما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلفظها ثم قال: ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم.

ثم دعا بها فإعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟

قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك،فقلت: ان كان ملكاً استرحت منه وان كان نبياً فسيخبر!

فتجاوز عنها رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[2].

مع ثمامة

عن الامام الباقر (عليه السلام) قال:

ان ثمامة بن أثال اسرته خيل النبي (صلّى الله عليه وآله) وقد كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: اللهم امكني من ثمامة. فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اني مخيرك واحدة من ثلاث:

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٢٥٤.

(٢) سيرة ابن هشام ج٣ ص ٣٥٣.

اقتلك.

قال: اذا تقتل عظيماً.

او افاديك.

قال: اذاً تجدني غالياً

او امنّ عليك.

قال: اذاً تجدني شاكراً

قال: فاني قد مننت عليك.

قال: فاني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وقد والله علمت انك رسول الله حيث رأيتك وما كنت لأشهد بها وانا في الوثاق![1].

وفي رواية ابن هشام:

خرجت خيل لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخذت رجلاً من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى اتوا به رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: اتدرون من اخذتم؟ هذا ثمامة بن اثال الحنفي احسنوا اساره، ورجع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى اهله، فقال: اجمعوا ماعندكم من طعام فابعثوا به اليه وامر بلقحته (ناقته) ان يغدى عليه بها ويراح فجعل لا يقع من ثمامة موقعاً ويأتيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيقول: اسلم يا ثمامة.

فيقول: ايهاً يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان ترد الفداء فسل ما شئت.

فمكث ما شاء الله ان يمكث ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوماً: اطلقوا ثمامة. فلما اطلقوه خرج حتى اتى البقيع فتطهر فأحسن طهوره ثم اقبل فبايع النبي (صلّى الله عليه وآله) على الاسلام وقال للنبي حين اسلم: لقد كان وجهك ابغض الوجوه الّي ولقد اصبح وهو احب الوجوه الّي.

---

(١) بحار الانوار ج١٩ ص ١٧٦.

ثم خرج معتمراً فلبى بعمرته فأخذته قريش ولما اراد واضرب عنقه قال قائل فيهم: دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة لطعامكم. فخلوه.

فقال: والله لا تصل اليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم خرج الى اليمامة ومنعهم ان يحملوا الى مكة شيئاً فكتبت قريش الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله): انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت ارحامنا وقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع. فكتب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ان يخلي بينهم وبين الحمل![1].

مع ابي جرول

قال ابو جرول زهير وكان رئيس قومه:

اسرنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم فتح خيبر فبينا هو يميز الرجال من النساء اذ وثبت حتى جلست بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأسمعته شعراً اذكره حين شب فينا ونشأ في هوازن وحين ارضعوه، فأنشأت اقول:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ... مفرّق شملها في دهرها عبر
ابقت لنا الحرب هتافاً على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا ارجح الناس حلمًا حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... اذ فوك يملاؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها ... واذ يزينك ما تأتي وما تذر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
لا تتركنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فانا معشر زهر

---

(١) سيرة ابن هشام ج٤ ص ٢٨٨.

انا لنشكر للنعماء وقد كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه من امهاتك ان العفو مشتهر
انا نؤمل عفواً منك تلبسه هادي البرية ان تعفو وتنتصر
فاعف عفى الله عما انت راهبه يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم.

وقالت الانصار: ماكان لنا فهو لله ولرسوله.

فردت الانصار ماكان في ايديها من الذراري والاموال[1].

على جنازة حمزة

لما اخبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأستشهاد حمزة ـ يوم احد ـ جاء فرآه قتيلاً، ورآى ما صنعته هند زوجة ابي سفيان بجثته من التمثيل، مما يندى له جبين الانسانية، بكى ثم قال: والله ما وقفت موقفاً قط اغيظ عليّ من هذا المكان، لئن امكنني الله من قريش لا مثلن بسبعين رجلاً منهم!

فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) بقوله تعالى:

﴿وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولان صبرتم لهو خير للصابرين﴾ النحل ـ ١٢٦ـ١٢٧

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): بل اصبر[2].

في الطريق..

لما رجع النبي (صلّى الله عليه وآله) من حنين، قال الراوي: ثم نزل تحت

---

(١) بحار الانوار ج٢١ ص ١٣.

(٢) بحار الانوار ج٢٠ ص ٦٣.

شجرة في المكان ثم اقام واقمنا بقية يومنا ومن غده، فلما كان نصف النهار نادى منادي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فاجتمعنا اليه فاذا عنده رجل جالس فقال: ان هذا جاءني وانا نائم فسّل سيفي وقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟

قلت: الله يمنعني منك.

فشام السيف وها هو جالس كما ترون لا حراك به.

فقلنا: يا رسول الله لعل في عقله شيء؟

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): نعم دعوه. ثم صرفه ولم يعاقبه[٢].

ويوم بدر ..

عن محمد بن جبير عن ابيه:

ان النبي (صلّى الله عليه وآله) قال في اسارى بدر: لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له[١].

وقال ابن هشام تحت عنوان (الذين اطلقوا من غير فداء) بعد تعديدهم:

وابو عزة، عمرو بن عبدالله بن عثمان بن اهيب بن حذافة بن جمع، كان محتاجاً ذا بنات فكلم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يارسول الله لقد عرفت مالي من مال واني لذو حاجة وذو عيال فامنن عليّ، فمن عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فقال ابو عزة في ذلك يمدح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويذكر قومه في فضله:

من مبلغ عني الرسول محمداً بأنك حق والمليك حميد

---

(١) بحار الانوار ج٢١ ص ١٤.

(٢) صحيح البخاري ٦ كتاب الجهاد والسير باب ما منّ النبي على الاسارى.

وانت امرؤ تدعو الى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد

الى اخر الابيات[١].

مع كعب بن زهير

زهير بن ابي سلمى احد اشهر شعراء العرب، عاش في الجاهلية ولم يدرك الاسلام وهو صاحب احدى المعلقات السبع التي يبدؤها بقوله:

امن امّ اوفى دمنة لم تكلم بحرمانة الدرّاج فالمتثلم

وكان له ولدان: بحير وكعب، وكان الاول ممّن حظي بالاسلام، فاسلم وصحب النبي (صلّى الله عليه وآله)، اما كعب فكانت له بعض المواقف السلبية تجاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله)وأخذ يهجو النبي (صلّى الله عليه وآله) في مناسبات عديدة، وكان من ابرز الشعراء العرب آنذاك.

وقد هجى النبي (صلّى الله عليه وآله) في بعض قصائده حين قدم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من منصرفه من الطائف، فأهدر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دمه وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله.

فلما بلغه ذلك ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بداً، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وذكر فيها خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة، فغدا به الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم اشار له الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)فقال: هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٣١٥.

فقام الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى جلس اليه فوضع يده في يده، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لا يعرفه، فقال: يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلمًا، فهل انت قابل منه ان انا جئتك به؟

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): نعم.

قال: انا يارسول الله كعب بن زهير.

فوثب رجل من الانصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): دعه عنك فانه قد جاء تائباً نازعاً. ثم انشد كعب بن زهير رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قصيدته العصماء التي يمدحه فيها ويقول في مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيّم اثرها لم يفد مكبول[١]

ويقول فيها:

نبئت ان رسول الله اوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي اعطاك نا ... فلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... اذنب ولو كثرت فّي الاقاويل

ان الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما اسلموا زولوا[٢]

قال في الاصابة:

فكساه النبي (صلّى الله عليه وآله) بردة، فاشتراها معاوية من ولده، فهي التي يلبسها الخلفاء في الاعياد.[٣]

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٤٤ـ ١٤٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاصابة ٣ / ٢٩٦.

وقيل: انه حاول شراءها من كعب بعشرة الآف دينار فرفض، فلما مات اشتراها من ورثته بعشرين الف دينار[١١].

مع اهل مكة

من اجمل ما سجله التاريخ لنا: هو المواقف الانسانية الكريمة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين فتح الله عليه مكة معقل الكفر والشرك آنذاك،وعفوه عن كفـارها ومشركيها، هؤلاء الذين جرعوه الغصص والآلام وساموه انواع الاذى والضيم، وحاربوه بشتى الطرق والاساليب حتى قال (صلّى الله عليه وآله): ما اوذي نبي بمثل ما اوذيت. ومع ذلك كله، نجد ان النبي (صلّى الله عليه وآله) عفى عن جميع اهل مكة، وحتى عن اولئك الذين كان اهدر دماءهم لما اقترفوه من الآثام والجرائم، ولم يقتل سوى عدد قليل جداً يعد على الاصابع.

مع ابي سفيان

كان ابو سفيان رأس الكفار والمشركين، وهو الذي قاد الجيوش وجهز العساكر لحرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وله مواقف سوداء مع النبي (صلّى الله عليه وآله) لا يسع المجال لذكرها ولما جاء النبي (صلّى الله عليه وآله) لفتح مكة، جاء العباس بن عبد المطلب، بأبي سفيان الى النبي (صلّى الله عليه وآله)، فلما رآه رسول الله قال: ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله ؟

قال: بأبي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك ! والله لقد طننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى عني شيئاً بعد.

قال: ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله ؟

---

(٤) راجع : فروغ ابديت.

قال: بأبي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك، اما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيئاً!

فقال له العباس: ويحك اسلم واشهد ان لااله الا الله وان محمداً رسول الله قبل ان تضرب عنقك!

فشهد شهادة الحق فأسلم.

قال العباس: يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً.

قال: نعم، من دخل دار ابي سفيان فهو آمن[١].

اذهبوا فانتم الطلقاء!

ولما فتح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكة قال مخاطباً اهل مكة:

ما ترون اني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً اخ كريم وابن اخ كريم.

قال: فاذهبوا فانتم الطلقاء[٢].

وفي رواية: فيخرج القوم فكأنما انشروا من القبور ودخلوا في الاسلام[٣].

مع ابن الزبعرىٰ

وكان ابن الزبعرى شاعراً يهجو النبي (صلّى الله عليه وآله) هجاءً قبيحاً، ومن الابيات التي انشدها بعد معركة احد، وهو ما تغنى به يزيد بن معاوية بعد

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٥٥.

(٣) مجمع البيان ١٠/ ٥٥٧.

استشهاد الامام الحسين (عليه السلام):

ليت اشياخي ببـــدر شهـــدوا جزع الخـزرج من وقـع الاسل
قد قتلنـــا القـــوم من ساداتهم وعـــدلنـــا ميل بدر فاعتـــدل

فلما فتحت مكة جاء الى النبي (صلّى الله عليه وآله) معتذراً ينشد الابيات التالية:

يا رســـول المليك ان لســـاني راتـق ما فتـقـت اذ أنـــا بور
اذ اباري الشيطان في سنن الغى ومـــن مال ميله مثـــبـــور
آمـن الـلحـم والـعـــظام لربي ثم نفـسـي الـشهيد انت النـــذير

فعفى عنه النبي (صلّى الله عليه وآله)[1].

وجاء دور صفوان !

ولما فتح النبي (صلّى الله عليه وآله) مكة خرج صفوان بن امية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب: يانبي الله ان صفوان بن امية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه، صلى الله عليك.

قال: هو آمن.

قال: يا رسول الله فاعطني آية يعرف بها امانك. فأعطاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج عمير حتى ادركه وهو يريد ان يركب البحر.

فقال: يا صفوان فداك ابي وامي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا امان من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد جئتك به.

---

١) بحار الانوار ٢١ / ١٠٦.

قال: ويحك اعزب عني فلا تكلمني.

قال اي صفوان فداك ابي وامي، افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك.

قال: اني أخافه على نفسي.

قال: هو احلم من ذلك واكرم. فرجع معه حتى وقف على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال صفوان: ا ن هذا يزعم انك قد امنتني!

قال: صدق.

قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين.

قال: انت بالخيار فيه اربعة اشهر[1]!

وعكرمة ايضاً...

روى عبدالله بن الزبير فقال:

لما كان يوم فتح مكة هرب عكرمة ابن ابي جهل الى اليمن (وكان النبي (صلّى الله عليه وآله) قد اهدر دمه لمواقفه السوداء) وخاف ان يقتله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكانت امرأته ام حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة لها عقل وكانت قد اتبعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فجاءت الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالت: ان ابن عمي عكرمة قد هرب منك الى اليمن وخاف ان تقتله فآمنه.

قال: قد آمنته بأمان الله فمن لقيه فلا يتعرض له.

فخرجت في طلبه فأدركته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر، فجعلت تلوح اليه وتقول: يا ابن عم جئتك من عند افضل الناس وابر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك فأمنك.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٦٠.

فقال: انت فعلت ذلك؟

قالت: نعم انا كلمته فأمنك.

فرجع معها، فلما دنا من مكة قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأصحابه: يأتيكم عكرمة مهاجراً فلا تسبوا اباه فان سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ. فقدم عكرمة فانتهى الى باب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وزوجته معه متنقبة، فأستأذنت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فدخلت فأخبرت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بقدوم عكرمة، فاستبشر وقال: ادخليه.

فقال: يا محمد ان هذه اخبرتني انك آمنتني.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): صدقت فأنت آمن.

فقال عكرمة: اشهد ان لا اله الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله.

وقال: انت ابر الناس واوفى الناس. أقول ذلك واني لمطأطىء الراس استحياء منه.

ثم قال: يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكها او مركب او ضعت فيه اريد به اظهار الشرك.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها او منطق تكلم به او مركب اوضع فيه يريد ان يصد عن سبيلك.

فقال: يا رسول الله مرني بخير ما تعلم فأعمله.

قال: قل اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وجاهد في سبيل الله.

ثم قال عكرمة: اما والله لا ادع نفقة كنت انفقها في صد عن سبيل الله الا انفقت ضعفها في سبيل الله ولا قتالاً كنت اقاتل في صد عن سبيل الله الا

ابليت ضعفه فيَ سبيل الله. ثم اجتهد في القتال حتى قتل في خلافة ابي بكر[١].

شفاعة ام هاني

تقول ام هانئ بنت ابي طالب:

لما نزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأعلى مكة فر الّي رجلان من احمائي فدخل عليّ علي بن ابي طالب اخي فقال: والله لاقتلنهما! فاغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسو ل الله (صلّى الله عليه وآله) وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة ان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات من الضحى ثم انصرف الّي فقال: مرحباً واهلاً يا ام هاني ما جاء بك ؟

فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي فقال: قد اجرنا من أجرت وامنّا من أمّنت فلا يقتلهما[٢].

مع عبد الله بن سعد

كان عبد الله بن سعد يكتب لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) الوحي، فارتد مشركاً راجعاً الى قريش مستهزئٌ برسول الله (صلّى الله عليه وآله) والوحي، فأهدر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دمه وان وجد تحت استار الكعبة، فلما فتح النبي (صلّى الله عليه وآله) مكة فر الى اخيه من الرضاعة عثمان بن عفان والتجأ به، فغيبه عثمان حتى اتى به الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بعد ان اطمأن الناس واهل مكة، فأستأمن له النبي (صلّى الله عليه وآله)، فصمت رسول الله طويلاً ثم قال: نعم.

---

(١) بحار الانوار ٢١ /١٤٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٤٦.

فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله لمن حوله من الصحابة: لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه.

فقال رجل من الانصار: فهلا أومأت الّي يا رسول الله؟

قال (صلّى الله عليه وآله): ان النبي لا يقتل بالاشارة[١]!!

وفضالة بن عمير

روى: ان فضالة بن عمير بن الملوح الليثي اراد قتل النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): افضالة؟

قال نعم، فضالة يا رسول الله.

قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟

قال: لا شيء، كنت اذكر الله !.

فضحك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم قال: استغفر الله !.

ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء احبّ الّي منه[٢].

مع عمير بن وهب

جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن امية بعد مصاب اهل بدر من قريش في الحجر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واصحابه ويلقون منه عناء وهو

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٥٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٥٩.

بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في اسارى بدر.فذكر اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان: والله ان في العيش بعدهم خير.

قال له عمير: صدقت والله، اما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال اخشى عليهم الضيعة لركبت الى محمد حتى اقتله، فان لي قبلهم علة، ابني اسير فى ايديهم.

فاغتنمها صفوان وقال: علي دينك انا اقضيه عنك وعيالك مع عيالي اواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم.

فقال له عمير: فأكتم شأني وشأنك.

قال: افعل.

ثم امر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما اكرمهم الله به وما اراهم من عدوهم، اذ نظر عمر الى عمير بن وهب حين اناخ على باب المسجد متوشحاً السيف.

فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء الا لشر وهو الذي حرش (افسد) بيننا وحزرنا (قدر عددنا) للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه.

قال: فأدخله علّي.

قال: فأقبل عمر حتى اخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّبه بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الانصار: ادخلوا على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فاجلسوا عنده واحذورا عليه من هذا الخبيث، فانه غير مأمون.

ثم دخل به على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلما رآه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: ارسله ياعمر، ادن يا عمير.

فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية اهل الجاهلية بينهم.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): قد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية اهل الجنة.

فقال: اما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد.

قال: فما جاء بك يا عمير؟

قال: جئت لهذا الاسير الذي في ايديكم، فأحسنوا اليه.

قال: فما بال السيف في عنقك ؟

قال: قبحها الله من سيوف، وهل اغنت عنا شيئاً؟

قال: اصدقني ما الذي جئت له؟

قال: ما جئت الا لذلك.

قال: بل قعدت انت وصفوان بن امية فذكرتما اصحاب القليب من قريش ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى اقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على ان تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك.

قال عمير: اشهد انك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله اني لا اعلم ما اتاك به الا الله، فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فقهوا اخاكم في دينه واقرءوه القرآن واطلقوا له اسيره ففعلوا.

ثم جاء الى مكة معلناً اسلامه، وكان صفوان ينتظره ويذيع بين الناس عن قرب وقوع حادثة تنسيهم وقعة بدر، وكان يسأل عنه الركبان، فلما علم باسلامه

حلف ان لا يكلمه[١].

مع المخلفين

قال ابن هشام في السيرة:

لما قدم (صلّى الله عليه وآله)من تبوك بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يحلفون له ويعتذرون وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فيقبل منهم رسو ل الله (صلّى الله عليه وآله) علانيتهم وايمانهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى[٢].

العفو عن خارجي

روى ابو سعيد الخدري: ان النبي (صلّى الله عليه وآله) قسم يوماً قسمًا فقال رجل من بني تميم: اعدل!

فقال: ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل؟!

قيل: نضرب عنقه؟

قال: لا، إن له اصحاباً يحقّر احدكم صلاته وصيامه مع صلاتهم وصيامهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية رئيسهم رجل ادعج احدى ثدييه مثل ثدي المرأة.

قال ابو سعيد: اني كنت مع علي (عليه السلام) حين قتلهم فالتمس فى القتلى بالنهروان فأُتي به على النعت الذي نعته رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٣].

---

(١) السيرة النبوية ٢/ ٣١٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ١٧٧.

(٣) بحار الا نوار ١١٣/١٨ وصحيح البخاري ٩ /٢٢.

وعن يهودي

دخل النبي (صلّى الله عليه وآله) يوماً مع احد اصحابه ويدعى ميسرة الى حصن من حصون اليهود ليشتروا خبزاً وادماً، فقال يهودي: عندي مرادك.

ومضى الى منـزله وقال لزوجته: اطلعي الى عالي الدار فاذا دخل هذا الرجل فارمي هذه الصخرة عليه، فأدارت المرأة الصخرة، فهبط جبرئيل فضرب الصخـرة بجنـاحـه فخرقت الجدار واتت تهتز كأنها صاعقة، فأحاطت بحلق اليهودي وصارت في عنقه كحجر الرحى، فوقع كأنه المصروع، فلما افاق جلس وهو يبكي فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): ويلك ما حملك على هذا الفعال؟

فقال: يامحمد لم يكن لي في المتاع حاجة بل اردت قتلك وانت معدن الكرم وسيد العرب والعجم، اعف عني.

فرحمه النبي (صلّى الله عليه وآله) فانزاحت الصخرة عن عنقه[١].

وعن ابي شهم

قال ابو شهم:

مرت جارية بالمـدينة فأخذت بكشحها (ما بين السرة ووسط الظهر) واصبح الرسول يبايع الناس فأتيته فلم يبايعني فقال (صلّى الله عليه وآله): صاحب الجنبذة (الجارية ثقيلة الوركين)؟!

قلت: والله لا اعود!

فبايعني[٢].

---

(١) بحار الانوار ١٨/٦٥.

(٢) بحار الانوار ١٨/١٣٩.

مع وفد هوازن

بعد ان وضعت حرب حنين اوزارها وحصل المسلمون على غنائم كبيرة من بينها سبي (٦٠٠٠) من الذراري والنساء من قبيلة هوازن، جاء وفد هوازن الى النبي (صلّى الله عليه وآله) وقد ا سلموا فقالوا: يا رسول الله انا اصل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف علينا فامنن علينا منّ الله عليك.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم

فقالوا: يارسول الله خيرتنا بين اموالنا واحسابنا، بل ترد الينا نساءنا وابناءنا فهو احب الينا.

فقال لهم: اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا ما انا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: انا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله في ابناءنا ونساءنا فسأعطيكم عند ذلك، واسأل لكم.

فلما صلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الظهر قاموا فتكلموا بالذي امرهم به.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): واما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم.

وقالت الانصار: وما كان لنا فهو لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

فقال الاقرع بن حابس: اما انا وبنو تيم فلا.

وقال عيينة بن حصن: اما انا وبنو فزارة فلا.

وقال عباس بن مرداس: اما انا وبنو سليم فلا.

فقالت بنو سليم: بلى ما كان لنا فهو لرسول الله (صلّى الله عليه وآله).

فقال عباس بن مرداس لبني سليم: وهنتموني!

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اما من تمسك منكم بحقه في هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من اول سبي اصيبه (اي في المستقبل يعطىٰ ٦ مقابل ١) فردوا الى الناس ابناءهم ونساءهم.[١]

في الحديبية

قال ابن هشام:

ان قريشاً بعثوا (في الحديبية) اربعين رجلاً منهم وامروهم ان يطيفوا بعسكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ليصيبوا لهم من اصحابه احداً. فأخذوا اخذاً فأتي بهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فعفا عنهم وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا عسكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالحجارة والنبل[٢].

العفو عن زعماء المشركين

روي ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كتب الى قيس بن عرنة البجلي يأمره بالقدوم عليه فأقبل ومعه خويلد بن الحارث الكلبي حتى اذا دنا من المدينة هاب الرجل ان يدخل فقال له قيس: اما اذا ابيت ان تدخل فكن في هذا الجبل حتى آتيه فان رأيت الذي تحب ادعوك فاتبعني. فأقام ومضى قيس ، حتى اذا دخل على النبي (صلّى الله عليه وآله) المسجد فقال: يا محمد انا آمن؟

قال: نعم وصاحبك الذي تخلف في الجبل!

قال: فاني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٣٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٢٩.

فبايعه وارسل الى صاحبه فأتاه فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): يا قيس ان قومك قومي وان لهم في الله وفي رسوله خلفاً[١].

مع عدي بن حاتم

يقول عدي بن حاتم الطائي:

ما من رجل من العرب كان اشد كراهية لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين سمع به مني، اما انا فكنت امرءً شريفاً وكنت نصرانياً وكنت اسير في قومي بالمرباع (يأخذ الربع من الغنائم) فكنت في نفسي على دين وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله (صلّى الله عليه وآله) كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لابلي: لا ابا لك اعدد لي من ابلي اجمالاً ذللاً سماناً فإحتبسها قريباً مني فاذا سمعت بجيش محمد قدوطىء هذه البلاد فآذني، ففعل، ثم انه اتاني ذات غداة فقال: يا عدي ما كنت صانعاً اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الان، فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد.

قال: فقلت: فقَرب الي اجمالي، فقربها فاحتملت باهلي وولدي ثم قلت: الحق بأهل ديني النصارى بالشام وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر (الحي) فلما قدمت الشام اقمت بها وتخالفني خيل لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) فتصيب ابنة حاتم فيمن اصابت فقدم بها على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في سبايا طيء وقد بلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هربي الى الشام فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كان السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقامت اليه وكانت امرأة جزلة (جيدة الرأي) فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك.

---

(١) بحار الانوار ٢٢/٧٦.

قال (صلّى الله عليه وآله): ومن وافدك؟

قالت: عدي بن حاتم.

قال: الفار من الله ورسوله؟

قالت: ثم مضى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتركني حتى اذا كان من الغد مر بي فقلت له مثل ذلك وقال لي مثل ما قال بالامس.

قالت: حتى اذا كان بعد الغد مر بي ويئست منه فأشار الّي رجل من خلفه ان قومي فكلميه.

قالت: فقمت اليه فقلت: يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علّي منّ الله عليك.

فقال: قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك الى بلادك ثم آذنيني (اخبريني).

فسألت عن الرجل الذي اشار الى ان اكلمه، فقيل: علي بن ابي طالب. واقمت حتى قدم ركب من بلي او قضاعة قالت: وانما اريد ان آتي اخي بالشام.

قالت: فجئت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقلت: يارسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

قالت: فكساني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وحملني واعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله اني لقاعد في اهلي اذ نظرت الى ظعينة تصوب الى قومنا، فقلت: ابنة حاتم! فاذا هي هي فلما وقفت علي انسلخت تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك؟!

قلت: اي اخيه لا تقولي الا خيراً فوالله ما لي من عذر لقد صنعت ما ذكرت.

ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ: ماذا ترين من

امر هذا الرجل؟.

قالت:ارى والله ان تلحق به سريعاً فان يكن الرجل نبياً فللسابق اليه فضله وان يكن ملكاً فلن نذل في عز اليمن وانت انت.

قلت: والله ان هذا الرأي.

فخرجت حتى اقدم على رسول الله المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟

فقلت: عدي بن حاتم.

فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد (قاصد) بي اليه اذ لقيته امرأه ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك! ثم مضى بي رسول الله حتى اذا دخل بي بيته تناول وسادة من ادم محشوة ليفاً فقذفها الي فقال: اجلس على هذه.

فقلت: بل انت فاجلس عليها.

فقال: بل انت.

فجلست عليها وجلس رسول الله على الارض فقلت في نفسي، والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال: ايه يا عدي بن حاتم الم تكن ركوسياً[1] ؟

فقلت: بلى.

فقال: الم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟

قلت: بلى.

قال: فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك!.

قلت: اجل والله ـ وقد عرفت انه نبي مرسل يعلم ما يُجهل ـ.

---

(١) من الركوسية وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئة.

ثم قال: لعلك ياعـدي انما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ولعلك انما يمنعك من دخول فيه انك ترى ان الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد فتحت عليهم.

قال: فأسلمت.

وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن.

قد رأيت القصور البيض في ارض بابل قد فتحت وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض هذا المال حتى لا يوجد من يأخذه[1].

مع حاطب بن ابي بلتعة

لما عزم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على فتح مكة جاء حاطب بن ابي بلتعة الى سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هشام، وكانت قد جاءت الى المدينة من مكة تستعطف المسلمين عليها بعد ان كسد عملها (الغناء) في مكة بعد معركة بدر، فأمر النبي (صلّى الله عليه وآله) المسلمين بالاحسان اليها، فلما ارادت الرجوع اتاها حاطب بن ابي بلتعة، وبعث معها الكتاب التالي الى اهل مكة:

من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة، ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يريدكم فخذوا حذركم.

فنـزل جبرئيل واخبر النبي (صلّى الله عليه وآله) فبعث علياً وجماعة معه

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٢٨.

ليأخذوا الكتاب منها وهي في الطريق الى مكة، ففتشوها واخذوا الكتاب منها. فأرسل (صلّى الله عليه وآله) الى حاطب فقال له: هل تعرف الكتاب؟

فقال: نعم.

قال: فما حملك على ما صنعت ؟

فاعتذر الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال: وكان اهلي بين ظهرانيهم (كفار مكة)فحشيت على اهلي فأردت ان اتخذ عندهم يداً وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئاً.

فصدقه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعذّره (قبل عذره).

فقام عمر بن الخطاب وقال: دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): وما يدريك ياعمر لعل الله اطلع على اهل بدرفغفر لهم[1]؟

وابي لبابة

لما حوصر بنو قريظة بعثوا الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)ان يبعث لهم بأبي لبابة ليستشيروه في امرهم، فأرسله اليهم، فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه الصبيان والنساء يبكون في وجهه، فرق لهم، فقالوا: ياابا لبابة ان ترى ان ننزل على حكم محمد؟

قال نعم، واشار بيده الى حلقه انه الذبح.

قال ابو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله.

ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى

---

(١) بحار الانوار ٢١ /٩٥.

ارتبط في المسجد الى عمود من عمده فقال. لا ابرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صعنت.

وعاهد الله لا يطأ بني قريظة ابداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه ابداً.

فلما بلغ رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله) خبره وابطأ عليه، قال: اما انه لوجاءني لاستغفرت له.

فاما اذا فعل ما فعل ما انا بالذي اطلقه عن مكانه حتى يتوب الله عليه.

ثم ان الله انزل توبة ابي لبابة على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو في بيت ام سلمة.

قالت ام سلمة: فسمعت رسول الله يضحك.

فقلت: ممّ تضحك يارسول الله اضحك الله سنك؟

قال: تيب على ابي لبابة!

فقلت: الا ابشره بذلك يارسول الله؟

قال: بلى ان شئت.

فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت: يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك.

قال: لا والله حتى يكون رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هو الذي يطلقني بيده.

فلما مر عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خارجاً الى الصبح اطلقه[1]

* * *

(١) بحار الانوار ٢٠ /٢٧٥.

الفصل الخامس :

وصايا أدم وسوس

وصايا اخلاقية

كان لابد لكتاب يبحث في الجوانب الاخلاقية في حياة الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ان يعرض ـ ولو يسيراً وباجمال ـ إلى الوصايا الاخلاقية التربوية لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تلك الوصايا الخالدة الخليقة بأن تكتب بماء الذهب، والتي تمثل ـ بحق ـ مدرسة اخلاقية ومنهاجاً تربوياً قائمًا بذاته.

ولا شك ان الاحاطة بكل تلك الوصايا الاخلاقية عمل غير يسير لذا كانت الفكرة بتسجيل بعض تلك الوصايا في هذه الصفحات والاستنارة من ذلك النور العظيم، ولو بشيء يزيل غشاوة الظلام، لنبين من خلالها الاهمية الكبرى التي اولاها الاسلام ورسوله العظيم للجوانب الاخلاقية في حياة المسلم واليك بعض تلك الوصايا والارشادات الاخلاقية[1].

مع الوالدين

جاء رجل الى النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: يارسول الله من ابر؟

قال: امك.

قال: ثم من.

قال: امك.

قال: ثم من؟

---

(١) اقتبسنا هذه الارشادات والوصايا من كتاب بحار الانوار ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ وتحف العقول ومكارم الاخلاق وغيرها.

قال: امك.

قال: ثم من؟

قال: اباك.

وجاء رجل الى النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال له. اني رجل نشيط واحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك.

فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): ارجع فكن مع والدتك فوالذي بعثني بالحق نبياً لانسهابك ليلة خير من جهادك في سبيل الله سنة.

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **«كن بارا واقتصر (اكتف) على الجنة وكن عاقاً فاقتصر على النار».**

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **«ما ولد نظر الى ابويه برحمة الا كان له بكل نظرة حجة مبرورة».**

فقالوا: يارسول الله وان نظر في كل يوم مئة نظرة؟

قال: نعم، الله اكبر واطيب.

وقال (صلّى الله عليه وآله): النظر الى الوالدين برأفة ورحمة عبادة.

وقال (صلّى الله عليه وآله): رحم الله ولداً اعان ولده على البر.

وقال (صلّى الله عليه وآله): يقال للعاق اعمل ما شئت فاني لا اغفر لك ويقال للبار اعمل ما شئت فاني سأغفر لك.

وجاء رجل الى النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: يارسول الله ما من عمل قبيح الا وقد عملته فهل لي من توبة؟

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فهل لك من والديك احد حي؟

قال: ابي.

قال:فاذهب فبره.

فلما ولى قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لو كانت امه!

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ان اهل بيت ليكونون بررة فتنموا اموالهم وانهم لفجار».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من سره ان يمد له في عمره ويبسط في رزقه فليصل ابويه فان صلتهما طاعة الله».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «سيد الابرار يوم القيامة رجل بر والديه بعد موتهما».

وقالت اسماء بنت ابي بكر: قدمت عليّ امي فقلت: يارسول الله ان امي قدمت عليّ وهي مشركة افأصلها؟

قال:نعم.

مع الاقرباء

قال (صلّى الله عليه وآله) «من سره ان يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «لا يدخل الجنة قاطع رحم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ان في الجنة درجة لا يبلغها الا امام عادل او ذو رحم وصول او ذو عيال صبور».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الاعمار وان كان اهلها غير اخيار».

وجاء رجل من خثعم الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: اخبرني ما افضل الاسلام؟

فقال:الايمان بالله.

قال: ثم ماذا؟

قال: صلة الرحم.

قال: ثم ماذا؟

فقال: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وجاء رجل الى رسول الله فقال: يارسول الله اني لي اهلاً وقد كنت اصلهم وهم يؤذوني وقد اردت رفضهم.

فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اذن يرفضكم الله جميعاً!

قال: وكيف اصنع؟

قال: تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا فعلت ذلك كان الله عز وجل لك عليهم ظهيراً.

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**ان صلة الرحم مثراة في المال ومحبة في الاهل ومنسأة في الاجل**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**صلوا ارحامكم في الدنيا ولو بسلام**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اوصي الشاهد من امتي والغائب منهم ومن في اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيامة ان يصل الرحم وان كان منه على مسيرة سنة فان ذلك من الدين**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**لا تقطع رحمك وان قطعتك**».

مع الجار

قال (صلّى الله عليه وآله): «**ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره المسلم جائع**».

وقال (صلّى الله عليه وآله) «**ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه**».

وجاء رجل الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال: ان فلاناً جاري يؤذيني.

قال: اصبر على اذاه، كف اذاه عنك.

فما لبث ان جاء وقال: يانبي الله ان جاري قد مات.

فقال (صلّى الله عليه وآله): «**كفى بالدهر واعظاً وكفى بالموت مفرقاً**».

وجاء رجل من الانصار الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: اني اشتريت داراً من بني فلان وان اقرب جيراني مني جواراً من لا ارجو خيره ولا آمن شره، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علياً وسلمان وابا ذر والمقداد ان ينادوا في المسجد بأعلى اصواتهم: انه لا ايمان لمن لم يأمن جاره بوائقه. فنادوا ثلاثاً ثم امر فنودي ان كل اربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله يكون ساكنها جاراً له.

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اذا انت رميت كلب جارك فقد آذيته**».

وقيل لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها.

فقال: هي في النار.

مع الاصدقاء

قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ثلاثة من الجفاء أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته وان يدعىٰ الرجل الى طعام فلا يجيب او يجيب فلا يأكل ومواقعة الرجل اهله قبل المداعبة.

وجاء رجل الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله اوصني فكان فيما اوصاه ان قال:

الق اخاك بوجه منبسط.

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اذا احب احدكم اخاه فليعلمه فانه اصلح لذات البين**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اسعد الناس من خالط كرام الناس ».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل الذي يرى لنفسه».

ملامح الخلق ا لاسلامي.

قال (صلّى الله عليه وآله): «رأس العقل بعد الايمان بالله عزوجل التحبب الى الناس ».

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «كفى بالمرء عيباً أن ينظر في الناس الى ما يعمىٰ عنه من نفسه، ويعيّر الناس بما لا يستطيع تركه ويؤذي جليسه بما لا يعنيه».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلمًا».

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «اجيبوا الداعي وعودوا المريض وإقبلوا ولا تظلموا المسلمين».

وقـال (صلّى الله عليه وآله): «يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «حسن البشر يذهب بالسخيمة».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ان للمسلم على اخيه المسلم من المعروف ستاً: يسلم عليه اذا لقيه ويعوده اذا مرض ويسمته اذا عطس ويشهده اذا مات

ويجيبه اذا دعاه ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه».

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«لا يكلف المؤمن اخاه الطلب اليه اذا علم حاجته».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«المؤمن مرآة لاخيه المؤمن ينصحه اذا غاب عنه ويميط عنه ما يكره اذا شهد ويوسع له في المسجد».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«تعرض اعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن الا من كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا هذين حتى يصطلحا».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«حق على المسلم اذا اراد سفراً ان يعلم اخوانه وحق على اخوانه اذا قدم ان يأتوه».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الاسلام مثل اخ يستفيده في الله».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«نظر المؤمن في وجه اخيه حباً له عبادة».**

وسئل رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اي الاعمال احب الى الله؟

قال:اتباع سرور المسلم.

قيل: يارسو ل الله وما اتباع سرور المسلم؟

قال:شبعة جوعه وتنفيس كربه وقضاء دينه.

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **«والله لقضاء حاجة المؤمن خير من صيام شهر واعتكافه».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«ان احب الاعمال على الله ادخال السرور على المؤمنين».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«من قضى لاخيه المؤمن حاجة كان كمن**

عبدالله دهراً».

وقال(صلّى الله عليه وآله): «الا ومن اكرم اخاه المسلم فانما يكرم الله عزوجل».

وصايا عامة

قال (صلّى الله عليه وآله): «افضل الاعمال ابراد الكبد الحرى (سقي الماء)».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ما آمن بي من بات شبعاناً واخوه المسلم طاو».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من عال اهل بيت من المسلمين يومهم وليلتهم غفر الله له ذنوبه».

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «التودد نصف الدين واستنزلوا الرزق بالصدقة».

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع الخير الى كل أحد بر وفاجر».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ارحموا عزيزاً ذل وغنياً افتقر وعالماً ضاع في زمان جهال».

وقال (صلّى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «عليك بصنائع الخير فانها تدفع مصارع السوء».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اصطنع الخير الى من هو اهله والى من ليس هو من اهله فان لم تصب من هو اهله فأنت اهله».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «استتمام المعروف افضل من ابتداءه».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «لا تديموا النظر الى اهل البلاء والمجذومين

فانه يحزنهم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«اعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه وكره لهم ما يكره لنفسه».**

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **«من واسىٰ الفقير وانصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً».**

وقال رجل للنبي (صلّى الله عليه وآله): علمني عملاً لا يحال بينه وبين الجنة.

فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **«لا تغضب ولا تسأل الناس شيئاً وارض للناس ما ترضى لنفسك».**

قال (صلّى الله عليه وآله): **«نعم الشيء الهدية تذهب الضغائن من الصدور».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«ان الله في عون المؤمن ما دام المؤمن في عون اخيه المؤمن ومن نفس عن اخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه سبعين كربة من كرب الاخرة».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«اقرب ما يكون العبد الى الله عزوجل اذا ادخل على قلب اخيه المؤمن مسرة».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«الخلق عيال الله فأحب الخلق الى الله من نفع عيال الله او ادخل على ا هل بيت سروراً ومشي مع اخ مسلم في حاجته احب الى الله تعالى من اعتكاف شهرين في المسجد الحرام».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«من اصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم».**

وقال (صلّى الله عليه وآله): «الزيارة تنبت المودة».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «زر غباً تزدد حباً»

وقال (صلّى الله عليه وآله): «لينصح الرجل منكم اخاه كنصيحته لنفسه».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «خيركم من اطعم الطعام وافشى السلام وصلى والناس نيام».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من تكرمة الرجل لاخيه المسلم ان يقبل تحفته او يتحفه مما عنده ولا يتكلف شيئاً».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اعقل الناس اشدهم مداراة للناس واذل الناس من اهان الناس ».

وقيل: يا رسول الله اي الاسلام افضل؟

قال: من سلم المسلمون من يده ولسانه.

وقال (صلّى الله عليه وآله) لابي ذر الغفاري: «كف اذاك عن الناس فانه صدقة تصدق بها على نفسك».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ما اصطحب اثنان الا كان اعظمها اجراً واحبّهما الى الله عزوجل ارفقهما بصاحبه».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من مات مدارياً مات شهيداً».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «الرفق يمن والخرق شؤم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اولى الناس بالتهمة من جالس اهل التهمة».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «عدة المؤمن نذر لا كفارة له».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «لا دين لمن لا عهد له».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «استرشدوا العاقل ولا تعصوه فتندموا».

وقال(صلّى الله عليه وآله): لعلي فيما اوصاه به: «لا مظاهرة اوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير».

وقيل لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): ما الحزم؟

قال: مشاورة ذوي الرأي واتباعهم.

وقال (صلّى الله عليه وآله): «خير الغنى غنى النفس » .

واوصى رجلاً فقال: «ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ».

وقال(صلّى الله عليه وآله): «لا تنظروا الى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل ولكن انظروا الى صدق الحديث واداء الامانة».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من تواضع لله رفعه الله».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من وقر ذا الشيبة لشيبته امنه الله تعالى من فزع يوم القيامة».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اذا عرض على احدكم الكرامة فلا يردها فانما يرد الكرامة الحمار».

وجاء رجل من تميم الى النبي (صلّى الله عليه وآله) وقال: اوصني. فكان فيما اوصاه ان قال:

«لا تسبوا الناس فتكسبوا العدواة بينهم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**ليس لك ان تتهم من قد ائتمنته ولا تأمن الخائن وقد جربته**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اياكم والظن فان الظن اكذب الكذب**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اطلب لاخيك عذراً فان لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اياكم ومشاجرة الناس فانها تظهر الغرة وتدفن العزّة**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المؤمنين فانه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته ومن تتبع الله عوراته فضحه ولو في جوف بيته**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**من مدح اخاه المؤمن في وجهه واغتابه من وراءه فقد انقطع ما بينهما من العصمة**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**كفارة الاغتياب ان تستغفر لمن اغتبته**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**وهل يكب الناس في النار الا حصائد السنتهم**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**شر الناس المثلث**».

قيل: يارسول الله وما المثلث؟

قال: الرجل يسعى بأخيه الى السلطان فيهلك نفسه ويهلك اخاه ويهلك

السلطان.

وقال (صلّى الله عليه وآله): «شر الناس عند الله يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من كان مسلمًا فلا يمكر ولا يخدع فاني سمعت جبرئيل يقول: ان المكر والخديعة في النار».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ليس منا من غش مسلمًا وليس منا من خان مسلمًا».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اياكم والفحش فان الله عز وجل لا يحب الفاحش المتفحش ».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «افضل الجهاد من اصبح لا يهم بظلم احد».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اياكم والظلم فانه يخرب قلوبكم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «الظلم ندامة».

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لابي ذر: «إنّي أُحب لك ما احب لنفسي اني اراك ضعيفاً فلا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «كيف يقدّس الله قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»؟

وقال (صلّى الله عليه وآله): «رحم الله رجلاً اعان سلطانه على بره».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اياكم وابواب السلطان وحواشيها فان اقربكم من ابواب السلطان وحواشيها ابعدكم من الله عزوجل».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من مشى مع ظالم فقد اجرم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من ارضى سلطاناً بما اسخط الله خرج من دين الاسلام».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اوصي الشاهد من امتي والغائب ان يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة اميال فان ذلك من الدين».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من حق الضيف ان تمشي معه فتخرجه من حريمك الى الباب».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «الضيف دليل الجنة».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس ، مجلس سفك فيه دم حرام ومجلس استحل فيه فرج حرام ومجلس استحل فيه مال حرام بغير حقه».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ان لكل شيء شرفاً وان اشرف المجالس ما استقبل به القبلة».

وقال (صلّى الله عليه وآله) لانس : «يا انس سلم على من لقيت يزيد الله في حسناتك وسلم في بيتك يزيد الله في بركتك».

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «إن أبخل الناس من بخل بالسلام».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ليسلم الراكب على الماشي والراكب احق بالسلام».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «اذا قبل احدكم ذات محرم قد حاضت(بلغت) أُخته او عمته او خالته فليقبل بين عينيها ورأسها وليكف عن خدها وعن فيها».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «تحياتكم بينكم بالمصافحة».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «افضل الصدقة صدقة اللسان».

قيل: يارسول الله وما صدقة اللسان؟

قال:الشفاعة تفك بها ا لاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف الى اخيك وتدفع بها الكريهة.

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اذا تجشأتم فلا ترفعوا جشأكم الى السماء**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**كثرة المزاح تذهب بماء الوجه وكثرة الضحك تمحو الايمان وكثرة الكذب تذهب بالبهاء**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اذكروا الموت فانه هادم اللذات**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اذا كنتم في سفر فمرض احدكم فأقيموا عليه ثلاثة ايام**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**من السنة اذا خرج القوم في السفر ان يخرجوا نفقتهم فان ذلك اطيب لانفسهم واحسن لاخلاقهم**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**الرفيق ثم الطريق**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**سيد القوم خادمهم في السفر**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**اذا خرج احدكم الى سفر ثم قدم على اهله فليهدهم وليطرفهم ولو حجارة**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**الراكب احق بالجادة من الماشي والحافي احق من المنتعل**».

وجاء في الاثر ان النبي (صلّى الله عليه وآله) نهى عن امور كثيرة منها:

نهى ان يحرق شيء من الحيوان بالنار.

ونهى ان يدخل الرجل في سوم اخيه المسلم.

ونهى عن ان يقام الرجل عن مجلسه ويجلس فيه اخر.

ونهى ان يجلس الرجل بين الرجلين الا بأذنهما.

ونهى عن ضرب وجوه البهائم.

ونهى عن الوسم في وجوه لبهائم.

ونهى ان يستعمل اجير حتى يعلم ما اجرته.

ونهى ان يؤم الرجل قوماً الا بأذنهم.

ونهى ان يصرم النخيل بالليل وان يحصد الزرع بالليل (لكي لا يحرم الفقراء).

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**من اضر بأمرأة حتى تفتدي منه نفسها لم يرض الله عزوجل له بعقوبة دون النار لان الله عزوجل يغضب للمرأة كما يغضب لليتيم**».

وقال (صلّى الله عليه وآله) في خطبة الوداع: «**ايها الناس ان لنساءكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً. حتى قال: فأتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً**».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «**من سمع فاحشة فأفشاها فهو كمن أتاها**».

وصايا في الحرب

وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا اراد ان يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولا تغلوا (الخيانة في المغنم) ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجرة الا ان تضطرو ا اليها، وايما رجل من ادنى المسلمين او افضلهم نظر الى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله فان تبعكم فأخوكم في الدين وان ابى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه.

مع زينب العطارة

جاءت زينب العطارة الحولاء الى نساء النبي (صلّى الله عليه وآله) فجاء النبي (صلّى الله عليه وآله) فاذا هي عندهم فقال: اذااتيتنا طابت بيوتنا.

فقالت: بيوتك بريحك اطيب يارسول الله.

فقال: اذا بعت فأحسني ولا تغشي فانه اتقى لله وابقى للمال.

ومن وصيته لعلى (عليه السلام): ياعلي ثلاث من مكارم ا لاخلاق: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك.

وياعلي: لا تهتم برزق غد فان كل غد يأتي رزقه.

واياك واللجاجة فان اولها جهل وآخرها ندامة.

وياعلي حسن خلقك مع اهلك وجيرانك ومن تعاشر وتصاحب من الناس تكتب عند الله في الدرجات العلى.

ياعلي: ما كرهته لنفسك فاكره لغيرك وما احببته لنفسك فاحببه لاخيك.

ومن وصيته لمعاذ لما بعثه الى اليمن:

واوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة ولين الكلام وبذل السلام وحفظ الجار ورحمة اليتيم وحسن العمل وقصر الامل وحب الاخرة والجزع من الحساب ولزوم القرآن والفقه في القرآن وكظم الغيظ وخفض الجناح واياك ان تشتم مسلمًا او تطيع آثمًا او تعصي اماماً عادلاً او تكذب صادقاً او تصدق كاذباً واذكر ربك عند كل شجر او حجر.

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«سائلوا العلماء وخاطبوا الحكماء وجالسوا الفقراء»**.

وقال (صلّى الله عليه وآله): **«من تفاقر افتقر»**.

وقال (صلّى الله عليه وآله): «لا يزال المسروق منه في تهمة من هو برئ حتى يكون اعظم جرماً من السارق».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «ما نهيت عن شيء بعد عبادة الاوثان ما نهيت عن ملاحاة الرجال».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «مداراة الناس نصف الايمان والرفق بهم نصف العيش ».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «رحم الله عبداً قال خيراً فغنم او سكت عن سوء فسلم».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «افضلكم ايماناً احسنكم اخلاقاً».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم».

فقيل له: ما افضل ما اعطى العبد؟

قال: حسن الخلق.

وقال (صلّى الله عليه وآله): «حسن الخلق يثبت المودة».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «خياركم احاسنكم اخلاقاً والذين يألفون ويُؤلفون».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليف اذا وعد».

وقال رجل: اوصني.

فقال (صلّى الله عليه وآله): لا تغضب ، ثم اعاد عليه فقال: لا تغضب. ثم قال: «ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «من اتى اليكم معروفاً فكافوه فان لم تجدوا فاثنوه فان الثناء جزاء».

دروس اخلاقية

زخـرت سيرة الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) بالدروس والمواقف الاخلاقية التي سجلها له التاريخ . بل لا مبالغة في القو ل ان حياة الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) كانت كلها مواقف ودروس اخلاقية جديرة بأن يتخذها المسلمو ن مثالاً يحتذون به ويسيرون على دربه، وما اصدق قول الله عزوجل : **﴿ولقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة﴾**.

اليك بعض ما علمنا الرسول ـ الاسوة.

١ـ قال بعضهم: دخلت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولم اسلم ولم استأذن.

فقال:ارجع فقل: السلام عليكم وادخل[١].

٢ـ لما مات ابراهيم بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال النبي (صلّى الله عليه وآله) لعلي : انزل والحد ابني، فنزل علي فألحد ابراهيم في لحده. فقال الناس انه : لا ينبغي لاحد ان ينزل في قبر ولده اذ لم يفعل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بابنه.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ايها الناس انه ليس عليكم بحرام ان تنزلوا في قبور اولادكم ولكن لست آمن اذا حلّ احدكم الكفن عن ولده ان يلعب به الشيطان فيدخله عند ذلك من الجزع ما يحبط اجره. ثم انصرف[٢].

٣ـ دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على عائشة فرأى كسرة كاد ان

---

(١) المحجة البيضاء ٣/٣٨١.

(٢) بحار الانوار٢٢/١٥٦.

يطأها فأخذها واكلها وقال: ياحميراء اكرمي جوار نعم الله عليك فانها لم تنفر من قوم فكادت تعود اليهم[١].

٤ـ وروي انه جاءت فخذ من الانصار الى رسول الله فسلموا عليه فرد عليهم السلام.

فقالوا: يا رسول الله لنا اليك حاجة؟

فقال: هاتوا حاجتكم.

فقالوا: انها حاجة عظيمة!

فقال: هاتوها ما هي؟

قالوا: تضمن لنا على ربك الجنة!

فنكس رسول الله رأسه ثم نكت في الارض ثم رفع رأسه فقال: افعل ذلك بكم على ان لا تسألوا احداً شيئاً.

فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره ان يقول لانسان: ناولنيه فراراً من المسئلة، فينزل فيأخذه، ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء اقرب الى الماء منه فلا يقول: ناولني حتى يقوم فيشرب[٢].

٥ـ وقال زياد بن الحارث الصيداوي:

ان رسول الله(صلّى الله عليه وآله) بعث جيشاً الى قومي فقلت: يا رسول الله اردد الجيش وانا لك باسلام قومي. فرده، فكتبت اليهم كتاباً فقدم وفدهم باسلامهم.

فقال (صلّى الله عليه وآله): انك لمطاع في قومك!

قلت: بل الله هداهم للاسلام.

---

(١) بحار الانوار ١٦/٢٦٥.

(٢) بحار الانوار ٢٢/١٢٩ .

فكتب الي كتاباً يؤمرني.

قلت: مر لي بشيء من صدقاتهم. فكتب لي بذلك وكان في سفر له فنزل منزلا فأتاه اهل ذلك المنزل يشكون عاملهم.

فقال: لا خير في الامارة لرجل مؤمن.

ثم اتاه آخر فقال: اعطني من الصدقة.

فقال: ان الله لم يرض فيها بحكم نبي ولا غيره حتى حكم هو فيها فجزّأها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيناك حقك.

قال الصيداوي: فدخل في نفسي من ذلك شيء فأتيته بالكتابين.

فقال (صلّى الله عليه وآله): فدلني على رجل اؤمره عليكم، فدللته على رجل من الوفد[1]!

٦ـ جاء رجل موسر الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نقي الثوب فجلس الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس الى جنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اخفت ان يمسك من فقره شيء؟

قالا: لا.

قال: فخفت ان يصيبه من غناك شيء؟

قال: لا.

قال: فخفت ان يوسخ ثيابك؟

قال: لا.

قال: فما حملك على ما صنعت؟

قال: يا رسول الله ان لي قريناً يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن

---

(١) بحار الانوار ١٨/ ٣٥.

وقد جعلت له نصف مالي.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) للمعسر: تقبل؟

قال: لا.

فقال له الرجل: ولم؟

قال: اخاف ان يدخلني ما دخلك[١]!

٧ـ روى المفسرون في تفسير قوله تعالى ﴿**يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى**﴾ انها نزلت في ثابت بن قيس لما قال للرجل الذي لم يتفسح له: ابن فلانة.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من الذاكر فلانة؟

فقام ثابت بن قيس فقال: انا يارسول الله.

فقال: انظر في وجوه القوم. فنظر اليهم.

فقال: ما رأيت يا ثابت؟

فقال: رأيت اسود وابيض واحمر.

قال: فانك لا تفضلهم الا بالتقوى والدين[٢].

٨ـ عير ابو ذر رجلاً على عهد النبي (صلّى الله عليه وآله) بأمه فقال: يا ابن السوداء وكانت امه سوداء. فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): تعيره بأمه يا ابا ذر؟!!

فلم يزل ابو ذر يمرغ وجهه في التراب ورأسة حتى رضي رسول الله(صلّى الله عليه وآله) عنه[٣].

---

(١) بحار الانوار ٢٢/ ١٣١.

(٢) بحار الانوار ٢٢/ ٥٤.

(٣) بحار الانوار ٧٥/ ١٤٧.

٩ـ روى ان النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يبدأ في سفره بفاطمة (عليها السلام) ويختم فجعلت وقتاً ستراً من كساء خيبرية لقدوم ابيها وزوجها، فلما رآه النبي (صلّى الله عليه وآله) تجاوز عنها وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها ونزعت الستر فبعثت به الى ابيها وقالت: اجعل هذا في سبيل الله، فلما اتاها قال: قد فعلت، فداها ابوها! ثلاث مرات ـ ما لآل محمد والدنيا؟ فانهم خلقوا للاخرة وخلقت الدنيا لغيرهم[١].

١٠ـ وقال الامام الصادق (عليه السلام):

ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اتته اخت له من الرضاعة فلما ان نظر اليها سرّ وبسط رداءه لها فأجلسها عليه، ثم اقبل يحدثها ويضحك بوجهها، ثم قامت فذهبت، ثم جاء اخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل: يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟

فقال (صلّى الله عليه وآله): لانها كانت ابرّ بأبيها منه[٢].

هكذا ادّب المسلمين!

١١ـ قالت ام ا لمؤمين سلمة رضي الله عنها. كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) اذا سلّم قام النساء حين يقضي تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيراً قبل ان يقوم، قالت: نرى ـ والله اعلم ـ ان ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل ان يدركهن الرجال[٣].

---

(١) بحار الانوار ٤٣ /٨٦.

(٢) بحار الانوار ١٦/ ٢٨٢.

(٣) صحيح البخاري ١/٢٠٩.

حقوق الانسان.

١٢ـ روي انه وجد قتيل على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)فخرج مغضباً حتى رقي المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

يقتل رجل من المسلمين لايدرى من قتله؟! والذي نفسي بيده لو أن اهل السموات والارض اجتمعوا على قتل مؤمن او رضوا به لادخلهم الله في النار، والذي نفسي بيده، لا يجلد احد احداً ظلمًا الا جلد في نار جهنم مثله[1] .

* * *

(١) بحار الانوار ٧٥/١٥٠ .

مصادر الكتاب

اسم الكتاب	المؤلف
القران الكريم	
نهج البلاغة	للشريف الرضي
تفسير مجمع البيان	للطبرسي
تفسير الميزان	للعلامة الطباطبائي
تفسير القمي	لعلي بن ابراهيم القمي
تفسير في ظلال القرآن	لسيد قطب
التفسير الكبير	للامام الفخر الرازي
تفسير القرطبي	للقرطبي
سفينه البحار	للشيخ عباس القمي
بحار الانوار	للعلامة المجلسي
صحيح البخاري	لمحمد بن اسماعيل البخاري
صحيح مسلم	لمسلم بن الحجاج القشيري
الطبقات	لابن سعد البصري
بلوغ الارب في معرفة احوال العرب	للالوسي
فجر الاسلام	لاحمد امين
الاحتجاج	للطبرسي
السيرة النبوية	لعبد الملك بن هشام
الكامل	لابن الاثير
العرب قبل الاسلام	لجرجي زيدان

البهجة المرضية في شرح الالفية	لجلال الدين السيوطي
الشفا	للقاضي عياض
تاريخ الطبري	لمحمد بن جرير الطبري
فروغ ابديت	للعلامة جعفر السبحاني
شرح نهج البلاغة	لابن ابي الحديد
مكارم الاخلاق	للطبرسي
سنن النبي	للعلامة الطباطبائي
جامع السعادات	للنراقي
مرآة العقول	للمجلسي
النبي محمد	لعبد الكريم الخطيب
مكاتيب الرسول	للاحمدي
الاستيعاب في معرفة الاصحاب	لابن عبد البر الاندلسي
اسد الغابة في معرفة الصحابة	لابن الاثير
الاصابة في تمييز الصحابة	لابن حجر العسقلاني
حلية الاولياء	لابي نعيم الاصبهاني
سنن البيهقي	للبيهقي
فرائد ا لسمطين	للجويني
مجمع الزوائد	للهيثمي
سنن الدارمي	للدارمي
المسند	للامام احمد بن حنبل
الحسن بن علي	لكامل سليمان
ينابيع المودة	للقندوزي
كنز العمال	للمتقي الهندي

نساء النبي	للدكتورة بنت الشاطي
السمط الثمين	لمحب الدين الطبري
شبهات الملحدين	لمحمد جواد مغنية
المحجة البيضاء	للفيض الكاشاني
الطفل بين الوراثة والتربية	لمحمد تقي فلسفي
الاسلام دين المستقبل	لروجية غارودي
تحف العقول	لابي شعبة الحراني
دلائل النبوة	للمالكي

* * *

الفهرس

تمهيد	٧
الحاجة الى الاخلاق	١٠
الفصل الاول: المنزلة الاخلاقية للرسول الاعظم في العهد الجاهلي	١٥
الوضع السياسي في العهد الجاهلي	١٧
الوضع الاجتماعي في العهد الجاهلي	١٨
النبي (ص) في المجتمع الجاهلي	٢٦
الفصل الثاني: التصوير القرآني للخلق العظيم	٣٥
القرآن يصف الخلق النبوي	٣٧
صورة للوضع الاخلاقي لبعض من عايشهم النبي (ص)	٤٥
الفصل الثالث: على ساحل الخلق العظيم	٤٩
اخلاق النبي (ص) كما وصفها اهل البيت والصحابة	٥١
اخلاق النبي (ص) كما وصفتها التوراة والانجيل	٦٤
اديب رب العالمين	٧٠
من اخلاقيات الرسالة	٧٦
رائد التواضع	٨٨

مدرسة الوفاء	٩٩
مدرسة الحياء	١١٠
مدرسة الشجاعة	١١٣
مدرسة الشورى	١١٦
مدرسة الزهد	١٢٢
مدرسة العدل	١٣٣
النبي (ص) والدعابه	١٣٦
اجود من حاتم	١٤٣
الاب المثالي	١٥٣
الزوج المثالي	١٦٢
ملامح من الخلق العظيم	١٧٠
الفصل الرابع: انسانية الرسالة المحمدية	١٨١
رسول الرحمة	١٨٣
صور من انسانية الرسول (ص)	١٨٨
رسول السماحة	٢٠٣
النبي (ص) والاقليات الدينية	٢٠٧
هكذا عامل الاطفال	٢١١
الرفق بالحيوان	٢١٤
مدرسة الحلم	٢١٨
العفو عند المقدرة	٢٢٥
الفصل الخامس: وصايا ودروس	٢٥٧
وصايا أخلاقية	٢٥٩
دروس أخلاقية	٢٧٧
مصادر الكتاب	٢٨٣
الفهرس	٢٨٦